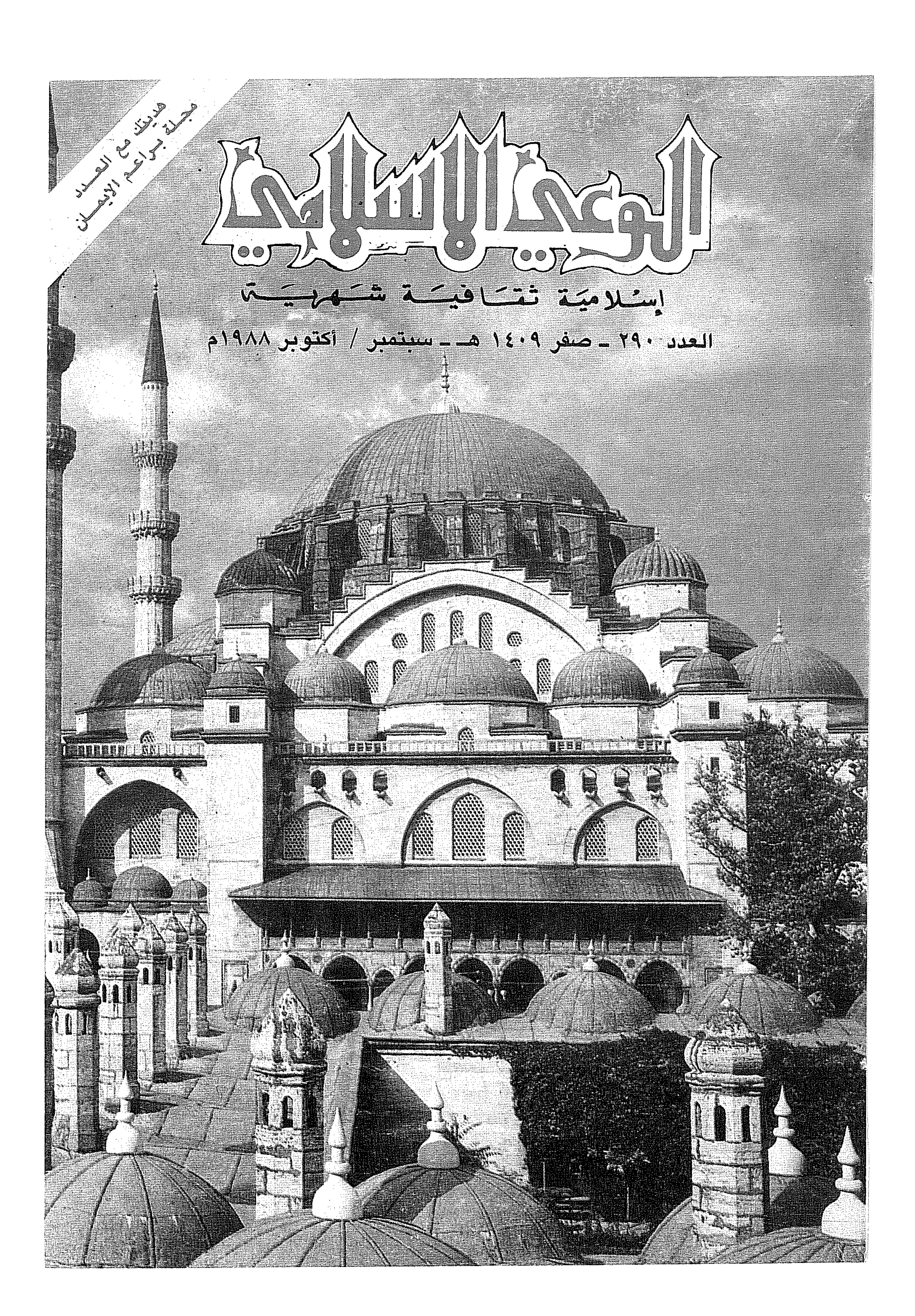

هديتك مع العدد
مجلة براعم الإيمان
الوعي الإسلامي
إسلامية ثقافية شهرية
العدد ٢٩٠ - صفر ١٤٠٩ هـ - سبتمبر / أكتوبر ١٩٨٨م


محتويات العدد



AL-WAIE AL-ISLAMI

العدد ٢٩٠ ـ صفر ١٤٠٩ هـ ـ سبتمبر/ أكتوبر ١٩٨٨ م

تصدرها

وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية بالكويت في غرة كل شهر عربي

هدفها

المزيد من الوعي ،

وايقاظ الروح ،

بعيدا عن الخلافات المذهبية والسياسية .

عنوان المراسلات

مجلة الوعي الاسلامي

ص.ب : (٢٣٦٦٧) الصفاة
دولة الكويت

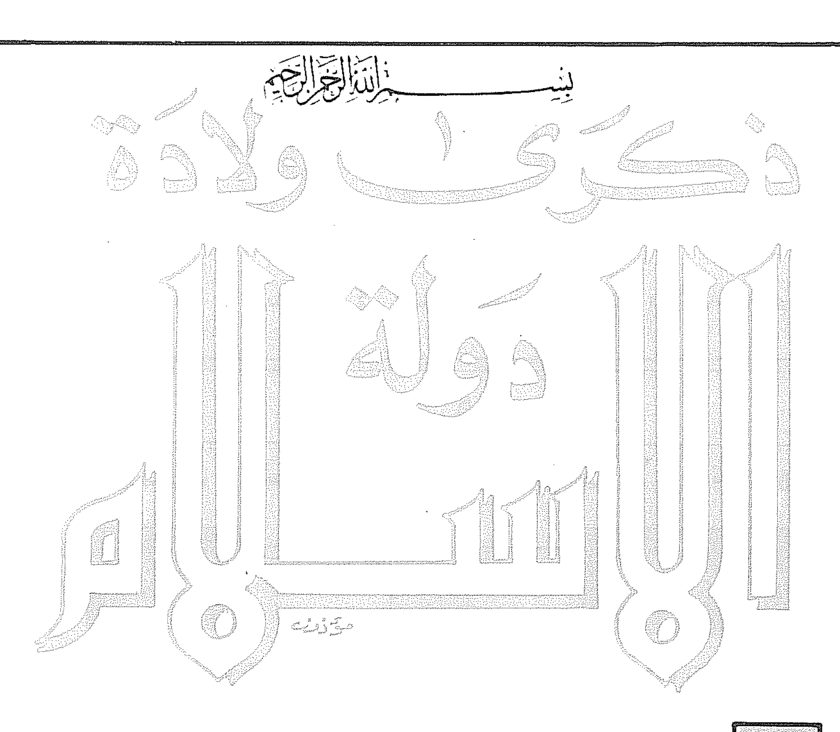
الرمز البريدي 13097

هاتف ٢٤٢٨٩٣٤-٢٤٦٦٣٠٠

الثمن

الكويت	٢٠٠ فلس
جمهورية مصر العربية	٣٥٠ مليما
السودان	٥٠٠ مليم
السعودية	ريالان
دولة الامارات العربية	٣ دراهم
البحرين	٢٠٠ فلس
تونس	٢٥٠ مليما
الاردن	٢٠٠ فلس
اليمن الشمالي	ريالان
قطر	٣ ريالات
سلطنة عمان	٢٠٠ بيسة
المغرب	٤ دراهم

بقية بلدان العالم
ما يعادل ٢٥٠ فلسا كويتيا



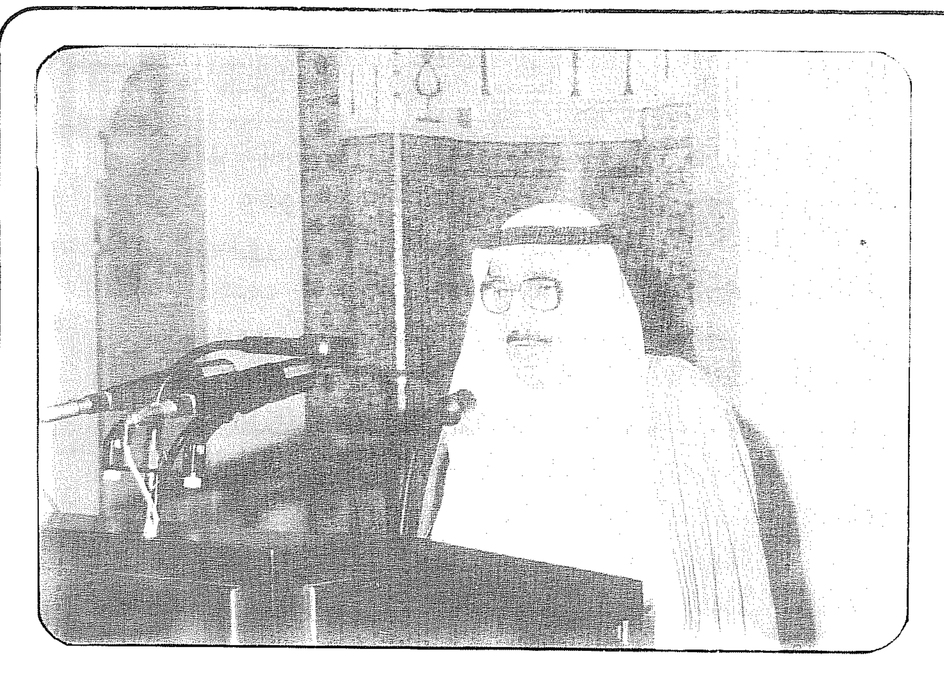
جريا على عادة وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية أقامت احتفالها السنوي المعتاد في المسجد الكبير بمناسبة حلول العام الهجري الجديد « ١٤٠٩ » جعله الله عام خير وسلام على امة الاسلام .

وتولت الاذاعة كما تولى التلفزيون نقل وقائع الاحتفال في حينه . وقد ألقى الخطباء والوعاظ كلماتهم التي تتناسب والذكرى العزيزة . ذكرى الهجرة النبوية الشريفة ، وألقى معالي وزير الأوقاف والشؤون الاسلامية الأستاذ / خالد الجسار ـ كلمة الوزارة فقال : ـ

الحمدلله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه

أما بعد ،

فإن هذا اليوم الذي نلتقي فيه ليس هو بداية عام جديد فحسب ، بل هو ذكرى ولادة دولة الاسلام ، بعد حادثة الهجرة التي أرست قواعد التمكين في الارض ،



والايواء بعد القلة والاستضعاف ، والتأييد بنصر الله . وان عبير هذه الذكرى يهب علينا لنتدبر الوضع الأمثل الذي ينبغي ان يكون عليه المسلمون فيعودوا إلى وحدتهم المصيرية ويتمسكوا بمنهج الاسلام قولا وعملا ، ويحل بينهم التآخي والتواد ويصدق عليهم الحديث الشريف « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم مثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » .

واذا كان يرافق انتهاء السنة في حياتنا العملية على النطاق الفردي استعراض كل واحد منا رصيد عامه السابق وما فيه من ايجابيات تستحق التعزيز ، أو سلبيات يجدر تلافيها فإن للأمة ايضا رصيدا مختلف البنود لكل عام ينقضي من عمرها ، وتحليل هذا الماضي يتيح لنا أخذ العبرة منه ، واعداد العدة لمستقبل أفضل .

الصلح خير

وقد ختم هذا العام بأمر عظيم له وقعه الطيب في نفس كل مسلم ، وهو وضع الحرب العراقية الايرانية أوزارها فقد أثلج الصدور وطمأن القلوب بعدما بلغت الحناجر وكاد اليأس يغلب الرجاء ، فلله الحمد والمنّة على ما أنعم (واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا) فقد جنح الطرفان للسلم ، ونجحت المساعي المبذولة للصلح (والصلح خير) وفي ذلك حقن الدماء وتوفير الجهود والطاقات للبناء والتقدم ، وتوجيه الامكانات المتاحة لمواجهة العدو المشترك ، وندعو الله عز وجل أن يثبت خطى الطرفين ويوفقهما لاستئناف صفحة جديدة من العلاقة ترعى فيها حقوق الجوار ، وتراعى فيها دواعي وحدة الامة الاسلامية والاعتصام بحبل الله جميعا تحقيقا لقول الله تعالى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا) وقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « المسلمون تتكافأ دماؤهم وهم يد على من سواهم » .

الانتفاضة المباركة

لقد كان من أهم ما حفل به العام الماضي تلك الانتفاضة المباركة في سبيل استعادة الحقوق الضائعة لسكان الارض المحتلة بما في وسعهم من مقاومة وكفاح ، ونبتهل الى الله عز وجل ان يتحقق الهدف المنشود من الانتفاضة التي دخلت شهرها التاسع بعد ان أزمع أهلها على الصبر والمصابرة الى أن تؤتي ثمارها في التحرير للاراضي المحتلة والتطهير والرعاية للمقدسات المغتصبة . وعلينا ألا نفتأ عن مواصلة دعمهم بالمال ومقومات البقاء بعد ان جادوا بالنفس والنفيس فالجهاد بالمال (الذي هو شقيق الروح) ضروري

لينجح الجهاد بالنفس .

افغانستان

وليس على الله بعزيز ان تتوالى البشائر ، فتصل قضية افغانستان الى بر السلامة على اسس اسلامية ، وتتاح عودة الملايين من اللاجئين الى بلدهم ، ويتم لأهل هذا البلد المسلم حكم انفسهم بأنفسهم وإعلاء كلمة الله فيه بعد الجهاد الطويل والتضحيات الجسام .

دروس الهجرة

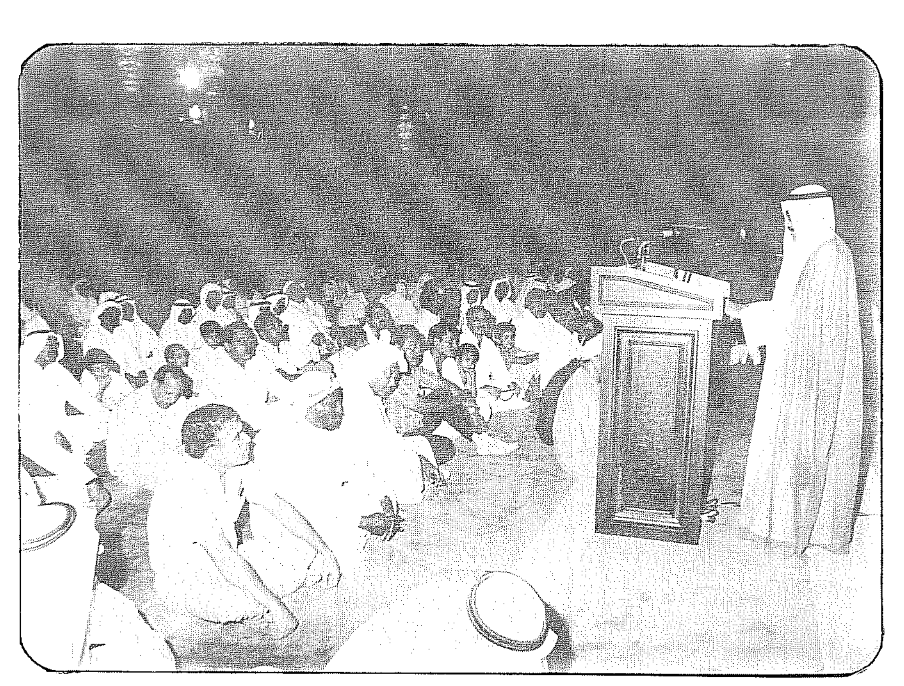
إن أبلغ دروس الهجرة تتمثل في المؤاخاة ، والبذل والتكافل ، والعزم على تكوين مجتمع جديد يرعى فيه أفراده حق الله تعالى في التزام شرعه وتعظيم شعائر دينه ، وتصان فيه حقوق العباد على منهج العدل والاحسان ، وهذا أشد ما

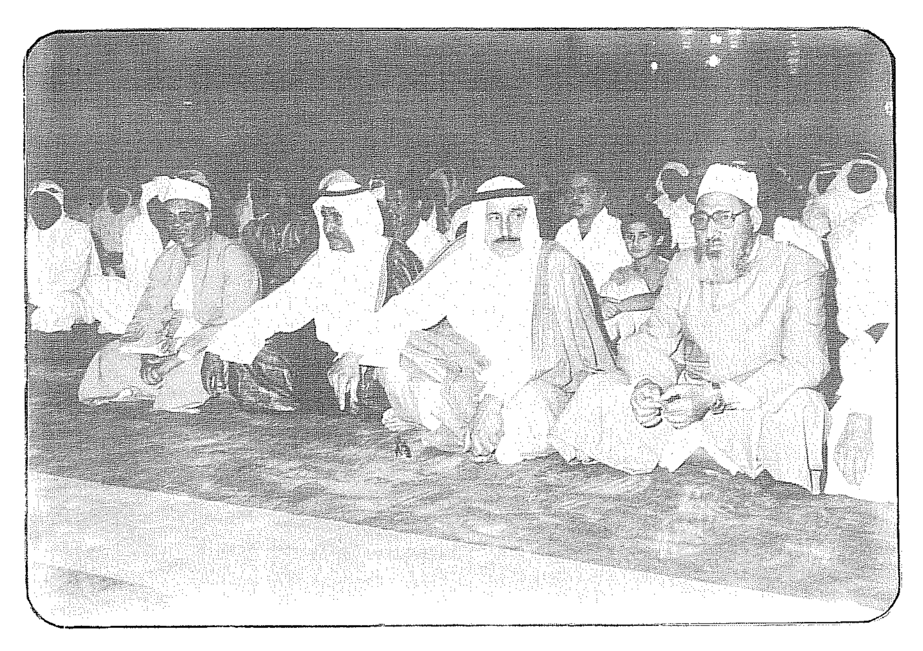


نحن بحاجة اليه لتعود تلك الامة التي أخرجت للناس ، الأمة المؤمنة بالله حقا الداعية الى الخير صدقا الآمرة بالمعروف والناهية عن المنكر قولا وفعلا تصديقا لقوله تعالى (ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) .

متى تستعيد الأمة الاسلامية دورها ؟

واننا لننتظر اليوم الذي تستعيد فيه هذه الأمة دورها الطبيعي وتنهض بعبء الدعوة ، وتتيح للبشرية بما لديها من نبراس الاسلام علاج أدوائها وحل مشكلاتها (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا) .

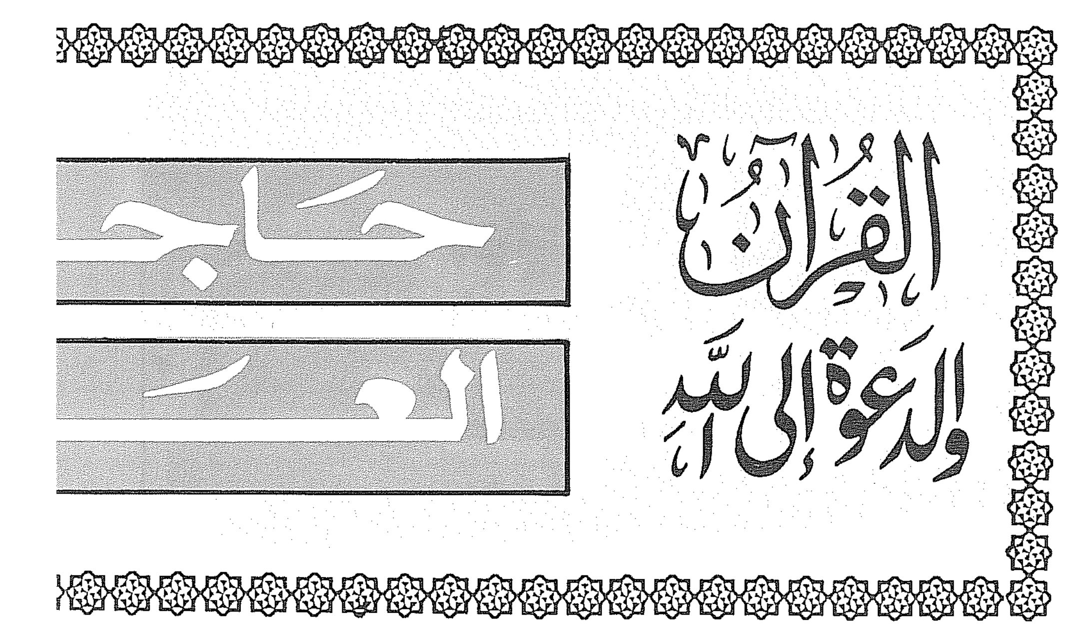




وفي الختام

وفي ختام هذه المناسبة نتوجه الى الله العلي القدير ان يهل علينا هذا العام الجديد بالأمن والأمان والسلامة والاسلام ، وان يكتب للأمة الاسلامية خيره وخير ما فيه وان يجنبها شره وشر ما فيه .

ونرفع بهذه المناسبة التهنئة لحضرة صاحب السمو أمير البلاد الشيخ جابر الاحمد الجابر الصباح والى سمو ولي عهده الشيخ سعد العبدالله السالم الصباح حفظهما الله والى الشعب الكويتي الكريم والى المسلمين في شتى بقاع الارض أسمى التهاني بالعام الجديد ، ونسأل الله عز وجل ان يكلل مساعيهما الخيرة في صالح هذا البلد وسائر القضايا الاسلامية التي تعود بالخير على المسلمين .
وكل عام وانتم بخير . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



كلما تقدمت وسائل العلم ، وتألقت مظاهر الترف ، وتألق الناس في أزياء الحضارة احتاجت الحياة إلى الارتباط بالله .. والاعتصام بحبله المتين .. كيلا تميد رواسيها ، وتضطرب قواعدها ، وتهتز أركانها فتصبح عرضة للدمار والضياع ..

ومن هنا كان القرآن الكريم بقيمه ومبادئه هو النبع السخي الذي يتفجر بالخير - ويتدفق بالسعادة ويمد البشرية بمعاني الرشاد والحكمة ليستقيم خطوها على درب الحياة ، فتمضي الى غايتها التي خلقت لها من عبادة الله ، وعمارة الحياة وإمدادها بوسائل القوة التي تضمن لها البقاء في عالم تضطرم فيه نيران المذاهب المنحرفة والعقائد الفاسدة التي أكسبت العالم شقاء وأوسعته آلاما وجراحات . فبات ظامئا الى نفحات الروح وبسمات الضمير الحي تضفيان عليه السكينة والأمن وتحرسان قلبه وعقله وضميره ان تتخطفها شياطين الانس ، فتتركه جسدا بلا روح وهيكلا بلا طموح ، وان بدا عملاقا يتخطر في ثياب القوة ، ويتحرك في اطار التسلط والجبروت ..

لابد في هذه الأجواء العاصفة بالشر ، ان تتحرك الدعوة الى الله نقية من الشوائب ، بعيدة عن التعصب ، صافية من الأكدار .. مستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، وحياة السلف الصالح رضوان الله عليهم ..

نعم لابد ان تتحرك الدعوة الى الله حركة بصيرة قوية في الداخل والخارج ، لتبصّر الشباب المتحمس للاسلام بأن دين الحق يأبى العنف ، ويكره التطاول ، ويمقت الغلو ، ويفيض على الحياة الخير والبركة .. ومن ثم فإنه ينبغي ان يستقر في الأذهان ان



للاستاذ /
توفيق محمد سبع

الاقناع الهادىء ، والحجة الناصعة ، والموعظة الحسنة تستطيع ان تصنع التغيير الى الافضل في جو السماحة والوداد لا في جو التخريب والعنف .

اما في الخارج فإن القلق الذي يسيطر على الناس في هذه الحقبة من الزمن يفقدهم لذة الاستمتاع بما هيأته لهم الحضارة المادية من رفاه حسي ، ومتاع جسدي نتيجة للاكتشافات العلمية والتقدم الحضاري .. بل إن مظاهر الاضطراب تتزايد كلما كثرت مبتكرات العلم .. لأنه ليس بالعلم وحده تتحقق سعادة الانسان .. بل لابد من إشباع حاجاته الروحية ، واشواقه العليا ، ليستقيم خطوه على درب الحياة .

نعم لابد من الدعوة الى الله في هذه الأجواء لترد الى الانسان المعذب سكينة قلبه وطمأنينة روحه .. وتكفل له الأمن في عالم مادي مسعور ..

معادلة ناقصة :

ان هذا الشعور بالظمأ وسط مظاهر الترف ليس له في الواقع إلا دلالة واحدة هي ان الانسان الذي برأه خالقه مادة وروحا لا يمكن ان ينهض بوسائل العصر المادي وحدها لأن روحه تظل ظمأي الى منهج الوحي الالهي الحق ، يمدها بالسكينة ، وينعشها بالامل ، وينمي فيها عناصر الخير والحق والواجب .. وبهذا تكتمل عناصر السعادة ..

انها لمغالطة قبيحة ان يزعم انسان هذه الحضارة المادية انه سعيد في ظل هذه المبتكرات العلمية .. إنه تعيس شقي .. يحترق قلبه .. وتختنق روحه في ظل حضارة لم ترع في هذا القلب إلاّ

ولاذمة !! فأفقدت الناس إنسانيتهم ، وأتلفت أعصابهم ، حين أماتت أرواحهم وأحيت شهواتهم !!

لابد إذن لكي يشعر الانسان بالسعادة الحقة ان تتوازن مطالب الجسم والروح في كيانه بحيث لايطغى احدهما على الآخر .. فإذا عاش هذا الانسان لجسده فحسب فهناك الحيوانية الجامحة .. واذا عاش لروحه فحسب فهناك السلبية المنطوية التي تعتزل الحياة وكلا المسلكين خطر في دين الله ..

والاسلام بمنهجه السديد هو الذي يلائم بين مطالب الجسد وأشواق الروح ملاءمة دقيقة ليعيش المسلم سعيدا .. لا يستشعر ظمأ روحيا ـ ولا شقوة نفسية .. لأن الاسلام قد ضمن له غذاء روحه .. ونماء جسده من غير بغي ولا عدوان !!

وهذا الخلل في المعادلة هو سر شقاء العالم اليوم في الشرق والغرب معا ... انه في حاجة الى تصحيح تلك المعادلة التي جنحت الى المادة وأهملت الروح !!

والناس في القرب يحسون بالضياع .. ويتوقون الى سكينة الروح لتكفكف شره المادة ، وتلطف سعارها المحموم .

وعلى الداعية ان يدعي مقتضى الحال فإذا تحدث الى قوم

كسالى لا ينهضون بمطالب الحياة فليكن حديثه عن القوة التي يتطلبها الاسلام واذا تحدث الى قوم يعيشون في صميم الأسلحة الفتاكة فليكن حديثه عن الروحانية التي كفلها الاسلام !! وهكذا تلعب ثقافة الداعية دورا خطيرا في المواقف !

اسلوب الدعوة الأمثل :

يتحتم على الداعية المسلم ـ في هذا العصر المشحون بعوامل القلق المحتدم بصراع المذاهب ـ ان يتزود للدعوة بزاد قوي من الكتاب والسنة حتى تجد دعوته صدى في النفوس واثرا في القلوب .. وتمتد الى ارواح الشباب لتعصمهم من اليأس ،

وتمنعهم من الالحاد ، وتنقذهم من الصراع الحاد الذي تضطرم به مشاعرهم .

بل ان هذه الدعوة تنقذ العالم كله من الضياع ما دامت المذاهب كلها قد أفلست في انقاذ الحياة .. وبث الطمأنينة في رحابها .

كل ذلك مرهون بأن يتقيد الدعاة المسلمون باساليب الدعوة السديدة ـ

البعيدة عن التعصب ، القادرة على الاقناع ، المعالجة لقضايا العصر ،

لاتلك الدعوة التي تتجمد على موضوعات قد الفها الناس ، وسئمها المجتمع ، فأصبحت لا تقنع عقلا ،

ولاتمتع نفسا ، ولاتغذي شعورا ، ولاتثير جاذبية ـ وابتعدت عن مشكلات الحياة ،

عثاره دعوة راشدة يجد فيها أنس روحه وسكينة قلبه واستقامة ضميرة

اسس الدعوة كما رسمها القرآن :

وهذه الأسس مذكورة صريحة في كتاب الله عز وجل .. فمن التمسها منه فسيجد إيحاءات وتوجيهات كلها تقود الدعاة الى سلامة الهدف وصدق التوجه وقوة التأثير ومن المفيد في هذا المقام ان نأخذ مع هذه الأسس ممارسات الانبياء والرسل وهم يقودون اقوامهم الى الحق ويدعونهم الى الله فهذه تعطي الدرس التطبيقي النافع لكل داعية .

واول ما نجده من اسس الدعوة هو ان تتم بالاسلوب اللين ، والمنطق السمح والحجة الواضحة فإذا تمت على هذا النحو كانت ادعى الى القبول واقرب الى التأثير .. أما ان تتحول الدعوة الى فظاظة وغلظة وجفوة وشدة وسباب وتعنيف فذلك مما يصرف الناس عنها ويزهدهم فيها .. ولنقرأ في ذلك قول ربنا سبحانه يخاطب موسى وهارون عليهما السلام :

« **اذهبا الى فرعون إنه طغي * فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** » طه ٤٣/٤٤ .

فمع ان فرعون طاغية متأله فإن دعوته الى الحق لا تتم الا بالقول اللين .. والاسلوب الوديع .. فما بالك لو كانت الدعوة موجهة الى أناس ليسوا من الطغاة ولا الجبارين ؟!

ولننظر جيدا في موادعة الرسول صلى الله عليه وسلم للقوم الجفاة واحتمال فظاظتهم والاغضاء عن سفاهتهم .. وكيف كان يصفح ويغفر ليجذبهم الى الخير ، ويهديهم الى دين الله .. وهكذا رسل الله جميعا .. لقوا من اقوامهم كفرا وعنادا ، وصدا واعراضا وووجهوا منهم بالسخرية والسباب فمازادهم ذلك إلا لينا وموادعة .. وما استطاع ان يغير من أخلاقهم .. ولا ان يستنزلهم من القمة السامية التي وقفوا عليها .. لقد تماسكوا في هذه المواقف المثيرة .. وجنحوا للسلم ومالوا الى المهادنة والصفح فكانت لهم العاقبة ..

« **وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** » إبراهيم/١٣ وتصور ان الكفار يزعمون ان الارض ملك لهم .. وان الانبياء طارئون عليها .. يطردون منها ويذادون عنها اذا احتدم النزاع واستحكم الشر .

لقد هدد الكفار بطرد الرسل إن لم يدخلوا في الكفر .. ويسكتوا عن دعوتهم .. ومع تفاقم الشر لم نسمع لرسل الله ردا في هذا المقام .. وإنما يجيء الرد الالهي بإهلاك الظالمين ونصرة المؤمنين ... هذه هي الدعوة السديدة تترفع على السفاهة ، وتستعلى على الاهانة وتترك البذاءة والحمق لهؤلاء الدهماء الساقطين !! ان أنبياء الله أمام هدف واحد لايحيدون عنه هو تجلية الدعوة بلغة الموادعة ، وتنقية الأجواء بأسلوب الملاينة ، ليكسبوا الجولة الأخيرة في تلك المواقف الشداد !!

نقول ذلك لبعض الخطباء والوعاظ الـذين يطلقون ألسنتهم في النقـد الجارح ، والبذاء الواضح ، والتشهير السليط !! إن الدعوة لين ووداعة ، ورقة وسماحة ، وترفع على المهاترات والشتائم .. فهى تجمع ولا تفرق ، وتوحد ولا تمزق ، وتستل الأحقاد من القلوب المريضة ، وتفتح الطريق أمام الخطائين والمتعثرين !!

ومن الأسس التي تنهض عليها الدعوة .. أن تتم بالحكمة والموعظة الحسنة ، قال تعالى لنبيه : «**ادع إلى سبيـل ربك بـالحكمة والمـوعظة الحسنة** » (النحل / ١٢٥) ؟

والحكمة كلمة ذات إشعاع واسع تعم كل ما يرتبط بحصافة الداعية وبعد نظره وسعة صدره .. وابتعاده عن الحمـاقة والشطط .. إنهـا بتعبـير دقيق .. وضع الشىء في موضعه بلا مغالاة ولا إسراف .. فلا بد للداعية أن يكـون حكيما يعطي عـلى قدر المطلوب ، ويرعى طبقات الناس ، فلا يكلم العامة بلغة الخاصة ، ولا يتنزل في مخاطبة العلية إلى أسلوب الدهماء وإنما يجعل لكل مقام مقالا .. وهذه الحكمة هي التي تعصم الخطيب من الاطالة المفرطة في الخطبة والجو قائظ والناس في ضيق شديد ؟ فإن ذلك مما ينفّر من الموعظة ويصد عن المسجد .

وخير الخطب ما اعد موضوعه ، واتجـه إلى القصد دون تخبط أو شطح . أو تعثر في الأخطاء اللغوية والأسلـوب الجيد يـدخل في بـاب الحكمة .. ولا أقصد بـه التفصح والتوعر .. وانما أريد السهولة واليسر والارتفاع على العامية بحيث يفهمه العامة ولا يزور عنه الخاصة .

كما يدخل في الحكمة دراسة طبائع الناس ، وفهم نفوسـهم ، ومعـالجة قضياهم ، وتناول مشكلاتهم ، وفتح الطريق امام اليـائسين ، وإعطـاء الجرعة المناسبة فلا يرتفع في الأداء .. ولا يدق في المعاني لأن الناس ليسوا فلاسفة .. كما أن جاذبية العرض لها مكان مرموق في هذا المجال .. لأن العكوف على طريقة واحدة في الأداء ، يمل الناس ويصرفهم عن الموعظة .

كل هذا توجيه كلمة « حكمة » في غير عسر ولا مشقة وكم فيها من لطائف وإيحاءات .

ومن الأسس القوية في الدعوة العلم والمعرفة قال تعالى(**فلنقصن عليهم بعلم ومـا كنا غـائبـين**) الاعراف / ٧ فاذا كان القدير العلي لا يحدثنا الا بعلم فما أحرى أن يتأدب الدعاة بأدب الله .. فيشغلوا أنفسهم بالثقافة ، ويتزودوا بالمعرفة ، ويقرءوا العلوم المختلفة التي تخدم الدعوة .. وتبـرزهم أمـام النـاس أقـويـاء متصرفين ..

لقد حدثوا أن الخليفة الراشد عثمان ابن عفان رضي الله عنه صعد المنبر يوما فما وجد كلاما يقوله فعـرك ناصيته ودلك جبينه وفتح الله عليه بكلمات هن فصل الخطاب فكان مما قال : (أيها الناس .. سيجعل الله بعد ضيق فرجا ، وبعد عسر يسرا وأنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال) قال النقاد : فكانت هذه الكلمات على وجازتها من أبلغ الخطب في الاسلام . فما رأيك في هذا الموقف ؟

وكيف تصرّف الخليفة في المعنى حين عزّ عليه الانطلاق في القول !! فجاء بما يعد من جوامع الكلم .. فهذا تصرّف حسن واتجاه موفق !!

لابد للداعية أن يكد ويكدح في القراءة والاطلاع .. لتتسع أمامه الآفاق ، وتنفسح الطرق ، وتتولد المعاني ، ويحدث التجديد .. فإن التجديد لاينشأ عن عقم ، ولا ينتج عن جهالة ، وكأنما العلم هنا يعني التخصص .. الذي يجعل للدعوة أصولا لاتتعداها ، وقواعد لا تتجاوزها وذلك كفيل أن ينحى عن الدعوة ، أولئك الأدعياء الذين يتكلمون في الدين بكل جرأة ووقاحة دون أن يحفظوا شيئا من كتاب الله .. ولم يدرسوا سنة رسوله والعجيب أن تخلو الساحة من الكفايات العلمية المتخصصة .. فلا ترى مقالا في مجلة نابهة أو صحيفة معروفة الا بأقلام هؤلاء الذين لاتخلص الرؤية الدينية لهم .. فنلمح في كثير من الأحيان عداء للدين .. وتطويعا لآيات الكتاب المنزل لتخدم أهدافا علمانية .. وقد يتصدى أحدهم لنقد الأحاديث الصحيحة بلا روية ولا تبصر ويشهّر بالعلماء الفاقهين .

تفتح المذياع

فتسمع أصواتا مألوفة تقول في الدين لا تتغير ولا تتبدل .. كأنما وسائل الاعلام قد عقمت فلا تفكر في تجديد .. ولا تحاول تطعيم هذه الأحاديث بدماء جديدة تبعث فيها الحياة وتسبغ عليها الجاذبية .. وقد تكتشف مواهب غضة لا تلبث أن تتفتح فتملأ الحياة عطرا وخيرا من أجل هذا نرى أن العلم أساس من أسس الدعوة إلى الله .. وهو يعني التخصص الذي يضبط مسار الدعوة ويحدد أهدافها .. ومن العجيب أن الهجوم على الاسلام في الداخل والخارج منظم .. وأن الدعوة إليه فوضى .. فهل نفكر في الانضباط ؟ !

وإنه لمن المهم في هذا المقام أن نحمّل الدعاة وزر هذه الفوضى .. فلو أمتعوا الناس بالعلم النافع ، والفكر المتجدد ، ونزلوا إلى معترك الحياة ليلتقطوا المشكلات الطارئة فيتحدثوا عنها ويفتوا فيها لملأوا المكان وسدوا الثغرات .. ولكن معظمهم كسول لاينشط إلى اطلاع ، ولا يجدد في حديث ، ولا يشرئب للرد على الشبهات التي توجه للاسلام نحن ننصح لهؤلاء بالثقافة والمعرفة والقراءة والاطلاع ويكفي أن يقرأوا في كتاب الله (**إقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم**) العلق

إنها القراءة الواعية التي تكوّن ثقافة الداعية وتسهم في تحريك مواهبة ثم يجيىء أساس قوي من أسس الدعوة .. ألا وهو البصيرة .. واليها يشير قوله سبحانه وتعالى على لسان نبيه (**قل هذه سبيلي أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعني**) يوسف / ١٠٨

والبصيرة ملكة فوق العلم .. وهي تعني إشراق الروح .. وهي لا تشرق الا في جو التقوى .. وعندما تتشبع روح الداعية بحقائق العلوم وأسرارها

فإن بصيرته تتكون ـ بل إنها تشرق في هذه الأجواء الصافية فترسل ضوءها في كل اتجاه ، وتبعث شعاعها في كل ناحية .. وتنفذ إلى أعماق العلوم والمعارف فتأتي بالعجائب والروائع .. إنها فيض من نور الله يتآزر مع الملكات العقلية والنفسية والروحية للداعية الصادق فيمنحة الهدي والرشاد .

ان هذه البصيرة تتألق في جو العبادة القانتة .. وفي جو التجرد والصدق فتفيض على الناس من نبع الحكمة ، وتنقل عن روح القدس ، وتصدر عن نور الله .. وبذا يصبح علم الداعية مباركا نافعا نافذا الى الأعماق .. وصدق الله إذ يقول(**واتقوا الله ويعلمكم الله**) (البقرة / ٢٨٢) .

فالعلم المثمر يتفجر من نبع التقوى ، ومن هذا العلم تتكون الحكمة ، وعن ذلك تنشأ البصيرة التي ترى بنور الله .. فإذا رأيت الداعية ينطلق في حديثة مؤثرا يفيض على الناس من أسرار العلم ، وثمرات التقوى مايحرك قلوبهم ، ويطلق ألسنتهم ، ويستحوذ على ألبابهم فثق بأن ذلك هو اشعاع البصيرة .. وتجليات التقوى .. وكم لله من نفحات تجري على لسان خلقة !!

نعم : إن العلم النافع يشرق من البصيرة كما يشرق الضوء من الشمس .. وكما أن طبيعة الشمس أن تضيء فطبيعة البصيرة أن تفيض ، وكما أن الشمس لا تتكلف عسرا ولامشقة حين ترسل الضوء هاديا فكذلك البصيرة لا تستشعر عنتا ولا رهقا حين تفيض العلم صافيا .

وكم يحتاج الدعاة إلى التواضع ، وهضم النفس ، والابتعاد عن الزهو ، والتفاني في رسالتهم وصدق التوجه إلى الله عزّ وجلّ .. فهذه العناصر تساعد على تكوين البصيرة !!

إن هذه البصيرة تعصم الداعية من التخبط ، وتجعل هدفه واضحا ، وحجته قوية .. فحبذا لو اهتمت معاهد تكوين الدعاة بشخصية الداعية .. وصقله بالتقوى .. واستقطاب العناصر الصالحة لهذا الأمر الجليل لأن التربة الخصبة تحتضن البذرة السليمة وتتولى إنباتها (**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكدا**) (الاعراف / ٥٨) وذلك يستدعي عقدا اختبارات أمينة تكشف عن مواهب الشخص وملكاته وقدراته النفسية والعقلية والروحيةالتي ترشحه لهذا الهدف الجليل ، ولا بد من التدقيق في حفظ القرآن .. فما أقبح أن يخطىء الداعية في آية أو يلحن في حديث .. أو يتعثر في الأداء !!

وليست المسألة إعداد مناهج بقدر ما هي انتقاء عناصر جيدة ، ذلك أن الداعية الموفق يصنع المنهج ، والمنهج لا يصنع الداعية .. لشدما نأسى ونحزن حين نرى الوعظ في هذه الأيام سطحيا لا يستمد من علم غزير ، ولايصدر عن موهبة روحية ولا تؤازرة بلاغة المنطق ، ولا تحركة أحداث الساعة ولا تغذية ثقافة نابهة تجعل له

نفاذا وتأثيرا .. ومن هنا نرى هذا الوعظ غير قادر على جذب الشباب والتأثير على سلوكة ..

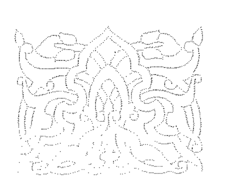
ثم يجيء الأساس الأخير من أسس الدعوة وهو عنصر العمل وإليه يشير قول الحق تبارك وتعالى : (**ومن أحسن قولا ممن دعا الى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين**) (فصلت / ٣٣) فلا بد للداعية أن يكون نموذجا حيا للعمل بما يقول ليصبح قدوة للناس .. ولا بد أن يراه الناس مثلا أعلى في التمسك بفضائل السلوك ، والعمل بمبادىء الاسلام . لقد قرن القرآن الدعوة بالعمل الصالح لأنه يكسبها قوة فما أقبح أن ندعو ولا نعمل ، ونرغب الناس في الفضل ونحن أبعد شيء عنه !!

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل أكثر مما يقول ولهذا كان يؤثر بعمله أكثر مما يؤثر بقوله .. وقد ابتلينا في هذه الأيام بكثرة الثرثرة والكلام ، وتركنا العمل وراءنا ظهريا .. إن تلك العناصر التي قدمناها متى اكتملت في الداعية خلقت منه قوة أسرة تستطيع أن تلعب دورا ايجابيا في اصلاح المجتمع ، وتقويم الحياة .. وأن تنشر الثقافة الاسلامية في كل مكان وأن تنقذ العالم من ويلات المذاهب النحرفة والافكار المستوردة وأن تمكن لدين الله في الأرض .. فإن الله عز وجل قد استودع الاسلام قوة ذاتية تجعله قادرا على مواجهة أعدائة بأيسر الجهد وأقل التكاليف .. وقد انتشر في بدء الدعوة بإخلاص الدعاة .. وحسن عرضهم له .. وصدق تخلقهم به .. ومن العجيب أن يكون التجار المسلمون هم أصحاب العزمات الصادقة في هذا المجال !!

وليس عجيبا أن نسمع أن أسرا بأكملها قد اعتنقت الإسلام ..

لانها وجدت فيه الخلاص .. إن حملات التنصير تبذل جهودا خارقة وتتكبد متاعب جمّة وتحتضنها حكومات استعمارية تنفق عليها وتقوم بأمرها ومع ذلك فإنها لم تستطع أن تنصر المسلمين الخلص أو تحولهم عن دين الله ..

إنه لابد للمسلمين في هذه الحقبة من الزمن أن ينظموا جهودهم .. ليرسلوا أئمة الهدى إلى أقطار أوروبا وأميركا وغيرهما ليعرفوا بهذا الدين .. ويبصروا الناس بمزاياه كما لابد أن ينشط الدعاة داخل الوطن الاسلامي ليحرروا أفكار المسلمين من البدع والخرافات ويقودوا شباب الاسلام إلى الدين الحق .. دين التسامح والحب لا دين التعصب والارهاب .. هذا وبالله التوفيق .





للاستاذ / أحمد أحمد الشيمي

أيها القارىء الكريم : ـ نتناول في هذا المقال بعض آراء اللغويين والبلاغيين والمفسرين في فواصل القرآن الكريم . وبادىء ذي بدء نريد أن نعرف : ـ

اولا : ـ ما المقصود بالفواصل ؟

الفواصل هي نهايات الآيات القرآنية ، والفاصلة في آخر الآية القرآنية كقافية الشعر وقرينة السجع . قال القاضي أبوبكر الباقلاني : ـ الفواصل حروف متشاكلة في المقاطع يقع بها افهام المعاني وقد فرق « الداني » بين الفواصل ورؤوس الآي فقال الفاصلة هي الكلام المنفصل عما بعده والكلام المنفصل قد يكون رأس آية وغير رأس وكذلك الفواصل يكن رؤوس آية وغيرها وكل رأس آية فاصلة وليس كل فاصلة رأس آية .

وقال الجعبري : فاصلة الآية كقرينة السجعة في النثر وقافية البيت في الشعر ومايذكر من عيوب القافية من اختلاف الحركة والاشباع والتوجيه فليس بعيب في الفاصلة ، وجاز الانتقال في الفاصلة والقرينة وقافية الأرجوزة من نوع إلى آخر بخلاف قافية القصيدة ومن ثم ترى (**ترجعون**) مع (**عليم**) و (**الميعاد**) مع (**الثواب**) و (**الطارق**) مع (**الثاقب**) ، وإنما سميت فواصل لأنه ينفصل عندها الكلامان وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين مابعدها .

ثانيا : مم أخذ هذا الاصطلاح :ـ

وإنما أخذ اصطلاح (الفواصل من القرآن الكريم ذاته من مثل قوله تعالى : (**كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون**) فصلت /٣ وقوله سبحانه : (**قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون**) الأنعام /٩٧ وقوله جل شأنه : (**ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم**) الاعراف /٥٢ وقوله عز من قائل : (**كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير**) هود /١ وقوله جل شأنه : (**وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا**) الانعام /١١٤ إلى غير ذلك من الآيات .

ثالثا : هل يجوز تسمية الفواصل قوافي أو أسجاع ؟

لايجوز تسمية الفواصل قوافي لأن الله تعالى سلب عن القرآن الكريم اسم الشعر وبالتالي يجب سلب القافية عنه لأن القافية من الشعر يقول سبحانه : (**وماعلمناه الشعر وماينبغي له**) يس /٦٩ ويقول عز من قائل : (**وماهو بقول شاعر قليلا ماتؤمنون * ولابقول كاهن قليلا ماتذكرون**) الحاقة /٤١ ، ٤٢ وكما لايجوز إطلاق اصطلاح القافية على الفواصل في القرآن الكريم كذلك لايجوز اطلاق اصطلاح الفاصلة على القوافي في الشعر أو الأسجاع في النثر .

قال الرماني : ذهب الأشعرية إلى امتناع أن يقال في القرآن سجع وفرقوا بأن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحال المعنى عليه ،

والفواصل التي تتبع المعاني ولاتكون مقصودة في نفسها ، قال : ولذلك كانت الفواصل بلاغة والسجع عيبا . وتبعه على ذلك القاضي أبوبكر الباقلاني وذهب كثير من غير الأشاعرة إلى إثبات السجع في القرآن وزعموا أن ذلك مما يبين به فضل الكلام وأنه من الأجناس التي يقع بها التفاضل في البيان والفصاحة كالجناس والالتفات ونحوهما . وقد استدلوا على ذلك بأن موسى أفضل من هارون فالأولى أن يقدم ذكر موسى على هارون ولكن لمكان السجع ـ كما يزعمون ـ قدم هارون على موسى في قوله تعالى (**فألقى السحرة سجدا قالوا آمنا برب هارون وموسى**) طه / ٧٠ وفي سورة الشعراء قدم موسى على هارون يقول سبحانه (**فألقى السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون**) الشعراء /٤٦ ، ٤٧ ، ٤٨ .

وقال القاضي أبوبكر الباقلاني ـ في كتاب إعجاز القرآن : وأما ماذكروه في تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لأجل السجع ولتساوى مقاطع الكلام فمردود بل الفائدة فيه إعادة القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا وذلك من الأمر الصعب الذي تظهر فيه الفصاحة وتقوي البلاغة ولهذا أعيدت

كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة تنبيها بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به ومكررا .

أما ابن سنان الخفاجي فقد رد على القاضي الباقلاني والرماني في كتابه « **سر الفصاحة** » فقال : وأما قول الرماني : إن السجع عيب والفواصل على الاطلاق بلاغة فغلط فإنه إن أراد بالسجع مايتبع المعنى وكأنه غير مقصود فذلك بلاغة والفواصل مثله وإن أراد به ماتقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله .

ثم قال : وأظن أن الذي دعاهم إلى تسمية كل مافي القرآن فواصل ولم يسموا ماتماثلت حروفه سجعا ، رغبتهم في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم . فقد روى أن رجلا جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : (كيف ندى من لاشرب ولا أكل ولاصاح ولا استهل ؟ ومثل ذلك يطل) فقال : (أسجع كسجع الكهان) ؟ الحديث رواه مسلم واحمد وأبوداود والنسائي عن المغيرة بن شعبة فكأنه جعل السجع مذموما .

رابعا : هل السجع مذموم على إطلاقه ؟

عندما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لذلك الرجل الذي كان يسجع في كلامه : أسجع كسجع الكهان لم يكن يذم السجع على إطلاقه . ولكنه صلى الله عليه وسلم ذم السجع الذي يشبه سجع الكهان فربما لحظ صلى الله عليه وسلم أن في كلام ذلك الرجل شيئا غير قليل من التكلف والصنعة التي يمجها الذوق العربي السليم . ولذلك لم يقل أتسجع ؟ أو أتتحدث حديثا مسجوعا ؟ بل قال : أسجع كسجع الكهان ؟ وإلا فإن هناك أحاديث نبوية شريفة تتفق نهايات الجمل فيها وهي قمة في الفصاحة والبلاغة والجرس الموسيقي الجميل الذي تطرب له الأذن ويؤثر في النفس أيما تأثير ، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الله تعالى حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنع وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال) متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة . إذن فالسجع المذموم هو السجع الذي يتبع المعنى فيه اللفظ فيكون اللفظ هو المتبوع والمعنى تابعا . أما في الأحاديث النبوية الشريفة وفي القرآن الكريم فالأمر بخلاف ذلك فاللفظ هنا تابع للمعنى وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ .

خامسا : الذين قالوا بوجود السجع في القرآن الكريم :

ذكر ضياء الدين بن الأثير في كتاب « المثل السائر » : أن السجع نوع من صناعة تأليف الألفاظ وقد ذمه بعض الناس وذلك بسبب عجزهم عن الاتيان به ثم يقول : وإلا فلو كان مذموما لما

ورد في القرآن الكريم فإنه قد أتى منه بالكثير وحتى إنه ليؤتي بالسورة جميعها مسجوعة كسورة الرحمن وسورة القمر وغيرهما ، وبالجملة فلم تخل منه سورة من السور . كما ذكر ابن الأثير أن القرآن قد يزيد كلمة بمعنى الكلمة السابقة عليها لأجل السجع وشاهده في ذلك قول الله عز وجل (**واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا**) مريم / ٥٤ فهو يرى أن اللفظين (**رسولا نبيا**) بمعنى واحد ولكن لما كان أكثر سورة مريم مسجوعا على الياء ذكر القرآن كلمة نبيا ليحقق بها السجعة .

أما أبوهلال العسكري فقد عقد فصلا في كتاب الصناعتين ترجمته (في ذكر السجع والازدواج) وقد جاء

فيه : (**وكذلك جميع مافي القرآن مما يجري على السجع والازدواج مخالف في تمكين المعنى وصفاء اللفظ وتضمن الطلاوة والماء لما يجري مجراه من كلام الخلق**) ثم

أجاب أبوهلال عن بعض ما احتج به المانعون لمجيء السجع في القرآن فقال عن انكاره صلى الله عليه وسلم على الرجل الذي سجع عنده : ولو كره صلى الله عليه وسلم لكونه سجعا لقال أسجعا ثم سكت ثم قال بعد ذلك وكيف يذمه ويكرهه وإذا سلم من التكلف وبريء من التعسف لم يكن في جميع صنوف الكلام احسن منه وقد جرى عليه كثير من كلامه عليه الصلاة والسلام فمن ذلك ماحدثنا به يوسف الامام بواسط قال : حدثنا محمد بن خالد بن عبدالله أبوشهاب عن عوف عن زرارة بن أبي أوفى عن عبدالله بن سلام قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة انجفل ـ اسرع ـ الناس قبله ، فقيل قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئت في الناس لأنظر إليه فلما تبينت وجهه عرفت أنه ليس بوجه كذاب ، فكان أول شيء تكلم به أن قال : (أيها الناس أفشوا السلام وأطعموا الطعام وصلوا الأرحام وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام) رواه الترمذي وقال حسن صحيح وكان صلى الله عليه وسلم ربما غير الكلمة عن وجهها للموازنة بين الألفاظ وإتباع الكلمة اخواتها كقوله صلى الله عليه وسلم :

(ارجعن مأزورات غير مأجورات) ابن ماجه عن علي بن أبي طالب وأبويعلي في مسنده من حديث أنس .

وإنما أراد موزورات من الوزر ـ وهو الذنب ـ فقال مأزورات لمكان مأجورات قصدا للتوازن وصحة التسجيع . فكل هذا يؤذن بفضيلة التسجيع على شرط البراءة من التكلف والخلو من التعسف .

أما ابن سنان الخفاجي فيقول في كتاب « سر الفصاحة » : وبعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيرا وحجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف وتعمل واستكراه فأذهب طلاوة الكلام وأزال ماءه وحجة من يختاره أنه مناسبة بين

الألفاظ يحسنها ويظهر آثار الصنعة فيها ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى وكلام النبي صلى الله عليه وسلم والفصيح من كلام العرب وكما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه ، كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلا متيسرا بلا كلفة ولامشقة وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون موافقة لفظه .

ثم يقول : وأما الفواصل التي في القرآن الكريم فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعا وفرقوا فقالوا :

إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه والفواصل التي تتبع المعانى ولاتكون مقصودة في أنفسها وقال علي بن عيسى الرماني :

إن الفواصل بلاغة والسجع عيب وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تتبعه المعاني والفواصل تتبع المعاني وهذا غير صحيح والذي يجب أن يحرر في ذلك أن يقال : إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول على ماذكرناه والفواصل على ضربين :

ضرب يكون سجعا وهو ماتماثلت حروفه في المقاطع وضرب لايكون سجعا وهو ماتقابلت (كذا والصواب : ماتقاربت) حروفه في المقاطع ولم تتماثل ولايخلو كل واحد من هذين القسمين - **أعني المتماثل والمتقارب - من أن يكون** يأتي طوعا سهلا وتابعا للمعاني وبالضد من ذلك حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض .

فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ماهو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة فمثال المتماثلة قوله تعالى :

(والطور * وكتاب مسطور * في رق منشور * والبيت المعمور) سورة الطور ١ - ٤ . وقوله عز وجل :

(طه * ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى * إلا تذكرة لمن يخشى * تنزيلا ممن خلق الأرض والسماوات العلى * الرحمن على العرش استوى) سورة طه ١ - ٥ . وقوله تبارك وتعالى : **(والعاديات ضبحا * فالموريات قدحا * فالمغيرات صبحا * فأثرن به نقعا * فوسطن به جمعا)** سورة العاديات ١ - ٥ . وقوله تعالى : **(والفجر * وليال عشر * والشفع والوتر * والليل إذا يسر * هل في ذلك قسم لذى حجر)** سورة الفجر ١ - ٥ . وقوله عز من قائل **(ألم تركيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذي الأوتاد * الذين طغوا في البلاد * فأكثروا فيها الفساد)** سورة الفجر ٦ - ١٢ ولم تذكر الياء من (يسرى

والـوادي) للمـوافقـة في الفواصل . وقوله تعـالى (**اقتربت الساعة وانشق القمر * وإن يروا آيـة يعرضـوا ويقولـوا سحـر مستمر**) سورة القمر ١ ، ٢ وجميع هذه السور على هذا الازدواج ، وهذا جائز أن يسمى سجعا لأن فيه معنى السجع ولامانع في الشرع يمنع من ذلك ومثال المتقارب في الحروف قوله

تبارك وتعالى (**الرحمن الرحيم * مالك يوم الدين**) سورة الفاتحة ٣ ، ٤ وقوله سبحانه (**ق والقرآن المجيد * بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقـال الكافـرون هـذا شيء عجيب**) سـورة ق ١ ، ٢ وهـذا

لايسمى سجعا لأنا قد بينا أن السجع ماكانت حروفه متماثلة ، فأما قول الرماني : إن السجع عيب والفواصل بلاغة ـ على الاطلاق ـ فغلط لأنه إن أراد بالسجع مايكون تابعا للمعنى وكأنه غـير مقصود فـذلك بـلاغة والفواصل مثله وإن كان يريد بالسجع ماتقع المعاني تابعة له وهو مقصود متكلف فذلك عيب والفواصل مثله وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تماثل الحروف كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل مافي القرآن فواصل ولم يسموا ماتماثلت حروفه سجعا رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام المروي عن الكهنة وغيرهم وهذا غرض في التسمية قريب فأما الحقيقة فما ذكرناه لأنه لا فرق

بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعا وبين مشاركة جميعه في كونه عرضا وصوتا وحروفا وكلاما وعربيا وهـذا مما لايخفي فيحتاج إلى زيادة في البيان .

ومما يذكره هؤلاء مستدلين به على اثبات السجع في القرآن الكريم وقوع بعض الأحكام في آخر الآي مراعاة للمناسبة وذكر بعضهم منها مايزيد على أربعين حكما (ذكرها شمس الدين بن الصائغ الحنفي في كتابه المسمى احكام الرأي في إحكام الآي وذكرها السيوطي في كتاب الاتقان نقلا عنه) . من ذلك تقديم خبر كان على اسمها نحو (**ولم يكن له كفوا أحد**) الاخلاص / ٤ ومنها تقديم الفاضل على الافضل نحـو (**برب موسى وهارون**) الشعراء / ٤٨ ومنها تقديم الضمير على مايفسـره نحو (**فأوجس في نفسه خيفةً موسى**)

طه / ٦٧ ومنها حذف ياء المنقوص المعـروف نحو (**الكبـير المتعال**) الرعد / ٩ (**يوم التناد**) غافر/ ٣٢ ومنها حذف ياء الاضافة نحو (**فكيف كان عذابي ونـذر**) القمر و (**فكيـف كـان عقـاب**)

الـرعد / ٣٢ ومنهـا صـرف مـالا ينصرف نحو (**كانت قواريرا**)

الانسان / ١٥ ومنها ايثار تذكير اسم الجنس كقوله (**اعجاز نخل منقعر**)

القمر / ٢٠ ومنها إيثار تأنيث اسم الجنس نحو (**أعجاز نخل خاوية**) الحاقة / ٧ إلى غير ذلك .

سادسا : الذين نفوا وجود السجع في القرآن الكريم : وعلى

رأس هؤلاء أبوالحسن الأشعري وأصحابه والجاحظ وأبوبكر الباقلاني الذي يقول في كتاب إعجاز القرآن :

« وذهب أصحابنا كلهم إلى نفي السجع من القرآن وذكره الشيخ أبوالحسن الأشعري رضي الله عنه في غير موضع من كتبه » إلى أن يقول :

« فبان بما قلنا أن الحروف التي وقعت في الفواصل متناسبة موقع النظائر التي تقع في الأسجاع لايخرجها عن حدها ولايدخلها في باب السجع » ..

وأما ما ذكروه من تقديم موسى على هارون عليهما السلام في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع الكلام فليس بصحيح لأن الفائدة عندنا غير ما ذكروه وهي أن إعادة ذكر القصة الواحدة بألفاظ مختلفة تؤدي معنى واحدا من الأمر الصعب الذي تظهر به الفصاحة وتتبين به البلاغة وأعيد كثير من القصص في مواضع كثيرة مختلفة على ترتيبات متفاوتة ونبهوا بذلك على عجزهم عن الاتيان بمثله مبتدأ به ومكررا .

ويمكن أن نلخص الحجج التي اعتمدوا عليها في رأيهم هذا على النحو التالي كما ذكر الامام جلال الدين السيوطي في « الاتقان » : قال القاضي (أبوبكر الباقلاني : ولو كان القرآن سجعا لكان غير خارج عن أساليب كلامهم ولو كان داخلا فيها لم يقع بذلك اعجاز ولو جاز أن يقال هو سجع معجز لجاز أن يقولوا شعر معجز وكيف والسجع مما كان تألفه الكهان من العرب ونفيه من القرآن أجدر بأن يكون حجة من نفي الشعر لأن الكهانة تنافي النبوات بخلاف الشعر وقد قال صلى الله عليه وسلم :«أسجع كسجع الكهان ؟» فجعله مذموما وقال وماتوهموا أنه سجع باطل لأن مجيئه على صورته لايقتضي كونه هو لأن السجع يتبع المعنى فيه اللفظ الذي يؤدي السجع وليس كذلك ما اتفق مما هو في معنى السجع في القرآن لأن اللفظ وقع فيه تابعا للمعنى .

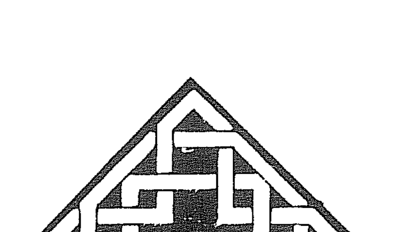
وفرق بين أن ينتظم الكلام في نفسه بألفاظه التي تؤدي المعنى المقصود منه وبين أن يكون المعنى منتظما دون اللفظ ومتى ارتبط المعنى بالسجع كان إفادة السجع كإفادة غيره ، ومتى انتظم في المعنى بنفسه دون السجع كان مستجلبا لتحسين الكلام دون تصحيح المعنى قال : وللسجع منهج محفوظ وطريق مضبوط من أخل به وقع الخلل في كلامه ونسب إلى الخروج عن الفصاحة كما أن الشاعر إذا خرج عن الوزن المعهود كان مخطئا ، وأنت ترى فواصل القرآن متفاوتة بعضها متداني المقاطع وبعضها يمتد حتى يتضاعف طوله عليه ، وترد الفاصلة في ذلك الوزن الأول بعد كلام كثير ،

وهذا في السجع غير مرضي ولامحمود قال: وأما ماذكروه من تقديم موسى على هارون في موضع وتأخيره عنه في موضع لمكان السجع وتساوى مقاطع

الكلام فليس بصحيح ... الخ .

وفي النهاية نحب ان ننبه القارىء الكريم إلى أن كثيرا من المفسرين قد عنوا ببيان الأسرار البلاغية التي يحويها القرآن الكريم في كل فاصلة من فواصله ومن هؤلاء المفسرين الفخر الرازي في تفسيره الكبير وأبوحيان الأندلسي في البحر المحيط وجارالله الزمخشري في الكشاف كما عنى بذلك الفيروز أبادي في بصائر ذوي التمييز .

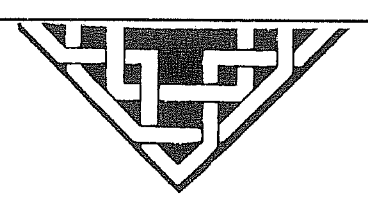
والرأي عندنا أن استعمال كلمة الفواصل بالنسبة للقرآن الكريم أصوب من استعمال كلمة السجع وذلك حتى يكون للقرآن تفرده وقداسته ، وحتى نسد الباب على كل من يريد أن يصف القرآن الكريم بما يروق له من ألفاظ لاتليق بجلال القرآن الكريم لكونه كلام الله عز وجل . ولقد كان الأشاعرة ـ ومن لف لفهم ـ على حق حين منعوا أن يطلق على القرآن الكريم لفظة السجع وإن كنا لانسلم معهم بكل ماساقوه من أدلة في هذا الشأن .

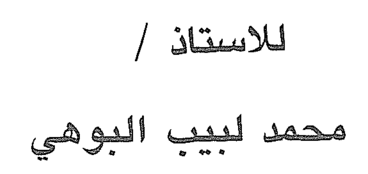


من دعاء ابراهيم عليه السلام

قال الله تعالى ـ حكاية عن ابراهيم ـ : « ربنا إني أسكنت من ذريتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون »

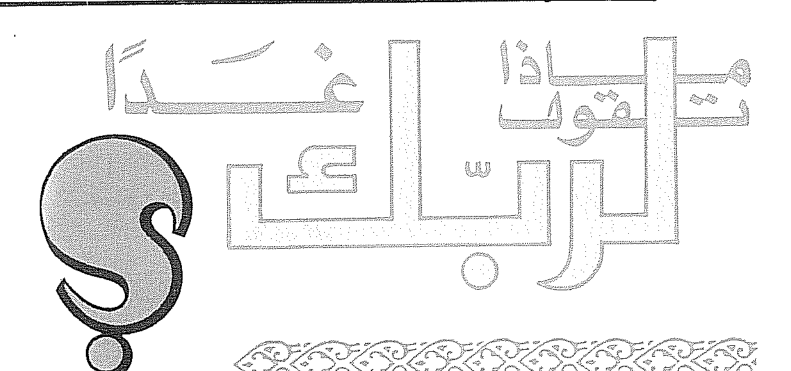
الآية ٣٧ من سورة ابراهيم







في يوم المرجع والمآب



كان امير المؤمنين عمر رضي الله عنه على ماورد عنه معروفا قبل إسلامه بالعنف وشدة المراس ، فما أن أعلن إسلامه حتى أصبح من أرق الناس قلبا وأكثرهم بالضعفاء رحمة وعطفا .

وهذا التغير من الضد الى الضد بين يوم وليلة يبدو في حكم العادة مخالفا لطبيعة الأمور والأشياء .. غير مألوف في موازين الطباع والعادات . ذلك ان الطبع هو محصلة ممارسة طويلة عبر سنوات كثيرة حتى تتمكن العادات من النفس .. وتلتصق بها وتصبح جزءا من صاحبها ملازمة له ، فلا يمكن الخلاص من إسارها فجأة بمعنى أن يبيت المرء الذي تمكنت عادة الغضب السريع منه مثلا ذات ليلة .. ثم يصبح في اليوم التالي فجأة وقد صار حليما هادىء الطبع لا ينال منه الانفعال الذي كان جزءا من طبعه المتمكن عبر السنوات الطوال .. إلا ان يحدث في أعماق النفس زلزال مفاجىء يرجها رجا .. كما يكون الأمر عندما يثور بركان في الطبيعة فيزلزل المكان ويختفي ما كان فوق السطح وقد طغى عليه ما كان في باطن الأعماق ..

وهذا ما حدث لطبيعة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لقد زلزلت قوة العقيدة القوية اعماق نفسه .. فكان هذا التحول الذي صار مضرب الأمثال ، إن مرآة المعدن الاصيل الكامنة في أغوار الأعماق قد زالت عنها الغواشى بقوة اليقين المتكامل الذي وجد نفسه أمامه وجها لوجه .. فرأى ربه بصورة فوق العادة .. فأمسكت العقيدة القوية بزمام النفس وألزمتها المسير على الخط الجديد المستضيء بنور الله .

لقد سأله الذين أخذهم العجب من هذا التحول .. فشرح لهم أنه منذ اللحظة الأولى عندما أسلم وجهه لربه .. وعلم انه حتما سوف يلقاه ألزم نفسه أن تستعد بالجواب لسؤال آت لاريب فيه « ياعمر ماذا تقول لربك غدا »

وعلى ضوء هذا الشعار سارت به أيام الحياة .

لقد صار على يقين من موقف اللقاء في اليوم الموعود .. فكان الاستعداد الدائم للاجابة على سؤال الله هو الزلزال الذي رجَّ العادات والطباع رجًّا من الأعماق .. فأصبحت البصيرة تقود البصر ، وغمرت النفس أنوار الحكمة ، إنه على يقين بأنه تحت عين الله في الحركة ، في السكون ، في النوم ، في القيام ، في الصلاة ، في لقاء الناس ، كل هذه امتحانات وتجارب وأسئلة تفرض نفسها . وعليه ان يكون مستعدا دائما للجواب (ماذا تقول لربك غدا) ؟

إن القلب والفؤاد يفيضان بهذا المعنى ـ والضمير في يقظة مستمرة ونبض الثواني محسوب في ميزان الآخرة .. إنه سيواجه حتما كل هذا فهو يعيش منذ لحظة إسلامه الى أن يشاء الله في ظل هذا الشعار ـ ماذا تقول لربك غدا .؟

في ظلال الشعارات المختلفة

وقصة اتخاذ كثير من الناس شعارا لهم هو أمر شائع حتى في ايامنا المعاصرة .. ولكن قلما يؤتي الشعار عندهم ثماره .. فأنت تجد إنسانا سريع الانفعال يبغى ان يعالج امر نفسه ويردها الى بعض الحلم فيضع أمامه شعارا مكتوبا يقول : «الحلم سيد الاخلاق » ويحاول مرارا أن يكون منفذا لهذا الشعار ولكن هيهات ، لأن الشعار ليس صادرا من قلب غزته انوار اليقين .. وكذلك من الناس من يكون شديد القلق من أجل أمر يهمه فيضع أمامه شعارا يقول :

الصبر مفتاح الفرج ، ولكن قلما يوافيه الصبر الذي ينشده .. لأنه ليس إلا مجرد كلمات ميتة على الأوراق .. بل إن من الناس من يتخذ شعارا ليسترشد به في أداء عكس ماتعنيه كلمات الشعار .

ولكن هذه الشعارات التي لا تنبع من أعماق النفس قلما تعود على صاحبها بخير ..

والعلاج الشافي هو اليقين

إن الفرق بين ما صار اليه امر عمر رضي الله عنه حين صار شعاره نصب عينيه مختلطا بكل نفس من حياته وبين الشعارات غير المثمرة عند الآخرين هو الزلزال الذي يرج النفس من الاعماق فيطرح عنها بقوة عاداتها التي تريد الخلاص منها .. إنه اليقين الذي يأتيه بالمدد الأعلى ويمده بقوة قادرة على قهر الماضي والسير الى الأمام محفوفا بالعناية وهذا هو لب الايمان الذي يتفاوت ايجابا وسلبا عند الناس فيكون يقين الايمان كمثل النور الذي يضيء عند اكتماله طريق الحياة من لحظة البداية الى أن يلقى الله ، وهكذا كان عمر - على حين أن نور الايمان عند كثير من الناس كمن يحمل في يده عود ثقاب لايكاد يضيء موضع قدميه .

إن اليقين من أعظم المواعظ وهو الحقيقة التي لا مفر منها ولا مناص .. وهذه الحقيقة هي الباب الذي سوف يمر منه كل حي إن قريبا او بعيدا حين يطرق عليه الموت ابواب نفسه .. فالموت هو باب اليقين ولذلك فإن من يستحضر معالمه في نفسه دوماً فقد وقف على ابواب النجاة ..

لحظات مع معاذ بن جبل

ولنعش لحظات مضيئة في أنوار هذه المعاني مع صحابي جليل .. فقد سأل رضي الله تعالى عنه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا : يارسول الله أوصني فأوصاه النبي صلى الله عليه وسلم بأن يذكر ربه عند كل حجر وعند كل شجر ، وأوصاه اذا عمل سيئة ان يعمل بجانبها حسنة تمحوها ، السر بالسر والعلانية بالعلانية .

ومتى حاول الانسان في حياته ان يكون دائما في ظل اليقين فسوف يظل دوماً تحت عين الله مدركا أنه سبحانه يراه وسوف يجاهد مرة بعد مرة أن يتجاوب مع هذه الرؤية وذلك بأن يجعل الله أمامه متمعناً في آثار قدرته مستحضرا ذات المكون قبل أي تكوين صغيرا أو كبيرا ، فإذا رأى شجرة جميلة مثلا سبق هذه الرؤية الحسية التفكر في تكوينها البديع حيث كل ورقة في اعلاها وهى على ارتفاع أمتار كثيرة من جذعها يأتيها رزقها من الماء والضوء وغيرهما والشجرة ذاتها ليس في داخلها آلات معملية لأداء هذه المهمة التي يعجز عنها البشر ..

وهذا المثل هو بعض ما نعنيه حين يقال لنا أن نعبد الله كأننا نراه والمقصود أن يسبق الينا دائما رؤية آثار آياته وأفضال رحمته حين النظر الى اى شيء محسوس وبتكرار هذه المشاهد يكون اليقين الذي ينادينا من اعماقنا دائما وكأنه يهتف بكل واحد منا ماذا ستقول لربك غدا ؟

حين نتعود أن نرى الله

وحين تحاول أن تعبد الله كأنك تراه فسوف تصبح وكأنك لا ترى شيئا معه ، وذلك المسار يتطلب دائما

ـ لا سيما في البداية ـ جهاد النفس وحملها على ذلك .. لأن الأمر في بدايته قد يكون ثقيلا في العادة .. فالنفس بينها وبين ربها من واقع الحياة الأرضية البحتة حجب يجب الاجتهاد في إزالتها حتى ندرك يقينا ان ما سوى الله إنما هو مجرد ظل أو خيال ومن الناس من يبلغ هذا المجال ذوقا ..

ومنهم من لايتأتى له ذلك إلا باجتهاد مستمر .. يبدأ بامتلاء القلب بحب الله والشوق اليه .. والترحيب بساعة لقائه .. والاستعداد للموت الذي هو باب اليقين .. وليس الحديث عن الموت ارهاباً لترك الدنيا او الفرار منها ، إذ الدنيا في الحقيقة هي حقل العمل للأخرة فيها تزرع ليكون الحصاد هناك ..

الوصول الي عين اليقين

واليقين على ضوء ما تقدم هو محاولة للانتقال الى عين اليقين .. وقد نستطيع أن نضرب مثلا باليقين ..

وعلم اليقين .. وعين اليقين .. كمن سمع بوجود مصنع للسكر في بلدة بعيدة فهو في شك من أمر وجود هذا المصنع لأنه لم يره ولكنه حين يرى قافلة آتية من ذلك المكان البعيد فإنه سيعلم بوجود المصنع هناك .. ولكن إنسانا أخر استطاع ان يتقدم نحو هذه البلدة حتى رأى المصنع وحام حوله متأكدا من وجوده .. أما حين يدخل المصنع ويتذوق بنفسه حلاوة إنتاجه فذلك هو عين اليقين فسعد بذلك وأصبح مسرورا بما ذاق وعرف ..

ولما كان لب الايمان وجوهره هو التدرج في المزيد من الايمان بحيث لايجد الانسان سعادة الا في السير دائما الى مولاه .. خطوة بعد خطوة ..

فإنه يتعين على ذلك أن يستقر في نفس كل انسان حبه لمولاه متلذذا سعيدا بتحقيق المزيد من ذلك الحب .. وبذلك يكون دائما على الطريق السوي للصراط .. سعيدا في دنياه قبل اخراه لا يخاف اذا خاف الناس ولا يحزن اذا حزنوا ..

الاساس هو تقوية النفس على حب الله

متى عرف الانسان طريقه الى الحب الالهي عاش في هذا اليقين قرير العين لأنه لم يعد يخشى في دنياه شيئا ، لأن أكبر ما قد يصيبه في دنياه هذه هو الموت ، وهو في حقيقته باب الوصول الى المحبوب الأعظم .. ولذلك فرح الصحابي الجليل عندما وافته ساعة موته

مرددا في سرور : غدا ألقى الأحبة محمداً وصحبه .

ماذا تقول لربك غدا ؟

ولذلك فإن من موازين اليقين ان يتصور المؤمن نفسه عند كل قول أو عمل أو حال أنه أمام ربه .. وبذلك

يراجع نفسه في كل خطوة ويسأل نفسه ماذا أعددت من جواب عن هذا كله فإنك يقينا سوف تسأل .؟ ولا بأس أن يتصور في خياله ميزانا ذا كفتين ويتصور ماذا يضع عند كل قول او عمل او حركة في هذه الكفة أو تلك ؟

فالانسان في الحقيقة يبنى داره التي سيخلد فيها هناك من خلال كل خطوة في هذا السبيل .. أعنى من خلال كل عمل أو قول أو حركة في أية لحظة من اللحظات ..

إن مثل هذا التصور الذي ربما يبدو للبعض بديهيا او ساذجا قد يكون من الصعب تصوره عند ممارسة الحياة اليومية ولكنه سوف يصبح سهلا ميسرا تلقائيا عندما يتعود ذلك ، فالعادات تلازم صاحبها دائما حين تتمكن منه دون ان يلقي إليها بالا .. إننا من خلال ذلك سوف نتذوق في أيامنا الكونية حلاوة المسير نحو الغاية العظمى .. نحو الحبيب الأعظم .. نحو الله .

خطوات الطريق :

إن الحب الالهي يبدأ من يقين المعرفة بتعود التفكر والتأمل في آثار بديع صنعه سبحانه ، والتفكر في القوانين المحكمة التي تقود كل شيء في الوجود .. من مثل هذه البداية سوف نتبين ما تطمئن به النفس الى حقيقة صلته بربه وأنه ليس متروكا لنفسه وأن منافذ الخير مفتحة الأبواب وان رحمة الله محيطة به في كل حين .

إن الانسان قد خلق للخلود .. وإنه ببصيرة الايمان يستطيع أن يحيط بالكون كله .

ولن ينتهي أمر الانسان الى الفناء أبدا .. فالروح حين تنتهي من تجربتها الأرضية ويفتح لها الباب الى ما وراء عالم الشهادة سوف تبصر على الفور في لحظات الانتقال من المباهج مالا يستطاع وصفه ..

تلك هى الروح المباركة المطمئنة التي سوف تحف بها ملائكة الرحمن لتطوف بها في رحاب الخلد ثم تسلمه الى مكانه في برزخه حيث ستكون الراحة العظمى في انتظار الحساب وهو مطمئن القلب بما جاءته من البشريات .

لن يستطيع حساب مالا حصر له من نعم الروح هنالك حتى في برزخ الانتظار عند لقاء الأرواح مع الآباء والأجداد .

فلنكن دائما على استعداد :

ومادام المرء على يقين من اللقاء وعلى يقين من سعادة الجزاء .. فإن الاستعداد لهذا هو في ذاته عمل طيب وراحة وسعادة دنيوية مع كل خطوة تقربنا الى الله حيث تكون خطواتنا تلك مشرقة بأنوار الهداية حيث يهدى الله المجاهدين فيه سواء السبيل .. إن ذلك يقتضى المراجعة حينا بعد حين لتصحيح خطوات المسير عاملين دائما على ان تزداد البصيرة اشراقا ابتداء من المجاهدة .. الى المراقبة .. الى المشاهدة .:.

ولن يأخذنا همّ كبير إذا مانسينا أو أخطأنا فالتوبة كنز المؤمن .. وهى تمحو كل ما سبق من سيئات إذا ما اتجهنا بقوة الى الباب المفتوح آناء الليل وأطراف النهار ، فلن يضيق صدر مؤمن أبدا مادام على الطريق يعود الى خط مساره وقد طوحت به في فترات الضعف بعض الأهواء .

(إلا الذين تابوا وأصلحو وبيّنوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم) البقرة / ١٦٠ .

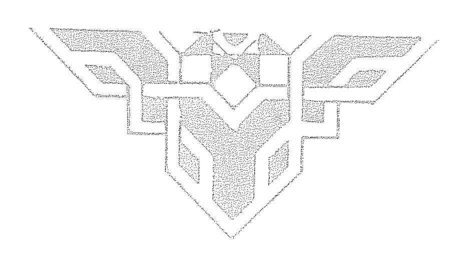
تلك بعض البينات من شعار عمر ابن الخطاب الذي ما أعظم سعادة كل نفس اذا ما اتخذته لها نبراسا « ماذا تقول لربك غدا » ؟

إن المرء حين يعيش في رحاب هذا الشعار فإنه لن يقف عند مجرد التلذذ بسيطرته على النفس ، فلسوف يتذوق حلاوة الترقي من مجرد العبادة بالبدن .. الى عبادة البدن والقلب ..

الى التدرج مع أنوار الروح حتى يطرق أبواب عالم السر .. إن نوره المتزايد سوف يسعى بين يديه في الطريق

الصاعد الى رحاب أنوار الشهود حتى يتضاءل الكون كله في ميزان

حسناته .. إنه بهذا الشعار سوف يعلو على الدنيا وزخرفها .. بل وعلى الجنة ونعيمها .. لقد صار ربانيا .. فماذا تقول لربك غدا .



لا تجزع

قال الشاعر :

ولا تجزع اذا اعسرت يوما فقد ايسرت في الزمن الطويل
ولا تظنن بربك ظن سوء فان الله اولى بالجميل

وان العسر يتبعه يسار وقول الله اصدق كل قيل
فلو ان العقول تسوق رزقا لكان المال عند ذوي العقول



المحن حتمية الوقوع في حياة الناس

ان المحن في حياة الناس حتمية الوقوع والحدوث بشكل أو بآخر، لأنها متلازمة مع منهج الحياة ذاتها، فطالما ان هناك حياة؛ فلا بد إذن من المحن، ولا تنتفي المحن إلا إذا انتفت الحياة ذاتها. والآيات القرآنية التي تحدثت عن الفتن والابتلاء في حياة الانسان كثيرة، وهي تؤكدها كنتيجة حتمية للحياة. قال الله تعالى: « **إنا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا** » (الكهف : ٧) ويقول سبحانه : « **الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا** » (الملك : ٢) ويقول : « **وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم** » (الانعام : ١٦٥) « فزينة الارض » الماثلة للعيان، والحقيقة الثابتة للاذهان، « والحياة والموت » القضية اليقينية التي لا ينكرها انسان، مهما تعددت مشاربه، أو اختلفت نظرته، أو انتماؤه الفكري، أو العقائدي (الأيديولوجي)، « واختلاف درجات الناس » في معاشهم ووظائفهم وغناهم وملكاتهم ... إلخ، هذه الفروق التي لا تحتاج الى دليل، وكلها

حقائق ثابتة واقعة لا ينكرها منكر ، وهي بالتالي أسباب تؤكد الحتمية الواقعة للابتلاء والمحن ، التي ذكرها الله سبحانه عقب كل حقيقة بقوله : « **لنبلوهم** .. **ليبلوكم** .. » بل ان عملية خلق الانسان ذاتها كانت من البداية تقود الى هذا المصير ، وتصب في هذا المجرى : « **إنا خلقنا الانسان من نطفة أمشاج نبتليه** » (الانسان : ٢) .

فالابتلاء حاصل لا محالة ، شاء الانسان أم أبى ، حاول واجتهد أم ترك الأمور تجري في اعنتها ، فهذا قدره الذي لا ينفك عنه .

والمحن مختلفة الوجوه ، متعددة الجوانب ، متباينة الأثر . وليس شرطا ان تصيب كلها انسانا واحدا بعينه ، أو تصيبه احداها وتخطئه أخرى ، ولكنه لا بد له من أن يكابد محنة ما من محن الحياة الدنيا ، طالما أنه يعيش هذه الحياة .

الصالحون أكثر الناس ابتلاء قضية بلبلت فكر الكثيرين

والمتتبع لمجرى المحن ، يجد أنها تصيب الصالحين أكثر من غيرهم ، إما من ناحية العدد ، أو من ناحية العمق ، ومصداق ذلك في حديث مصعب بن سعد عن أبيه (رضي الله عنه) قال : قلت : يا رسول الله ، اي الناس أشد بلاء ؟ قال : الانبياء ثم الأمثل فالأمثل ، يبتلى الرجل على حسب دينه ، فإن كان دينه صلبا اشتد بلاؤه ، وإن كان في دينه رقة ، ابتلاه الله على حسب دينه ، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يمشي على الارض وما عليه خطيئة وفي حديث أنس (رضي الله عنه) : « ... وإن الله تعالى إذا أحب قوما ابتلاهم » .

وهذه قضية بلبلت فكر بعض الناس ، حيث سقطوا في هوة الحيرة والشك ، لأنهم رتبوا في أذهانهم على الصلاح والاستقامة الرضى الإلهي ، ومن ثم التوفيق في الحياة ، أو السعادة المبتغاة ، فرأوا ما يناقض ذلك في سنن الكون ، حيث يبتلى من يحب الله عز وجل ، ويسعد فيها من يعصيه !!

ولكن المتمعن في هذه الحياة ، يعرف أنها لا قيمة لها إلا بقدر ما يحسن الانسان فيها ، وهي قنطرة إلى الآخرة ليس إلا . ومن أجل ذلك صرف الله أحبابه عنها ، وزواها عنهم ، حتى لا تفتنهم فتهلكهم ، وما النعيم الظاهري الذي ينعم فيه العصاة إلا لهوانهم على الله ، فهو يمد لهم في الغي والمعصية مدا ، حتى إذا أخذهم لم يبق لهم عذرا ، وأخذهم أخذ عزيز مقتدر . وفي حديث عبدالله ابن مسعود (رضي الله عنه) : « وان الله عز وجل يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا من أحب ... » وفي حديث سهل بن سعد الساعدي (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافرا منها شربة ماء » ولذلك كان الابتلاء محبة من الله لمن يحب ، لأنه أراد له الخير ، ففي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال رسول الله (صلى الله عليه

وسلم) : « من يرد الله به خيرا يصب منه » .

ويتضح مما تقدم أن طريق الدعوة الى الله ليس سهلا ولا هينا ، ولا مفروشا بالورود والرياحين ، بل كله صعوبات وعقبات وأشواك وابتلاء ، لأن نتيجته ومحصلته الجنة ، وهي سلعة الله الغالية ، وفي حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : « حفت النار بالشهوات ، وحفت الجنة بالمكاره » .

ولسنا نسوق هذا الكلام لنوهن العزائم ، أو نصرف القلوب عن طريق الاستقامة ، طريق الله عز وجل - حاشا لله - ولكن لنكشف الطريق للصالحين ، للدعاة ، وننبه الى خطورة مزالق الشيطان ووسوسته ، حتى تثبت الاقدام ، ولا تتزلزل القلوب ، ويعلم الناس أن الدنيا مهما كبرت ، ومهما نال الانسان فيها من نعيم أو شقاء ، لا تعدل بجانب الآخرة شيئا ، وصدق الله العظيم : « .. **فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة إلا قليل** » (التوبة : ٣٨) .

متى تكون المحنة «منحة» إلهية ؟

ولقد اقترنت المحن في أذهان الكثيرين بالمصائب ، فهم لا يرون منها إلا الوجوه المظلمة ، فما ان تقع بساحة انسان حتى يسارع الناس إلى الاسترجاع والحوقلة ، وفي ظنهم أنها شر محض ، وسوء خالص .

ولكن ، يا ترى .. هل المحنة مصيبة فقط ؟ أم أن المحنة « منحة » إلهية ظاهرها السوء ، وباطنها الرحمة بالانسان ، لأنها تكشف له الحقائق الأزلية التي تشغله عن ادراكها مشاغل الحياة ؟

إن المحنة منحة الهية اذا خالطها العقل المفكر المراقب المستفيد ، ولذلك نجد أن للمحنة وجوها مضيئة لا يعقلها إلا نفر قليل ممن أنعم الله عليهم بنور البصيرة .

ورغم تعدد الوجوه المضيئة للمحنة ، إلا أن الناس يتفاوتون في اكتشاف كنه هذه الوجوه ، فمنهم من يضع يده على الكثير منها ، ومنهم من لا يكتشف إلا القليل .

وجوه مضيئة للمحنة

ومن الوجوه المضيئة للمحنة :

١ - **كشف الأصدقاء** : حيث يعيش الانسان في مجتمع ما ، في عافية وستر ، فيكثر حوله الأصدقاء ، وتتعدد المعارف ويتوالى الزملاء ، حتى تعجز الذاكرة عن إحصائهم ، والانسان في ظل هذه الكثرة الكاثرة من الناس يعيش في وهم كبير ، لا يوقظه منه إلا المحنة ، حيث يكتشف عند وقوعها أنهم أصدقاء العافية والغنى والجاه ، وليسوا أصدقاء الانسان لذاته ، ورحم الله الشاعر إذ يقول :

فما أكثر الاخوان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل

فما إن تقع المحنة ، ويشعر الاصدقاء المزيفون أن القرب من الممتحن (بالفتح) مظنة الضرر ، أو أنه في حاجة اليهم ، أو يحتمل أن

يحتاج إليهم ، حتى ينقضوا من حوله ، ويتناسوا صداقته ، ويدرسوا دعوى أخوته ، ورحم الله الإمام الشافعي إذ يقول :

وأنت أخي ما لم يكن لي حاجة
فإن عرضت ؛ ايقنت أن لا أخاليا

وفي يقيني أن المحنة هي الكاشفة المبدعة لاخلاق الناس ، حيث تفضح النفوس ، وتزيل الاقنعة ، وتكشف الستور . فإذا كانت المحنة تتطلب ، أو تكشف جانبا واحدا من أخلاق الممتحن (الذي وقعت عليه المحنة) فإنها تكشف في أصدقائه ـ أو زاعمي محبته وصداقته وأخوته ـ عدة جوانب أخلاقية . فالمحنة تتطلب من الممتحن خلقا واحدا ، وهو الصبر . ولكنها تكشف في زاعمي صداقته ومودته وأخوته اربعة جوانب خلقية على الأقل وهي : الوفاء،الشجاعة ، البذل،والتضحية .

والناس في الاخلاق الفاضلة درجات ، وكل حسب مستواه ، فخلق الوفاء مثلا عند الناس متفاوت . فهذا وفي بمقدار عشرة في المئة ، وذاك بعشرين وثالث بسبعين ... وهكذا . وعظمة المحنة تتجلى عندما تكشف لك هذه المستويات عند عدد من اصدقائك في زمن محدد ، وتحت ظروف واحدة ، من الصعب عليك معرفتها في الظروف العادية .

ولو طبق الممتحن هذا المقياس على اصدقائه ليعرف موقفهم ومستوى الاخلاق عندهم ، لسقط في هوة الاخلاق المتردية التي يسترها الناس بأقنعة النفاق الكثير .

والانسان لا يأسى على هذه الفئة من الناس ، لأنه لا فائدة منها ، ولا أخوة صادقة عندها ، هل يأسى الانسان على الاوراق الجافة الميتة التي فقد الامل فيها ، إذا هزت شجرتها عاصفة فأسقطتها ؟!! ولكني أجزم أنه يفرح فرحا لا حدود له عندما يرى بدايات الاوراق الجديدة ، وهي تشق طريقها وسط الاغصان ـ التي عرتها العاصفة من أوراقها الميتة ـ لتخرج إلى النور .

وكما أن المحنة تكشف أصحاب النفوس السيئة ، تكشف أيضا أصحاب المعادن الاصيلة الغالية . فهناك كثير من الاصدقاء والمعارف والزملاء ، صرفتك عنهم مشاغل الحياة ، ولم تقربهم المسافات البعيدة من قلبك ، أو تباعدت بهم أماكن العمل أو السكن أو طبيعة الحياة ومشاغلها ، فظننت أن المودة ماتت ، والمحبة تلاشت ، وإذا هم الناس حقا ، وهم المعادن النفيسة . ورحم الله القائل :

تصبر ففي اللأواء قد يحمد الصبر
ولولا صروف الدهر لم يعرف الحر

٢ ـ تعود الصبر : تعود الصبر ، الذي ينتج عنه صلابة العود . فالمحنة تخرج الممتحن من دفئه واستقراره الى العراء ، حيث الرياح الهوج ، والعواصف التي لم يحسب لها حسابا ، فيسارع إلى المجاهدة ليتكيف مع الواقع الجديد ، فيخرج من المحنة صلب العود ، قوي التحمل ، ففي حديث كعب بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « مثل

المؤمن كمثل الخامة من الزرع تفيئها الريح ، تصرعها مرة وتعدلها أخرى حتى تهيج . ومثل الكافر كمثل الأرزة المجذية على أصلها لا يفيئها شيء حتى يكون انجعافها مرة واحدة » .

٣ ـ تزرع في النفس الاخلاص والتجرد لله : فالانسان في حياته كلها يمر بمراحل من النجاحات المختلفة ، إلا أن لكل ناحية منها غوائلها ، فللغنى غوائله وللجاه غوائله ، وللسلطان غوائله ، وللقوة غوائلها ، وللعلم غوائله . وربما جمع هذه الغوائل كلها · الغرور والنظر الى الناس . وهي أمور منافية للاخلاص والتجرد ، وهي محبطة للعمل أيضا ، ولذا كانت المحنة منحة ربانية لمن يحبهم الله ، لأنها تخلصهم من الرياء ، وتخلص توجههم لله ، بعدما رأوا من واقع التجربة ان الدنيا ومن فيها وما فيها لا بقاء لها ولاثبات على حال .

٤ ـ تنمي خلق التواضع : فالانسان المتحن ذاق المر ، وتجرع الهموم غصصا ، وربما تعرض لما لا يرضيه . ومن كان هذا حاله ، ضعف الغرور عنده تدريجيا من خلال ترادف المواقف المحصنة لنفسه عليه ، حتى تلاشى الغرور تماما ، فأصبح لا يحس إلا بالهدوء والسكينة ، يشارك المساكين مشاعرهم ، ويقاسم الضعفاء أحاسيسهم . ومع مرور الأيام ، وتوالي المواقف عليه لا يبقى له إلا هذا الخلق ، وتلك الطباع .

٥ ـ معيار يقاس بها درجة الايمان يقول تعالى : « **آلم * أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون * ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين** » (العنكبوت : ١ ـ ٣) « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا أخباركم** » (محمد : ٣١) . فإن المحنة إذا نزلت بساحة إنسان ما ، فإما أن تحدث عنده سكينة وهدوءا واطمئنانا ، وإما أن تحدث جزعا وهلعا ، والمؤمن لا يجزع ولا يهلع ، ولكن يصبر ويسترجع ويحتسب « **إن الانسان خلق هلوعا * إذا مسه الشر جزوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين * الذين هم على صلاتهم دائمون * والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم** » ... الآيات من سورة المعارج (١٩/٢٥) وهي صفات المؤمنين بلا شك .

٦ ـ في ضوء المحنة تكون المراجعة والمحاسبة للنفس : وترتيب الأولويات ، فإن الحياة تعرك الانسان وتشغله ، وإذا به في خضمها كحاطب ليل ، يجمع من هنا وهناك ، ويسرف هنا ويقتر هناك ، فتضرب به الحياة يمينا وشمالا ، فإذا دخلت عليه المحنة من كل جانب ، فعمت وطمت ، لجأ الى الله ، واعتصم بالايمان ، فهدأت النفس بعد غليانها ، وسكنت الروح بعد جيشانها . فإذا هدأت العاصفة ، وصغرت المحنة ـ لأن كل شيء يبدأ صغيرا وينتهي كبيرا ، إلا المحن والمصائب فإنها تبدأ كبيرة وتنتهي صغيرة ـ أقول : إذا ما صغرت المحنة وقف المتحن امامها متأملا حياته ،

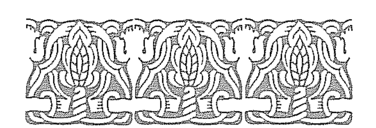
ماضيه ومستقبله ، وإذا به يفاجأ بأن من كان يظنه عمرا إذا به زيد ، ومن كان يظنه زيدا فإذا به عمرو . فيبدأ في مراجعة الحساب ، فيقدم ما حقه التقديم ، ويؤخر ما حقه التأخير ، فتنضبط عنده القضايا ، وتأخذ الأمور مجراها الطبيعي .

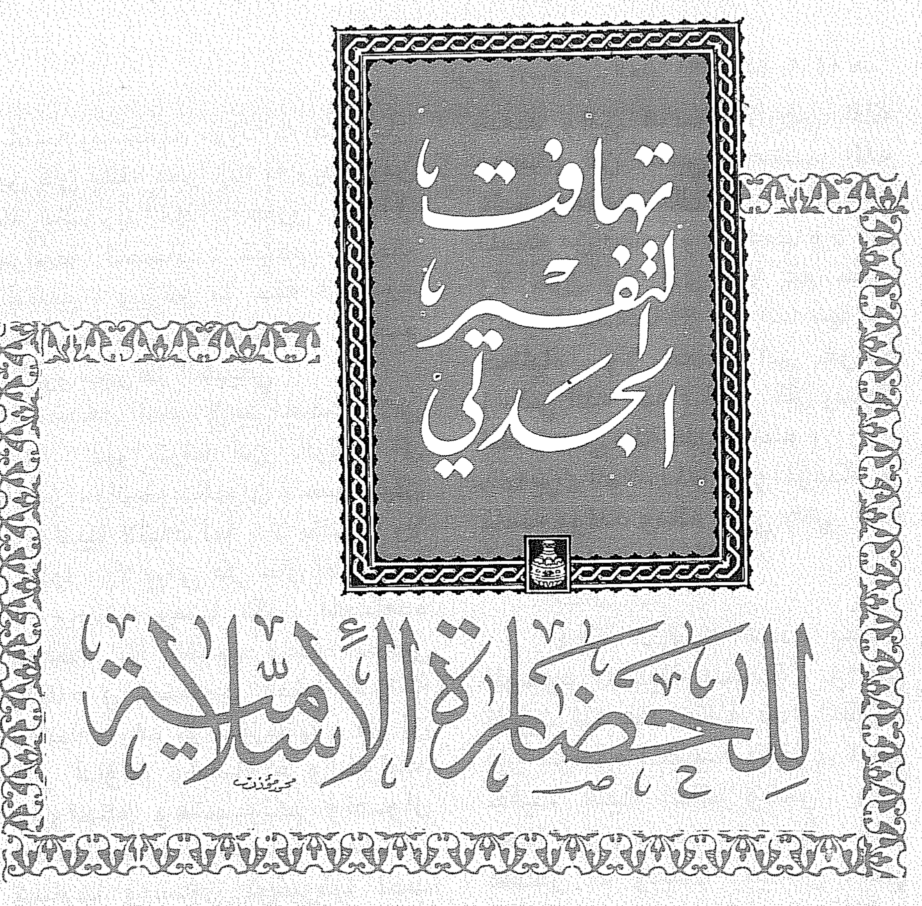
٧ ـ تجعل الدنيا في يد الممتحن لا في قلبه : فهو يترفع عن الركون الى الطين ، والرضى بالهوان ، حيث يتيقن ان الدينا لاثبات لها ، لا بنفسها ولا بأهلها ، ولا يبقى على حال إلا ما كان لله وحده ، وهنا تكون المجاهدة للصعود إلى القمم ، وعدم الرضى بالبقاء في حضيض الدنيا الزائلة الفانية ، رغم كل مغرياتها **« قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين »** (التوبة : ٢٤) .

٨ ـ مع الصبر عليها تكفر الذنوب : فإذا صبر الممتحن على ما أصابه ورضي بقضاء الله عز وجل ، خرج منها نقيا مأجورا . ففي حديث أبي سعيد وأبي هريرة (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : « ما يصيب المسلم من نصب ولا وصب ولا هم ولا حزن ولا أذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفّر الله بها من خطاياه » وفي حديث ابي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : « ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه وولده وماله حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة » .

.. وبعد

وإذا كانت هذه بعض الوجوه المضيئة للمحنة ، والتي ظهرت لنا عند كتابة هذا المقال ، فإن الوجوه المضيئة الأخرى التي خفيت علينا اعظم وأكثر ، وكل محنة لها وجوهها المضيئة ، وكل ممتحن له وضعه الخاص الذي يمكنه من استجلاء هذه الحقائق ، والاستفادة منها ومن خيرها ، وستظل المحن تنزل بساحة الناس جماعات وآحادا مادامت الارض والسماوات ، وسيظل الناس في اخذ ورد ، ودفع وشد ، الى ان يرث الله الارض ومن عليها ، فهذه سنته الجارية في خلقه الى قيام الساعة .





للاستاذ / معروف شبلي مجيد

كثيرة هي المحاولات المنظمة في تاريخنا الحديث والمعاصر التي تسعى جاهدة – في محاولة منها – لإفراغ الحضارة الاسلامية من مضامينها السماوية (الوحي) وكأنه وجود بشري صرف أفرزته مخاضات الجزيرة العربية بكل ماتنطوي عليه – تلك الجزيرة – من مظاهر التخلف والتقدم ، والبداوة والحضارة ، والانقسام والتحالف ، والقيم المادية والسمو الروحي الى ان بلغ اقصى توحده الجدلي في الاسلام ، مجال مطالعتنا الان .

أو أنه – أي الاسلام – كما يقول البعض الآخر – حالة طبيعية لانسيابية وصيرورة الحياة العربية حتى أفضى به إلى التشكل الجديد الذي أطلق عليه الاسلام –

أي إن الصلاة والصوم والحج والزكاة والنذور والكفارات وغيرها كان يعرفها الانسان العربي ، ولم تكن غريبة عن أجواء ومناخات الجزيرة العربية – بكل أبعادها الثقافية والاجتماعية بل والتشريعية .

ويبدو أن القائد البرتغالي « البوكيرك » - في القرن السادس عشر - ليس وحده الذي اتجه بمعداته وأسلحته عبر رأس الرجاء الصالح ، للالتفاف من خلف ظهور المسلمين والمرابطة على أبواب الخليج العربي حتى سواحل الهند ، وإنما هناك عقول من بني جلدتنا - مجازا - أخذوا على أنفسهم دور رأس الرمح لتمزيق وجودنا ، حضارة وقيما وثقافة ، وقطع أهم رابطة تربطنا بالله وهي رابطة (النبوة) .

التفسير التاريخي الجدلي (الديالكتيك)

لعل من الواضح أن الديالكتيك مدين بالشيء الكثير إلى الفيلسوف الألماني « هيغل » وإن كنا نقف على بعض ملامحه في عصور سبقت عصر هيغل من اليونان والرومان ، وكذلك في الفترة التي سبقت مجيء هيغل كذلك،بيد أن الدور الكبير في إرساء دعائم الديالكتيك وإعطائه أبعاده وملامحه الواضحة لاسيما على مستوى التجربة التاريخية - يعود بشكل خاص إلى هيغل . ثم استلّه بعد ذلك « ماركس » - مدعيا « أنه قد وضع الديالكتيك على قدميه بعد أن كان - عند هيغل - منتصبا على رأسه » .

ويمكن تعريف (الديالكتيك) بأنه (مزيج التناقضات حيث أن كل عصر أو وحدة اجتماعية - بمعنى أعم (حضارية) تنطوي على فكرتها (الفرضية) التي تعد بمثابة الروح في الكيان الحضاري أو البنية الاجتماعية ثم لاتلبث - تلك الفرضية - أن يتولد نقيضها (الطباق) فسرعان ماينشب الصراع بينهما منتجين (الموحد) أو (التركيب) ثم يتولد عن ذلك الموحد - كفرضية هو الآخر - نقيضها حيث يتعانقون في تركيب أعلى من سلفه يحوي ماهو ايجابي وفعال من كل من الفرضية ونقيضها إلى أن نصل إلى المطلق بعد سلسلة من التحولات الثلاثية) .

وبرغم المآخذ الكثيرة على الديالكتيك الهيكلي لاسيما تلك المتعلقة بأوجه تطبيقاته الاجتماعية على التاريخ الاوروبي الحديث والقديم على حد سواء . فإن مايسترعي اهتمامنا فيه بالدرجة الأساس هو مجال تطبيقه على صعيد التجربة الاسلامية ذاتها (عقيدة وحضارة) .

نقد الديالكتيك في ضوء الواقع الاسلامي .

● اولا : من المقرر علميا في ضوء معطيات العلوم الانثروبولوجية والاجتماعية أن أي مجتمع من المجتمعات الانسانية - وبغض النظر عن درجة تخلفه الحضاري والاجتماعي - لابدمن امتلاكه قدرا من مظاهرحضاريةتنطوي على درجة لابأس بها من النضج والتمكن .

الأمر الذي يؤكد أن قانونية التفاعل الجدلي بين الحضارة والتخلف في المجتمع الجاهلي لاتعدم توافرها في

مختلف المجتمعات الانسانية وليس مقتصرا على المجتمع الغربي قبل الاسلام فحسب .

أما بخصوص المدن المتحضرة ـ التي يقصدها البعض ـ التي تربعت على تخوم الجزيرة العربية ـ أيام الجاهلية ـ من جهة الشام والعراق واليمن فما هي الا حواضر مغتربة لم تتغلغل الى داخل مكونات البنية الجوانية للانسان العربي ، فلقد نقلت نقلا آليا ومباشرا من الروم والفرس واليونان ، وبقيت هامشية وسطحية من الأبعاد الداخلية الخاصة للذات العربية ، ولسنا بعيدين عن أمثال هذه النماذج في تاريخنا المعاصر ؟ فبقي العربي إذا مانزل قفرا أو واديا لايطمئن على وجوده حتى يلتمس له أربعة أحجار حيث يجعل ثلاثة منها أثافي لقدره ويتخذ الرابع صنما يعبده ويزداد به طمأنينة وتشخصا . أو أنه يعمد الى صنع إلهه من زاده فاذا ماجاع دسه في بطنه سدا لغائلة الجوع فيه . ولنا كذلك أن نتأمل البيئة العربية ومداخلاتها من خلال مايطرحه « جعفر بن ابي طالب » في مساءلة له مع نجاشي الحبشة ـ أثناء هجرة المسلمين إليها ـ حيث يقول « أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية نعبد الأصنام ، ونأكل الميتة ، ونأتي الفواحش ، ونقطع الرحم ، ونسيء الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف ، فكنا على ذاك حتى بعث الله من بيننا رسولا منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ونخلع ماكنا نعبد وأباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان . وأمرنا بصدق الحديث وأداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحصنات .. «الى آخر ماقال كما ذكره ابن هشام في « السيرة النبوية » .

وجملة القول أن المجتمع العربي قبل الاسلام كان مجتمعا جاهليا ومتخلفا ، فكان بمسيس الحاجة إلى دعوة سماوية تنقذه وتعدل موازينه وقيمه في الحضارة والحياة قال تعالى « ... واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها .. » آل عمران آية (١٠٣) .

● ثانيا : إن مكونات وعناصر الصراع الثقافي والاجتماعي والبيئي في المجتمع الجاهلي ـ إذا ما افترضنا بالطبع صحة منظور الديالكتيك وسلامته ـ لم تنتقل إلى « الموحد » (الاسلام) المتولد من « الفرضية) و « الطباق » وفق المفهوم الهيكلي بفعل الانسايبة اللازمة لذلك « الحتم » الذي يفترضه قانون (الجدل) بل جاء نتيجة عمل خارجي قام به انصار الدين الجديد ونم تقطف

ثمار تلك الدعوة التي تكللت بالنجاح ـ كما هو معروف ـ إلا في أعقاب سنوات طويلة من المواجهة والمقارعة (المرحلة المكية) و (الهجرات) : الطائف ،

الحبشة ، يثرب . والمعارك التي تلت الهجرة الى يثرب ـ ولم تكن الاعتبارات المادية ـ الاقتصادية ـ ومحاولة المشركين إقناع الرسول (صلى الله عليه وسلم) بالمال والسلطان في العدول عن دعوته ـ لها القدرة والتأثير على امتصاص المد القادم واحباطه . ولم تقتصر المواجهة على هذا النوع أو المستوى من الصراع بل تعدته ـ

على صعيد آخر ـ في القضاء على كل مرتكزات ومؤسسات الشرك ـ السائدة في الجاهلية ـ ثم ترك لهم فيما بعد حرية الاعتقاد والتصور والانتماء . فلم يبق إذن مقوم من مقومات الجاهلية (الفرضية) يمكن أن يؤلف ركيزة يتشكل منها محتوى الاسلام كما هو واضح .

ثالثا : واذا كان الجدل « هو مبدأ الحياة بأسرها » وهو كذلك « روح أي معرفة علمية » كما يؤكد هيغل ، فلا ينبغي أن نؤسره ضمن مرحلة الجاهلية وحدها بل يمتد سريان مفعوله كذلك إلى مرحلة

الاسلام ذاتها ، وبناء على ذلك فاننا

نرقب مرحلة تالية تكون أكثر تطورا وارتقاء من الاسلام ذاته .

رابعا : يتمخض « الموحد » عادة وفق المفهوم الهيكلي بفعل مكونات الصراع والتفاعل بين

« الفرضية » و « الطباق » ـ كما اسلفنا مرارا ـ نستمد من هذا أيضا ان انبثاق « الموحد » لم يأت بفعل

تأثير وايجاد قوى خارجية من فوق مكونات الصراع (الوحي)

وبالتالي فهو معطى بشري صرف ليس لله يد فيه وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) شأنه ـ على حد

تعبير فرانسسكو غابريلي ـ « شأن ثوار العالم ومصلحيه العظام (كذا) عميق الجذور في وطنه فقد

كان للعامل القومي ولصلة محمد صلى الله عليه وسلم بشعبه وأمته دور كبير في حركته لأن الرسول

كان يولي العامل القومي اهمية بارزة فمن وحيه استمد كثيرا من مواقفه !! » . وهذا هو جوهر ماترمي إليه وتستهدفه مجمل هذه

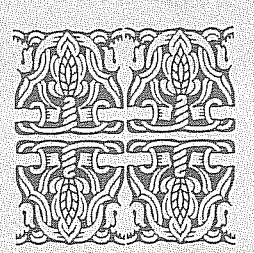
الطروحات والآراء ـ أي أنها من خلال تطبيقها لمفهوم الديالكتيك تريد أن تصل إلى غاية مفادها أن الاسلام وليد المجتمع العربي

الجاهلي وابنه البار وليس العكس ، وهذا في رأيي هو أس مشكل (العروبة والاسلام) في الفكر العربي الحديث . « من يسبق من » !؟ .

وعي الذات الحضارية :

من هنا فإن أي تفسير أو تحليل لبنية الاسلام (عقيدة وحضارة) ضمن المقاييس التقليدية والتي عادة ماتنقل نقلا آليا ومباشرا بفعل المؤثرات الاغترابية ، لايمكنها أن تعي حقيقة ذلك الانتشار المذهل للقيم والثقافة الاسلامية وحقيقة التحولات التي ظهرت بإطار زمانها المحدود الذي عرفت به - ولقد تصدى المفكر الفرنسي « روجيه غارودي » في كتابه « مايعد به الاسلام » - كان ذلك قبل اسلامه - لأي تفسير للاسلام من خلال رؤية اقتصادية أو فكرية أو جغرافية أو عسكرية أو باطار تلك العوامل مجتمعة ، دون النظر اليه من داخل كيانه وروحه - أي من خلال بعده الثالث - إذ يقول « ولكن إن لم تكن مسلما ولم تنظر إلى القرآن على أنه كتاب منزل من الله على محمد فمن المتعذر عليك كمؤرخ أن تنظر إلى تفجر ذلك الينبوع الحياتي الذي راح يزعزع العالم على أنه حقيقة دامغة ، وذلك دون الخوض في تبسيطات الفلسفة الوضعية وأحكامها السابقة » .

قصارى القول في كل هذا أن كلا الاتجاهين ، الاتجاه الذي نوهنا إليه والاتجاه الذي تناولناه ببعض التفصيل يلتقيان عند هدف واحد هو انكار نبوة الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن وجه آخر انكار صلة هذه الأمة بالله سبحانه وتعالى . وهذا هو الهدف وهي الغاية التي يطمح إليها اعداء الاسلام ولكن هيهات هيهات ، « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون » الصف آية ٨ .



قرأت لك

مع آية من كتاب الله

جاء في كتاب «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» للشيخ محمد الأمين ابن محمد المختار عند تفسير قوله تعالى :

﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (٧٧)

اعلم ان كلام أهل التفسير في هذه الاية الكريمة : يدور على أربعة أقوال :

واعلن أولا أن العلماء اختلفوا في المصدر في قوله :«لولا دعاؤكم»، هل هو مضاف إلى فاعله ، أو إلى مفعوله ، وعلى أنه مضاف إلى فاعله فالمخاطبون بالآية ، داعون : لا مدعون : أي ما يعبؤبكم ربي لولا دعاؤكم : اي عبادتكم له . وأما على أن المصدر مضاف إلى مفعوله فالمخاطبون بالآية ، مدعون ، لا داعون : أي مايعبؤبكم ، لولا دعاؤه إياكم إلى توحيده ، وعبادته على ألسنة رسله عليهم الصلاة والسلام .

واعلم ايضا ان ثلاثة من الأقوال الأربعة المذكورة في الآية مبنية على كون المصدر فيها مضافا إلى فاعله ، والرابع : مبنى على كونه مضافا إلى مفعوله .

أما الأقوال الثلاثة المبنية على كونه مضافا إلى فاعله .

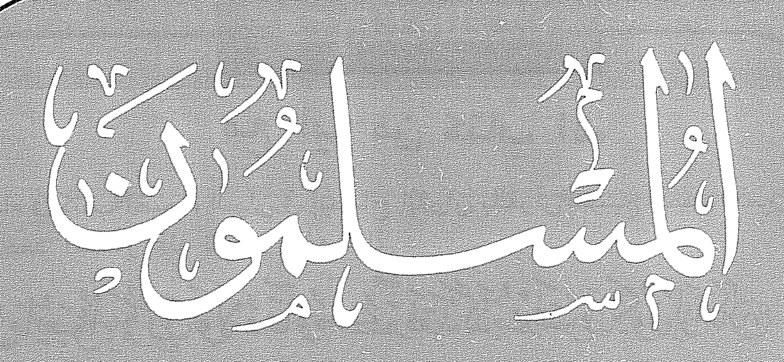
فالأول منها أن المعنى : ما يعبؤبكم ربي لولا دعاؤكم : أي عبادتكم له وحده جل وعلا ، وعلى هذا القول فالخطاب عام للكافرين والمؤمنين ثم أفرد الكافرين دون المؤمنين بقوله (فقد كذبتم) الآية .

والثاني منها : أن المعنى : لولا دعاؤكم أيها الكفار له وحده عند الشدائد والكروب : اي ولو كنتم ترجعون إلى شركحم ، إذا كشف الضر عنكم .

والثالث : أن المعنى ما يعبؤبكم ربي : أي مايصنع بعذابكم ، لولا دعاؤكم معه آلهة أخرى ، ولا يخفي بُعْد هذا القول ، وأن فيه تقدير مالا دليل عليه ، ولا حاجة إليه .

أما القول الرابع المبنى على ان المصدر في الآية ، مضاف إلى مفعوله فهو ظاهر ، أي ما يعبؤبكم ربي لولا دعاؤه إياكم على ألسنة رسله .

وإذا عرفت هذه الأقوال فاعلم ان كل واحد منها ، قد دل عليه قرآن ثم أخذ المؤلف يستشهد على كل رأي بآيات من القرآن ثم رجح أحدها .





المسلمون ومعركة التغريب

للاستاذ/ محمد بدر الدين بن حسن

يقر الغربيون بأن التحدي الحقيقي الذي يواجه حضارتهم يكمن في الاسلام وحده ، ومن بين جميع الأديان والفلسفات لا يوجد غير الاسلام الذي يمثل محور الصراع والمواجهة لثقافتهم ونمط حياتهم ، فالبوذية والهندوسية وسائر المذاهب والنحل فقدت قدرتها على التأثير على عقول البشر لأنها أقرب إلى الخرافة والخيال ، واليهودية ديانة مغلقة وكهنوت غامض ولا يتبعها إلا قلة متعصبة ومنحرفة .

والمسيحية مع أنها جزء من عالم الغرب وتاريخه تآكلت من الداخل بفعل الأخطاء والتغيير ، والماركسية تصادم الفطرة وغير قادرة على بناء الانسان المثالي بسبب ماديتها المجحفة ، فلم يبق غير الاسلام الذي ما انفك على الدوام يكتسح المواقع والقلوب ، وهو الذي يرتبط في ذهن الانسان الغربي بذكريات مريرة بدأت مع معركة اليرموك في السنة الثالثة عشرة للهجرة ، وتواصلت إلى أيام الحاضر ، مرورا بالحروب الصليبية والاجتياح العسكري

وغير ذلك من صور الهجوم والتحدي .

وعلى العموم فقد تناوب الطرف الاسلامي والطرف الغربي مواقع الهزيمة والانتصار ومواقع الهجوم والدفاع على مر الأعوام ، ولقد حاول الغربيون لمغالبة الاسلام والانتصار النهائي على أهله دراسة هذا الدين وروحه العامة ، ومصادر قوته النابتة في وجدان أتباعه ، وفي ظل هذه المحاولات تكونت مدرسة الاستشراق التي ركزت أعمالها الأولى في مرافقة الاستعمار التقليدي في القرون الاخيرة منذ حملة نابليون على مصر .

ولم يكن هدف الاستشراق في أي وقت من الأوقات مجرد بحث علمي كما ينظر إليه بعض المتساهلين ، بل يخدم بدرجة أولى ونهائية موقف التعبئة الشاملة لدراسة « العدو الاسلامي » والنفاذ اليه .

فالقلم والفكر والسلاح كانت كلها مداخل اساسية اعتمد عليها الاستعمار التقليدي والجديد على حد سواء لتطويق العالم الاسلامي وفرض الهيمنة عليه ، ولذلك ما إن انتهت مرحلة الاستعمار القديم وأنماطه حتى أفل نجم الاستشراق الذي لايعيش الا في ظل الحرب ، ولكنه تحول إلى قطاعات ووسائل اخرى تتصل بميادين التبشير والاعلام ، وهذا ما يفسر لنا الحملات الشعواء التي يرفعها الاعلام الغربي باستمرار على الاسلام والمسلمين ، أو المطبوعات الغزيرة التي تنهض بها الجامعات بنية إثارة الشكوك والتشويه .

ولو محصنا جيدا كل ما يقوله ويكتبه الغربيون عن الاسلام لوجدناه يدور حول محور اساسي - رغم اختلاف الأساليب والتوجهات - هذا المحور هو ضرورة تعصير الاسلام ليتلاءم مع الحضارة الغربية ، وفي سبيل دعم هذا المطلب يبدي الغربيون استعدادا معتبرا للتفاهم والحوار مع الاسلام بشرط التعديل والتخلي عن طابع الشمول فيه ، وبمعنى آخر لابد أن يقع التفريق في نظامه بين الدين والدولة ، ويفصل كعقيدة عن السياسة والحدود والقضاء وسائر أنواع مرافق المعاملات والحياة عامة .

ويعرف الغربيون أن هذا الامر مستحيل لأن العقيدة الاسلامية نفسها تختلف عن طبيعة الغرب ونظمه الفكرية ، وأنها شمولية بدورها تعطي تصورا شاملا عن السلوك والحياة ، ويستحيل فصلها عن المجتمع والدولة ، وإنما يهدف الموقف الغربي الى تحقيق جملة من الثغرات أهمها :

- زعزعة الثقة بالمفاهيم الاسلامية الثابتة وامتحانها .
- جذب اهتمام المثقفين نحو قضايا وهمية .

● الدعاية لفكرة أن الحضارة الغربية هي المعيار الذي تقاس به المبادىء والقيم المختلفة .

فضلا عن التخطيط البعيد الذي يرمي إلى هدم الاسلام بطريقة المراحل بمحاولة تحويله أولا إلى عقيدة مجردة وطقوس ثم عادات وذكريات ليسهل في الأخير هدف القضاء المبرم عليه والذي لم ينجح منذ قرون بعيدة ومحاولات متكررة .

وإذا كان هذا الحقد الأوروبي الغربي يرجع إلى الرصيد التراثي والذاكرة الشعبية المليئة بالكراهية والاحتقار لكل ماهو عربي وإسلامي ، أو بدافع الحسد أن يرى مظاهر الانتعاش البترولي والاقتصادي لدي بعض دول الاسلام ، فكيف يقبل بإمكانية التفاهم والحوار ، ولماذا يطلب من الاسلام التكيف مع العصر ، أو سير المسلمين في النهج الاوروبي ؟

إن هذا الطرح يقودنا إلى عدة **نتائج** :

أولا : إن السير على هذا النهج الاوروبي في كثير من نظم الحياة ومرافقها يكاد يكون أمرا حاصلا في أغلب بلاد الاسلام ، فهل المقصود هو المطالبة بمزيد من التكيف والتفريط في قيم الاسلام لصالح الغرب ! هذا ما يطلبه من جهة ، ومن جهة أخرى لا يقبل الغربيون ان يكون أهل الاسلام مثلهم ، ولذلك يرفضون تقديم أي تنازل ، او الكشف عن الأسرار العلمية والخبرات التقنية . بل زادوا في تنكرهم وحقدهم تجاه الاسلام رغم التنازلات المتتالية من قبل كثير من ساسة المسلمين وكتابهم ومثقفيهم .

ثانيا : عملا بالمقولة الغربية « تكيف الاسلام مع الحضارة الغربية » وقف كثير من المسلمين موقفا مؤيدا منذ بداية الاحتكاك الفعلي بين العالم الاسلامي وحضارة الغرب ، وقد رأوا في قوة أوروبا العسكرية والمادية عامة مرجعا وحجة ، ورأوا في مجتمعهم تخلفا ورجعية .

بل إنهم تجاوزوا مطلب التكيف إلى ماهو أبعد من ذلك ، إنهم التمسوا نسخ النهج الغربي برمته ، وبهذا الانبهار والعجز عملوا على تغريب مجتمعاتهم وجروها وراء السراب .

ثالثا: ولد الموقف السابق لفشله وانهزاميته موقفا آخر هو ضرورة التوفيق بين مبادىء الاسلام وحضارة الغرب من جميع الوجوه وبأسرع وقت ممكن للحاق بركب الحضارة الحديثة !!

وقد مثل هذا الموقف وناضل من أجله كثير ممن تلقوا علومهم وتكوينهم في مدارس الغرب ، وقد أدت مثل هذه المواقف إلى مزيد من الانتكاس لدى الأجيال اللاحقة حتى عمد البعض منهم الى تفسير القرآن والتاريخ الاسلامي على مبادىء الماركسية !!

وفي مقابل هذا « التفتح » من قبل بعض المسلمين ، حصل المزيد من « الانغلاق » في الموقف الغربي ، مما يكشف عن أحد وجوه الصراع بين عالم الاسلام وعالم الغرب .

وانطلاقا من نفس الخطة في ضرب الاسلام على مراحل ، راح أهل الاعلام الغربي يروجون الشكوك بهدف جعل أهل الفكر الاسلامي في حالة دفاع ، فقالوا مثلا : إن نظام العقوبات في الاسلام والنظرة إلى المرأة لا تتفق مع حقوق الانسان ومبادىء الكرامة الانسانية !! وينساق ذوو العقول البريئة في الخدعة ، فيجتهدون في الردود والتفسير والتبرير ودفع الشبهات ، وكأن العقول الماكرة التي روجت ذلك الافك ستتفهم وتصغي إلى صوت الحق وهي التي نصبت الشراك بقصد تضييع الجهود في الذرائع وتضخيم قضايا وهمية . **فماذا علينا** إذا لم يقبل الغرب نظام المعاملات او العقوبات في الاسلام ؟! **بل ما ضرنا** وهو الذي لم يقبل بنبوءة محمد صلى الله عليه وسلم أصلا ؟

يزيد الغربيون في المكر فيتظاهرون بمدح الاسلام وتمجيد بعض جوانبه تحت شعارات العقلانية والموضوعية والبحث العلمي الحر والنقد الداخلي والخارجي للنصوص والمراجع تمهيدا لاثارة المتشابهات وتحريك أسباب الخلاف وروح المذهبية ونشر شواذ القراءات والترويج للفكر الباطني المنحرف.

ويروح بعض المؤرخين والكتاب عندنا يساهمون في عملية السلخ باسم البحث ونشر التراث وقراءة جديدة وكتابة جديدة لارضاء أذواق الغربيين الذين يضحكون في قرارة أنفسهم من مثل هذه الصنائع ، ولكن إكمالا لهذا الدور يستحسنون ويهبون الشهادات العليا ، ويتظاهرون بالرضى عن فئات يصفونها بالموضوعية والتحرر ، ويتكفلون بالتعريف بها وبإنتاجها .

يعترف الفيلسوف الفرنسي « جان بول سارتر » بحقيقة الدور الذي كان يمارسه الاستعمار الثقافي ولا يزال فيقول : (كنا نحضر رؤساء القبائل وأولاد الأشراف والأثرياء والسادة من إفريقيا واسيا، ونطوف بهم بضعة أيام في امستردام ولندن والنرويج وبلجيكا وباريس ، فتتغير ملابسهم ويلتقطون بعض أنماط العلاقات الاجتماعية الجديدة ويتعلمون منا طريقة جديدة في الغدو والرواح ، ويتعلمون لغاتنا وأساليب رقصنا ، وركوب عرباتنا ، وكنا ندبر لبعضهم أحيانا زيجات أوروبية ، ثم نلقنهم أسلوب الحياة الغربية ، كنا نضع في أعماق قلوبهم الرغبة في أوروبا ثم نرسلهم إلى بلادهم ، وأي بلاد ؟! بلاد كانت ابوابها مغلقة دائما في وجوهنا ولم نكن نجد منفذا إليها . كنا بالنسبة اليها رجسا .

لكن منذ أن أرسلنا « المفكرين » الذين صنعناهم ، إلى بلادهم ، كنا نصيح من امستردام او برلين أو باريس : « الاخاء البشري » فيرتد رجع أصواتنا من أقاصي افريقيا أو الشرق الأوسط او شمالي افريقيا . كنا نقول : « ليحل المذهب الانساني أو دين الانسانية محل الأديان المختلفة » وكانوا يرددون . وحين نصمت يصمتون . وكنا واثقين انهم لا يملكون كلمة واحدة يقولونها لأقوامهم غير ما وضعنا في أفواههم) .

إن هذا الاستشهاد مليء بالنتائج ولكن أهمها على الاطلاق هو إدراك الجناية الكبرى التي مارستها النخب المثقفة ثقافة غربية في حق أمتها ، وهذا الادراك يفسر لنا دون شك ذلك الاصرار الغريب من قبل تلك النخب على ربط عمليات التحديث والنهضة بأهداب التغريب والزعم بأن الحضارة الغربية هي مقياس التقدم والقيم وحتى الأخلاق والسلوك ، وانها النتاج النهائي للفكر والحضارة !!

● جناية المتغربين ●

تلك اذا بعض ملامح الصراع الفكري الذي قدر للأمة ان تواجهه في مسيرتها الماضية واللاحقة ، وهي جزء قليل مما تتعرض له من تحديات وصعوبات ، ومن المؤكد أن التحدي الأكبر وهو التحدي الحضاري الغربي عرض لها وهي لا تملك القدرة الكاملة على المواجهة والاختيار ، والا لاستطاعت الوقوف والتجاوز ، وهي التي واجهت الأعاصير وخرجت منيعة بفضل ارتكازها على ثوابت القرآن والسنة وتراثها المتجذر في الأعماق ، لقد كانت تملك أسباب القوة وسنن الحق والغلبة فمنعت نفسها وسادت غيرها وأقامت حضارة راقية .

فما بالها اليوم لا تقدر ان ترد عدوا ؟

لقد عرف الاستعمار الغربي متى يوجه ضرباته القاتلة !! لقد اجتاح بلاد الاسلام ليفوت عليها فرص النهوض ويعوق قوى الاصلاح ، فجاء في صور متعددة . من الجيش المنظم إلى المصنع المجهز إلى المدرسة الحافلة بطرق النشاط والتأثير إلى سماسرة الاستشراق والتنصير ، جاء ليحول البلاد إلى أسواق لمنتجاته ، وأبواق لافكاره .

ثم ترك لعوامل التدمير الداخلية مثل العجز والتسيب والانحطاط مهمة تعطيل قواعد النمو في المجتمع وتحطيم مقوماته الاساسية ، وحصل المسخ فلم يعد الفرد يرى صورته في المرآة .

وكانت جهود المستنيرين من المجددين والمصلحين والعلماء متمركزة في سبل مواجهة ذلك المسخ بكل الوسائل المتاحة .

ولئن كان الاحتكاك مع الاستعمار قد ولد فهما لروحه واساليبه من جهة ، وكشف عن مواطن الداء والنقص من جهة اخرى ، فقد ظل الصراع بعد ذلك داخليا مشتعلا بين القوى التي تربت على يديه وأكلت من موائده والتي أصابها المسخ كليا فراحت تعمل من أجله حتى بعد خروج جيوشه ، وبين تيار الرفض الذي ظل محافظا على مقوماته وركائزه الاساسية ، ولكن نشوء الدولة القومية بدعم من الغرب رجح ميزان التيار الأول .

ورغم ذلك فإن كل التجارب والبدائل التي قام بها التيار الأول والتي اسقطت الأمة تحت وطأتها لم تكتب لها أسباب النجاح .

إن الدراسات الادبية والتاريخية والفلسفية التي بثها الاستعمار وكرستها الدولة القومية في الكتب وبرامج التعليم ووسائل الاعلام ، كانت من أخطر وسائل تشويه التاريخ والثقافة الاسلامية ، استطاعت تخريج أجيال لا تربطها بلغتها وآدابها وعقيدتها أية رابطة .

نشأت مشرئبة الأعناق والابصار نحو حضارة الغرب وآدابه . ورغم ذلك ظلت فئات عديدة من جموع الشعب وفية لحسها الاسلامي بفضل تأثير الاسلام وقواعده الخالدة .

والدرس المستفاد من ذلك أن الركائز التي أرساها الاسلام في قلوب اتباعه وفي بنية المجتمع مثل المسجد وصلاة الجمعة ومواسم الأعياد والصوم والحج لا تستطيع قوة في العالم ازالتها بالكامل ، وإنما جوهر الصراع يبقى دوما متعلقا بمدى قدرة القوى المعادية في الداخل أو من الخارج في التهجين والمسخ والتشكيك .

ولأن الاسلام مقاوم بطبيعته أدركت دوائر التنصير الغربية ان جهود المواجهة المباشرة لن تثمر في العالم الاسلامي إلا على أيدي النخب المثقفة التي تحمل رؤوسا أوروبية وألسنة عربية ، ولذلك فوضت لتلك النخب مهمة أداء الأدوار كما رسمتها هي وخططت لها .

ولأن كل يوم يمر بهذه الأمة يزيدها قناعة بأن الطرح الاسلامي هو الوحيد القادر على معالجة قضاياها ووضع الحلول الحاسمة لها، أدركت النخب المتغربة وأصحاب التجمعات الفكرية والحزبية ان معاداة هذا التوجه لا يفيدهم شيئا بل سيزيدهم عزلة ورفضا أمام تنامي المد الاسلامي الشعبي ، فعمدت إلى مجاراة الأحداث والتأقلم مع الظروف ، بل رفعت شعارات الاسلام كذلك للتمويه وكسب الأصوات ، حتى صرنا نسمع تلفيقات مضحكة عن يسار اسلامي ، واسلام ليبرالي وغير ذلك .

وبقدر ما يدل هذا المسلك على عظيم تجذر هذا الدين في محيط الأمة التي لا تطيق منهجا وعقيدة غير الاسلام ، فانه يؤدي الى خلل معتبر في شبكة العلائق النفسية والاجتماعية ، اذ يحط من قداسة هذا الدين ويحوله الى ألعوبة سياسية خاضعة للمزايدة ترفعها التجمعات والأحزاب قبل الوصول الى سلطة الحكم ، مما يساهم في نشوء مساحات معتبرة من الخلط والالتباس في أذهان كثير من المسلمين الطيبين فضلا عن التهميش والاحباط .

ولكن ضماننا الأكبر في هذا الركام الذي زرعته تيارات التغريب هو قول الحق تبارك وتعالى : (**فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض**) الرعد/١٧ .

ولكن جناية النخب المتغربة لا تقتصر على محاولة زرع تصورات وآثار فكرية واجتماعية ذات ظلال بعيدة كل البعد عن تراث الأمة ورصيدها الحضاري الذي صيغت من خلاله ، بل تكمن أساسا في تحويل وجهة المعركة من أجل التميز والتقدم الى صراع داخلي يتعلق بنظام الحكم والاختيارات الأصيلة

النابتة في جذور تاريخنا الحافل بالقيم والأمجاد الخالدة .. وهذا بدون شك هو الهدف الأسمى الذي تريد دوائر التنصير والاستعمار تحقيقه في بلاد الاسلام .

◻ ردود على أطاريح المتغربين :

جاء الاسلام مُنذ نزوله على محمد صلى الله عليه وسلم بنمط حضاري متميز جمع بين وحدة الدنيا والآخرة وغطى مختلف جوانب الحياة بنظم وتشريعات اتصفت بالواقعية والشمول ورغم كونه دعوة عالمية للبشرية جمعاء احتدم منذ تاريخ قيامه في صراع طويل مع شعوب وثقافات الأمم الأخرى بحكم كونه يحمل ثقافة مواجهة جاءت بالجديد في تفسير شؤون الحياة ، مما جعل شعوبا كثيرة تلتمس في تعاليمه الملاذ والانقاذ .

ولأنه لم يكن ذا طابع احتواء وهيمنة بل يحرر الأفراد والجماعات من كل عبودية لغير الله فقد شكل نتيجة لهذا المحتوى مرتكز الصراع بين أتباعه والمناوئين له الذين يحملون راية الوثن وينصرونها،ويمكن التماس جذور هذا الصراع منذ حركة الارتداد ثم الفتوحات وما تبعها من ظهور لحركات الشعوبية والزندقة حتى عصر الحروب الصليبية .

ويمكن اعتبار حركات التصحيح والتجديد التي قام بها أمثال الامام الغزالي والباقلاني وابن تيمية وابن حزم في جهودهم الفكرية وردودهم ومناقشاتهم مع النصارى وأصحاب الملل والنحل نماذج جلية لطبيعة ذلك الصراع الفكري والحضاري الذي ولده الاسلام ومظهرا من مظاهره المتنوعة التي كونت في تاريخنا ملحمة من النضال والاصلاح امتدت بركاتها حتى اليوم .

واذا كان ليس بدعا في تاريخ الدين تعرضه لتأثير العوامل الخارجية والاحتكاك بها وامتصاصها الا أن هذا لا يعني أن تضطره تلك العوامل الى الانسجام مع معطيات الأفكار الوافدة ونتاج الحضارات الأخرى فيتأقلم معها أو يستجيب لها ، فهذا لا يمكن مع الاسلام لأنه يحتفظ بمركز السيادة والتوجيه عملا بقوله تعالى : (**وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه**) المائدة/٤٨ .

فهذه الآية الكريمة توجه أنظار المسلمين الى أن دينهم يحمل صفة المراقب لكل الأديان والنظريات وما يطرأ عليها من تغيير أو تبديل وهي لذلك في حاجة الى أن تعدل وفق ميزان الاسلام .. فكيف يقبل المسلمون بعد هذا تطويع دينهم لمعطيات الأزمنة والعهود المختلفة واجتهادات البشر بحجة مواكبة العصر وحاجياته ؟!

إن التركيز على ربط الصراع الحضاري بمسألة توافق الدين مع العصر

مسلك ماكر تروج له دوائر التغريب لجر الاسلام الى موقع الالحاق والتبعية لا الريادة والهيمنة خاصة بعد تراجع المسلمين في ميادين علوم الحياة . ان الزعم بأن ذلك الأمر ليس خاصية بالاسلام وحده وان المسيحية مثلا في عهودها الأولى مرت بمثل هذه المرحلة وان أوروبا في تاريخها الحديث تعرضت لصعوبات الانسجام والتأقلم في عهد الاصلاح والنهضة وخاصة في العهود الأخيرة من الاكتشافات العلمية حيث تعرضت الفكرة المسيحية لأزمة التطور العصري وواكبت مقتضياته وقياس ذلك على الاسلام وضرورة اقتدائه بتجربة أوروبا ، كل هذه مزالق فاسدة وأقيسة مخالفة لطبيعة الاسلام وتجربته الحضارية ، وانما يراد بها جر الاسلام وتطويعه للأهواء السائدة .. ان فكرة الموافقة أو مواكبة الاسلام للعصر قضية وهمية يقصد منها أن يكون الاسلام دائما تابعا لأنه مضطر لأن يواكب كل ما هو جديد على الدوام بلا انقطاع ويجاريه .

لقد احتك المسلمون الأوائل مع العالم البيزنطي حامل لواء الثقافة اليونانية وكذلك مع فارس الزرادشتية ولكنهم لم يقدموا أي تنازل في حق دينهم ليتلاءم مع التجارب الوافدة عليه ، بل عملوا على تطويع تلك التجارب الحضارية مع نمط ثقافتهم لتنسجم مع ضوابط الاسلام ومقوماته .

ومن المقولات الخاطئة التي روج لها أنصار التغريب في المجتمع الاسلامي زعمهم بأن العوامل الخارجية والاستعمار بوجه خاص هي التي حركت بوادر التجديد والاصلاح ، وأيقظت قوى الاسلام الكامنة ؟! وهذا زعم تافه لأن الاسلام لم ينتظر حدوث ذلك لينهض بأتباعه وانما هو هداية صالحة لكل زمان،من أخذ بها حقق لنفسه وأمته العزة والرقي ، ومن هجرها لزمه الجمود والانحطاط ولا تنفع فيه عوامل الاستعمار أو غيره .

وليت بعض المتساهلين من اهل الاسلام يكفون عن ذلك الهراء الذي يقول بأن الفكر الغربي منذ حملة ـ نابليون بونابرت ـ على مصر هو الذي ولد لدى المسلمين الرغبة في الأخذ بأسباب العلم والتمدن بعد الشعور بالمفارقة الكبيرة بين ما هم عليه وما قطعته أوروبا من أشواط في التحضر والمدنية ، وبالتالي سعوا الى التوفيق بين مبادىء دينهم وبين انجازات العلم الحديث !! ايمانا منهم بأن مطالب التحديث والنهضة تقتضيهم ملاحقة الغرب والأخذ عنه !!

ان ضرب الأمثال في هذا المجال بتجربة ـ محمد علي ـ في مصر ، أو كتابات الطهطاوي المصري وخير الدين التونسي ، لا تعبر بالضرورة عن منطق الاسلام أو تحسب عليه ، لأن الاسلام كما نفهمه يريد لأتباعه تجربة حضارية متميزة تعبر عن روحه ولا تكون أبدا كذلك اذا أخذت نموذجا برمته وقلدته .

ومن ناحية أخرى معلومة فان الاسلام لم يعرف صراعا بينه وبين العلم ، وكل المحاولات والبراهين التي كتبت للتدليل على أن حقائق هذا الدين لا

تتعارض مع العلم جهود ضائعة وبخاصة منها محاولات التبرير والتأويل ، لأن حقائق العلم الثابت التي مكن الله تعالى عقل الانسان منها تسير على خطى الدين حتما تصديقا لقوله تعالى : (**سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد**) فصلت/٥٣ . تنزع الدراسات الغربية دائما الى البحث عن عوامل أجنبية تزعم أنها هي السبب في تحريك دوافع التجديد والاصلاح في العالم الاسلامي ، وفي الغالب يعزون ذلك الى تأثير المثال الغربي في الصنائع والأفكار وكأن التجديد والمجددين ليسا سمة أصلية ملازمة لطبيعة الاسلام وروحه المتجددة .

وعلى سبيل المثال ، يردد المستشرقون والمتغربون في كتاباتهم فرية غريبة وسقيمة مفادها ان عوامل اليقظة والتجديد الديني في بلاد الاسلام مرجعها في التقدير الأول نزعة الرومنطيقية الأوروبية التي أثرت في فكر المصلحين وصبغته بصبغتها !! وبهذا المقتضى السقيم يصبح ـ محمد بن عبدالوهاب في نجد والمهدي في السودان والسنوسي في ليبيا تلامذة للمدارس الغربية والتمدن الأوروبي ؟!

والحق الثابت ان العالم الاسلامي ظل طويلا يبدي عداء أصيلا لكل ما هو سيطرة غربية والتي لم تزرع في قلب الأمة الا بالقهر بدءا بالتبشير المسيحي وما تبعه من حملات صليبية حتى مرحلة الاستعمار المباشر الذي وطد أنماط ثقافته واشكال حياته بقوة الحديد ، وفي غياب وعي اسلامي مستنير أو بسبب الفراغ العقائدي والاجتماعي تمكن الاستعمار من تشويه كثير من الأرواح نشأت على تربيته وشاكلته وواصلت دوره ، ولكن المؤكد ان الشكل الأوروبي عامة ظل مبغوضا ومرفوضا حتى في أبسط مظاهره وانما تم الاقتحام الحقيقي عن طريق صنائع الفتح الغربي كما يسميهم ـ عبدالله النديم .

ان الترويج لمبدأ تطور الحضارات بحيث تستعير من بعضها أنماط الثقافة والتقنية وتبنى اللاحقة على مخلفات السابقة ، مسلك يقصد منه اعتبار الفكر الغربي هو الوريث الشرعي الأخير للحضارة الانسانية في أحدث عهودها ، وانها بالتالي النتاج النهائي للحضارة عامة .

وتهافت هذا الزعم ظاهر لأنه يوقف مبدأ التطور عند حد نهائي هو العهد الأوروبي مع أن السياق المنطقي يقتضي التسليم بأن الحضارة الغربية نفسها حلقة من هذا التطور وهو يسلم الى ظهور حضارة جديدة على أنقاضها .

ومن ناحية أخرى فإنا لا نجد في مسار هذه الحضارة تطورا حقيقيا في مجال القيم والأخلاق بل نجد انتكاسة كبرى ، وانما نجد تطورا مذهلا في ميادين النهب والغطرسة .

ومن المعلوم ان الحضارة الاسلامية قامت في روحها العامة على التجريد ،

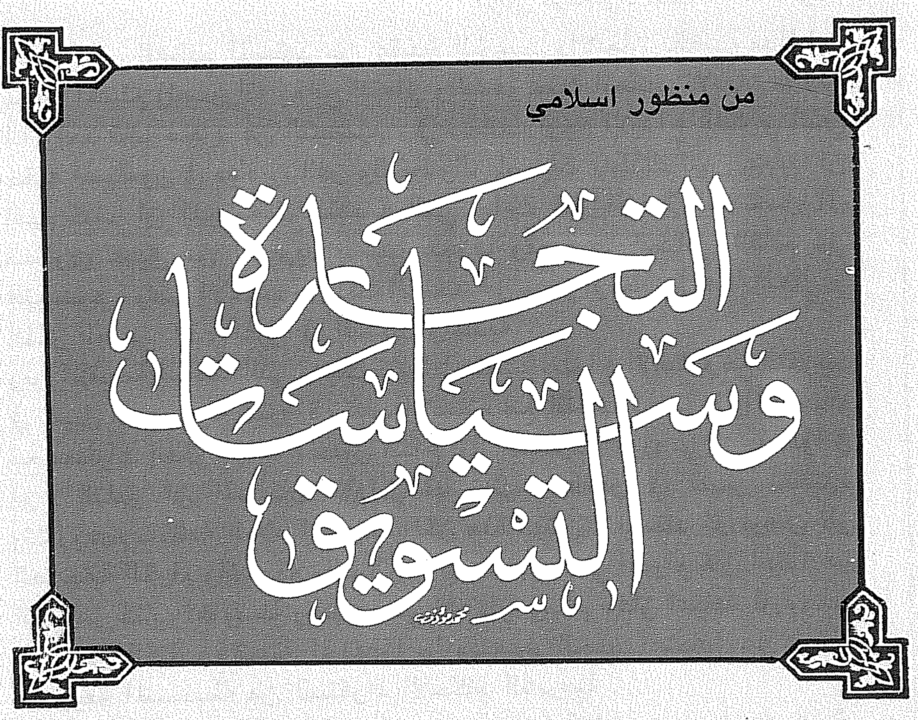
ذلك المظهر العظيم المستمد من عقيدة التوحيد والايمان بالغيب مما طبع سلوك المسلم وتصوراته بطابع التعالي والسمو حيث انعكس الايمان بوحدة اله واحد قادر مجرد عن التجسيم ، في مختلف أوجه الابداع الفكري الذي حققه المسلمون في ميادين الفن والخط والرياضيات ، ولذلك ليس عجيبا ان نفهم كيف ان المجتمعات القديمة التي جاءت قبل الاسلام لم تصل الى مستوى عميق من التجريد بسبب عجزها وتصورها البدائي القائم على التجسيم ، ولكن الأعجب من ذلك ألا نجد أي سمو أو تطور في هذا المجال في الفكر الغربي الذي غرق في التثليث والمادية .

ومن الأقيسة الباطلة التي راجت كثيرا في خضم صراع الاسلام مع التغريب في سبيل دعم مقولة ضرورة تكيف الاسلام مع النظم المعاصرة والانسجام مع معطيات الفكر الوافد ، حاول أتباع تيار التسرب الأوروبي أن يدخلوا في روع الناس ان المسلمين الأوائل قد تأثروا بالفعل في أسس ثقافتهم وتشريعهم بأنظمة البلاد المفتوحة ولكن هذا بهتان لا يستند الى برهان لأن الصحابة الكرام وأتباعهم والسائرين في منهجهم على الدوام كان اعتمادهم الكلي على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فان أعياهم أن يجدوا نصا من الكتاب والسنة اجتهدوا ما وسعهم الجهد اعتمادا على قواعد الشريعة المستنبطة من استقراء الأحكام الشرعية .

وفي مسألة الاقتباس انتفعوا ببعض الأنظمة التي وجدوها في البلاد المفتوحة ولكن ليس ذلك في المسائل التشريعية أو ما يمس جوهر الدين وروح الثقافة العامة للأمة ، وهذا يعني أن هذا الاقتباس كان من موقع قوة وندية لا من موقع التقليد أو الاستكانة ، فتنظيم الدواوين وبيت المال وغير ذلك من المصالح الضرورية العائدة على البلاد الاسلامية بخير لم يتورع الصحابة ومن جاء بعدهم من اقتباسها عن الدول المغلوبة ولكن لم يكن ذلك على حساب نص من النصوص أو تعطيل قاعدة من قواعد الشرع وهذه الأمور ترجع الى حرصهم على رعاية مصالح العباد والبلاد في التنظيم والضبط لا في التشريع والفقه .

على أنه لا يجوز قياس ذلك على وضعنا الحالي حيث فهم الاقتباس على انه تقليص لدور الدين في المجتمع واستعارة لنظم أجنبية تحل محله فما أبعد هذا عن مسلك الأوائل الذي يستشهد به دعاة التغريب !

ان صراع القيم الاسلامية مع سيول الأفكار والنظم المتدفقة والوافدة علينا من الشرق والغرب سيظل متواصلا ومشتعلا ويستحيل إيقافه نظرا لطبيعة العصر ، ولكن المطلوب الحقيقي من جميع العاملين في حقول الدعوة والتأثير الحاملين لهموم الاسلام والمسلمين في هذه الدنيا أن يعدوا خطة للمواجهة الفكرية الشاملة تصب فيها كل الجهود لنصرة قضايانا وغربلة أوضاعنا الراهنة وترشيدها على ضوء مفاهيم الاسلام الخالدة والتصدي لكل مسالك الضلال والتعطيل .



للأستاذ/ عبدالحميد عبدالفتاح المغربي

تمهيد :

لقد اهتم الاسلام بتنظيم المعاملات بين الناس بتشريع عادل رحيم ، أيا كان نوع هذه المعاملات أو شكلها ، فلقد قال الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في وصفه للقرآن (**فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم**) وهكذا فالقرآن يحتوي بين جنبيه على حكم الحياة فيما بين الناس بعضهم بعضا . كذا فسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم تنير لنا السبيل وتهدينا وترشدنا الى كيفية التنفيذ الطيب والسير على هدى ونور ، ولنا ايضا في الصحابة والسلف الصالح خير قدوة ومثل .

ولما كان موضوع التجارة بشكل عام والتجارة الخارجية بوجه خاص يحمل معه الكثير من القضايا ويثار حوله الكثير من التساؤلات وتبلغ أهميته للعالم الاسلامي مبلغا كبيرا ، قصدنا هذا الموضوع منقبين بين ثناياه باحثين عن أصله وأهميته وضرورته للمجتمع الاسلامي ، ولذا سيدور حديثنا في هذا الموضوع حول النقاط التالية :

- نبذة عن التجارة الخارجية قبل البعثة المحمدية .
- أهمية التجارة الخارجية في الاسلام .
- سياسات التسويق الدولي في الفكر الاسلامي .

أولا : نبذة عن التجارة الخارجية قبل البعثة المحمدية

(١) المعاهدات التجارية قبل البعثة :

ذكر الثعالبي في كتاب ثمار القلوب نقلا عن كتاب أسواق العرب « أن قريشا كانت لا تتاجر الا مع من ورد على مكة في المواسم وذي المجاز وسوق عكاظ في الأشهر الحرم ولا تبرح دارها ولا تجاوز حرمها للتحمس لدينهم والحب لحرمهم والألف لبنيهم ولقيامهم لجميع من دخل مكة بما يصلحهم وكانوا بواد غير ذي زرع ولم يبق الحال على هذا (أي لم تبق التجارة قاصرة على مكة والمدينة على انتظار التجار الأجانب) بل أتى وقت ظهر فيه أناس كانوا بمثابة وزراء تجارة عملوا على أن تمتد هذه التجارة المحلية الى تجارة دولية قائمة على أسس المعاهدات التي نراها اليوم » .

وقد قام بعقد بعض هذه المعاهدات التجارية بنو عبد مناف كما يلي :

أ ـ ففي أسواق العرب « كان هاشم بن عبد مناف يميل الى الاتجار والسفر ، وقد اتجر الى الشام والى اليمن وتمكن من أن يعقد المحالفات بين مكة والشام حيث نزل بقيصر وكان يذبح كل يوم شاة فيضع جفنة ثريد ويجمع من حوله فيأكلون ، وكان هاشم من أجمل الناس وأتمهم فذكر ذلك لقيصر فقيل له « ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصب عليه المرق ويفرع عليه اللحم » وانما كانت العجم تصب المرق في الصحاف ثم تأتدم بالخبز فدعا به قيصر فلما رآه وكلمه أعجبه فكان يبعث اليه كل يوم فيدخل عليه ويحادثه ، فلما رأى نفسه ذا منزلة عنده قال له « أيها الملك ان قومي تجار العرب فإن رأيت أن تكتب لي كتابا تؤمن تجارتهم فيقدموا عليك بما يستظرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم فكتب له أمانا لمن يقدم منهم » . وهكذا عقدت معاهدة تجارية بين هاشم بن عبد مناف وقيصر .

ب ـ أما بالنسبة لعقد المحالفات التجارية بين مكة واليمن فقد تولى عقدها المطلب بن عبد المناف حيث أخذ من ملوك اليمن عهدا لمن اتجر إليهم من قريش وأخذ الايلاف كفعل هاشم .

جـ ـ أما عبد شمس عبد مناف فقد أخذ الايلاف من الحبشة .

د ـ وأخذ نوفل بن عبد مناف وكان أصغر ولد أبيه ـ عهدا من كسرى لتجارة قريش وايلافا ممن مر به من العرب .

وهكذا نجد قيام علاقات تجارية خارجية بين مكة وأماكن أربعة كما يلي :

- بين مكة والشام وذلك في فصل الصيف .
- بين مكة واليمن وذلك في فصل الشتاء .
- بين مكة والحبشة .
- بين مكة وفارس .

غير أن الرحلتين الهامتين هما رحلتا الشام واليمن ، وقد قامت المعاهدات الدولية حينئذ على مبادىء وأسس منها على سبيل المثال ما يتضح من قول هاشم لقيصر : « فيقدموا عليك بما يستظرف من أدم الحجاز وثيابه فتباع عندكم فهو أرخص عليكم » .

وهذا يتناسب مع المبادىء الاقتصادية حيث سيصدر الحجاز الى الشام العروض التي يمكن أن تنتجها بتكاليف أقل كالأدم والثياب والبلح ، ولما كان البلح هو المادة الأساسية فكان المصدر منه على قدر الفائض قليلا . ومن ذلك يمكن الخلاص الى النقاط الرئيسية التالية :

- يتم تصدير المواد التي تفيض عن حاجة البلد المصدر .
- يتم تصدير أجود تلك المواد والأصناف .
- تباع المواد المصدرة بأسعارها في البلد المستورد .
- تأمين التجارة بين البلدين بالنسبة للشحن والنقل والتخزين .

(٢) آثار العلاقات التجارية على حالة البلاد الحجازية :

تحسنت حالة البلاد الحجازية بعد أن كانت سيئة قبل عقد تلك المعاهدات اذ كان السطو والنهب والقتل يحدث كثيرا فذهب ذلك الى أمن وطمأنينة وذلك نتيجة :

- عقد المعاهدات بينها وبين الدول المجاورة كالشام واليمن والفرس .
- عقد المعاهدات المحلية بين مكة والقبائل التي كانت سببا في القلاقل والسطو على القوافل التي تقوم بالنقل ، وذلك بعد أن تمكن هاشم واخوته من عقد المعاهدات التجارية مع الدول المجاورة وعملوا ايضا على عقد الأمان بين مكة والقبائل المجاورة على أن يقتسموا الربح بنسبة معينة وانه لا نهب ولا سرقة على القوافل بعد ذلك ، وكان هذا الربح يأتي لتلك القبائل على شكل أجور يتقاضونها نظير حراسة هذه القوافل .

ولما كان من الطبيعي ان تزيد التجارة الدولية من ثروة المجتمع وتعمل على أمن أفراده وسلامتهم وزيادة ثقافتهم ومعارفهم ، لذا نجد ان البلاد الحجازية قد تأثرت من عدة نواح على الوجه التالي :

● الناحية الاقتصادية :

من الآثار الاقتصادية التي ترتبت على رواج التجارة الخارجية آنذاك مايلي :

- زيادة تحقيق الأرباح : حيث نتج عن تلك التجارة مع مختلف الدول المجاورة أرباح طائلة نظرا للاستفادة من التصدير والاستيراد في وقت واحد ، حتى ليقال ان الربح قد يبلغ مائة في المائة أو يزيد .

* انتعاش حركة النقل : اذ كانت هناك قبائل اختصت بحركة النقل واستفادت كثيرا من هذه الحركة وقد كانت عملية النقل بالجمال عملية أساسية وكان المتعهدون بهذه العملية يغتنون بكثرة والدليل على ذلك ان عمر ابن الخطاب استغنى من جراء هذه العملية .

* ازدهار التجارة العابرة : أي تجارة المرور حيث إن بعض البضائع الثمينة التي كانت تقصد الشام مارة بالبلاد الحجازية كانت تنقل في الغالب على الجمال الحجازية وكانت تخفر أيضا بوساطة رجال من قبائل حجازية اختصت بهذه العملية ونفس القول بالنسبة للتجارة الآتية من فارس والشام القاصدة مكة أو اليمن .

● الناحية السياسية :

كثيرا ما تكون المعاهدات التجارية سببا في أمن الأفراد السياسي ، ذلك لأنه لما عقدت المعاهدات بين قريش والشام ، وقريش وفارس واليمن والحبشة أمكن لكل قرشي أن يجوب البلاد دون خوف لاستقرار العلاقات وانتشار الأمن . ودليل ذلك أنه لما فسخت المعاهدات بين الفرس وقريش لم يجرؤ أبوسفيان على الذهاب الى فارس كذلك لما فسخت المعاهدات بين الحبشة وقريش كانت حادثة أبرهة ملك الحبشة الذي وجه جيشا الى مكة .

● الناحية الاجتماعية :

تعددت الآثار الاجتماعية ، ومنها :

* وحدة الأمة : كان من نتيجة قيام التجارة الدولية أن أصبحت القبائل يدا واحدة ، مجتمعين ليتشاوروا في أمر القوافل في دار الندوة ، ومن آثار ذلك موقفهم أيام إغارة الحبشة على مكة وليس هذا فقط بل في كثير من المواقف .

* استتباب الأمن وانتشاره بين أفراد القبائل المختلفة نظرا لتضافر وتعاون جميع القبائل في عمليات التصدير واجتماع حاجاتهم في عمليات الاستيراد ايضا .

* التعليم : استفاد أهل تلك البلاد ايضا من اختلاطهم بالروم والفرس والأحباش بأن تعلم فريق منهم الكتابة ونشروها لما رجعوا الى بلادهم في مكة والطائف .

* تبادل الامتيازات التي استفاد منها الأهالي والتجار ، بجانب انتقال كثير من العادات والتقاليد والمعرفة بصفة عامة .

ولقد عبر القرآن الكريم عن ذلك فقال تعالى :

(لإيلاف قريش * إيلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) سورة قريش .

ثانيا : أهمية التجارة الخارجية في الاسلام :

الحاجة الى التجارة الخارجية ضرورية نظرا لتعدد حاجات الانسان من ناحية وانفراد بعض الأماكن بانتاج بعض المنتجات من ناحية أخرى .
وكما قال أحد الاقتصاديين يكفي لقيام التجارة الخارجية وجود تفاوت في نفقات الانتاج النسبية ، وحيث ان نفقة الانتاج تقدر على أساس ما تتحمله السلعة من « عمل ورأس مال وتنظيم وبيئة طبيعية » فيصبح لكل من هذه العوامل تأثيرها الكبير بحيث إذا لم تتوافر هذه العوامل بصفة متكاملة تزيد تكاليف إنتاج السلعة ويصبح إنتاجها غير اقتصادي .
ولذا فاذا كانت زراعة القطن في مصر أيسر وانتاج الحرير في الشام كذلك فيجب أن تعتمد كلا الجهتين على ذلك مستفيدة من المميزات التي تتوافر للجهة الأخرى من جراء توافر عنصر التخصص بحيث تستورد مصر الحرير من الشام تاركة إنتاجه وتصدر مصر القطن لها بحيث لا ترهق الشام في زراعته .

وقد أشار الله سبحانه وتعالى إلى وجود نعمه وآلائه في كل مكان ولكنه قد تفضل سبحانه على قوم ما بنعم لم يمنحها لآخرين كذلك قد تفضل سبحانه على مكان ما بنعم ومزايا لم ييسرها لآخرين بأماكن أخرى .

وهكذا تأتي حالة من المزايا النسبية لأماكن وأشخاص ووسائل وجهات عنها في مواطن أخرى ولا يمكن الاستفادة من تلك المزايا إلا بقيام نوع ما من التبادل والعلاقات بين هؤلاء وأولئك حتى يتسنى الوصول الى المطلوب ولذا نجده سبحانه وتعالى يقول :

* **(والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون)** سورة النحل/ ٧١ .

*ويقول تعالى : **(نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا)** سورة الزخرف/ ٣٢ .

وقال سبحانه مشيرا الى وجود نعمه الكثيرة على أماكن الأرض المختلفة غير محددة ببقعة معينة .

* **(والأرض وضعها للأنام * فيها فاكهة والنخل ذات الأكمام * والحب ذو العصف والريحان)** سورة الرحمن/ ١٠ ـ ١٢ .
* **(والأرض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج * تبصرة وذكرى لكل عبد منيب)** سورة ق/ ٧ ـ ٨
* **(الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون * وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض**

جميعا منه ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) سورة الجاثية/١٢ ـ ١٣ .

وتبين لنا الآيات السابقة بجانب تفضل الله على بعض الأماكن والأشخاص ببعض المزايا النسبية وجعل فئة من الناس تتحكم في بعض الفئات الأخرى بصفاتهم أو بمراكزهم كحكام أو شاغلي مناصب عالية انه سبحانه وتعالى جعل في الأرض كلها نعمه الكثيرة التي لا تحصى ولا تعد وسخر هذه الأرض لخدمة بني الانسان جميعا وترك لهم حرية إقامة تبادل وتناقل هذه الأشياء والنعم .

ثالثا : سياسات التسويق الدولي في الفكر الاسلامي :

أ ـ أنواع المنتجات :

تؤثر نوعية المنتجات في عمليات التبادل الخارجي بشكل كبير ، فهي لب عملية التبادل ويجب عدم تبادل المنتجات المحرّمة وفقا للشريعة الاسلامية كالخمور ولحم الخنزير والميتة والأصنام حيث يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الله حرم بيع الخمر والميتة والخنزير والأصنام » ـ رواه البخاري .

ومع مراعاة قاعدة الحلال والحرام في المنتجات فإن السلع غير المحرمة مباح استيرادها وتصديرها لكافة الأقطار مع معاملة البلاد بالمثل إن كانت لاتسمح بهذه الحرية أو تقيدها أو تتعامل خارجيا في إطار قواعد معينة أو اتفاقيات تنظيم التعامل .

ويجب البعد عن الاحتكار لمساوئه المتعددة بالنسبة للعالم أجمع والتي تفوق في جملتها مضاره ومساوئه على الوجه المحلي حيث مع انتشاره دوليا يتفشى الظلم الانساني والأثرة والأنانية وحب المادية ويموت الحب الانساني بين بني البشر ويحتضر التعاون والتكافل ليسود بين الناس البغي والتعدي والوصول إلى الغايات بكافة السبل ولو على أعناق البشر .

وبناء على ما سبق يجب ان يراعى عند وضع سياسة المنتجات :

- أنواع المنتجات : فتراعى باديء ذي بدء قاعدة الحلال والحرام فيها ، ومدى التنويع المطلوب في المنتجات لسد احتياجات الأفراد في الجهات المصدرة إليها ، ومدى مناسبة هذه المنتجات لقدرات وامكانات الأفراد للجهات المستوردة حتى لا ينتج عنها آثار ضارة بالمجتمع .
- تمييز المنتجات بعلامات وأسماء واضحة المعنى ، بسيطة التركيب ، فيها الأصالة والمصدر العربي والاسلامي وذلك عند تصدير المنتجات .
- تغليف وتعبئة المنتجات : بمراعاة مراحل الانتقال المتعددة وعادات وتقاليد الجهات المصدر إليها والمواد التي يتم التعبئة فيها للحفاظ على المنتج حتى يصل لمستهلكيه .

ب ـ الترويج للمنتجات وإجراء الاتصالات التسويقية :

وذلك من ناحية الاعلان عن المنتجات وتنشيط المبيعات وتعريف الاشخاص المستهلكين بها في جميع الأماكن التي يمكن ان يكون بها مستهلك للسلعة أو الخدمة ، بحيث يكون هذا التعريف على أسس ومبادىء صادقة بدون مغالاة او تعد للحقيقة . ولذا فالصدق والثقة في التعامل من أهم مايحكم ترويج المنتجات .

كذلك يجب البعد عن الخداع في التعامل ، لبيع أشياء لا يمكن تسليمها أو جهل مواصفات تلك الأشياء أو وصفها بغير حالتها الحقيقية وذكر أسعار مغرية لا تمثل الأسعار الفعلية لها .

قال علي بن أبي طالب « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بيع المضطر وبيع الغرر وبيع الثمرة قبل ان تدرك) . رواه أبو داود .

ولهذا يجب ان تتميز سياسة الترويج الخارجي ببعض المبادىء والأصول منها :

(١) الصدق والوضوح ومسايرة لغة الأفراد المصدر إليهم المنتجات مع الالتزام بالصراحة وعدم التضليل أو المبالغة في مواصفات المنتجات . يقول تعالى : « **ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم** » النحل/ (١١٦ ـ ١١٧)

(٢) الاختيار السليم لموضوع الاعلان وأسلوبه وعباراته بمراعاة وقت الاعلان ومكانه لما لذلك من تأثير واضح خاصة في مجال التسويق الدولي .

(٣) تفادي الاصطدام والاحراج : وهذا يعني دراسة المستهلك في الدولة المصدر إليها دراسة وافية ودراسة المجتمع الذي يعيش فيه وتحليل الأساليب العلمية الحديثة في إطار اسلامي متكامل ، ويجب ان يتحاشى المعلن الاصطدام مع المستهلك عند الحديث عن الأمور العقائدية أو العادات التي جبل عليها كذلك الابتعاد عما يثير الحرج لدي المستهلك .

(٤) البعد عن التحدي والعناد الذي قد يبغض الآخرين ويكرههم فيما يعلن عنه من منتجات بل يجب التلطف والتودد ، لأن كسب القلوب أولى من كسب المواقف .

(٥) مراعاة ان لكل مجتمع موازينه ومتطلباته التي لابد من أخذها في الاعتبار ومراعاة المستوى الثقافي الذي يمر به

جـ ـ تسعير المنتجات وتحصيل ثمنها :

الاصل في التسعير هو ترك قوى العرض والطلب تتفاعل بحرية تامة

لتحديد الأسعار مع اتخاذ ما يلزم من ضمانات لانحراف السعر بمنع الغش والاحتكار والتدخل غير المشروع في عمليات التبادل . وهكذا لا يجوز للدولة التدخل في الأسعار بالخفض أو الرفع إذا كان ارتفاعها أو انخفاضها بغير تدبير أو اتفاق بين مجموعات من الناس إلا أنه يطلب منها التدخل بإجبار البائعين على البيع بسعر السوق إذا امتنعوا هم عن ذلك ويتضح ذلك جليا عند الحديث عن تسعير المنتجات بشكل مفصل .

وبالنسبة لتحصيل الثمن فيتم بالطريقة التي يتفق عليها الطرفان بحيث يجب ان يبعد التعامل بين المصدر والمستورد المحلي عن الربا أو شبهة الربا تماما ، والمعروف ان الفائدة الحالية المدينة والدائنة للبنوك لا تختلف عن الربا الذي حرمه القرآن .

إلا ان هناك بعض الآراء ترى جواز قيام التعامل الخارجي في ظل النظام السائد الآن تطبيقا لقاعدة « الضرورات تبيح المحظورات » ومن هذه الأراء ما يراه الدكتور محمد عبدالله العربي ، حيث يقول :

« إننا إذا كنا نستطيع أن نقول للعالم الاسلامي امتنع عن الربا ، ونستطيع أن نطهر جميع معاملاتنا المصرفية من الفائدة الربوية لتحل محلها شركة المضاربة ، فإننا لا نملك فرض هذا الحكم على البلاد غير الاسلامية التي تتعامل معنا ، وما دمنا مضطرين إلى التعامل مع هذه البلاد في عقد قروض لتمويل نشاطنا الانتاجي وفي استيراد سلع لم نصل إلى انتاجها بعد فلا مناص من التغاضي عن وزر الربا الذي يشوب معاملاتنا معهم وذلك تطبيقا للقاعدة الشرعية الضرورات تبيح المحظورات » .

وقد يقال إن الاضطرار هنا غير حاسم فلا ضرورة حيوية لاستيراد سلع من الخارج وهذا صحيح بالنسبة للسلع الكمالية أو سلع الترفيه ، ولكن هناك سلع ضرورية لم نتوصل إلى انتاجها بعد وهناك ماهو أهم من ذلك بكثير وهو أجهزة الانتاج الآلية ومدى ضرورة ذلك في مرحلة التصنيع الشامل التي اقتحمتها الآن كثير من البلاد الاسلامية .

وبالنسبة لسياسة التسعير في السوق الدولية فيجب مراعاة :

(١) ارتفاع تكلفة الوحدة الاجمالية عنها في حالة تسويقها محليا ولذلك فإن سعر بيع المنتجات المراد تصديرها قد يزيد عن سعرها في السوق المحلي لندرتها بالسوق المصدرة إليه من ناحية ، وزيادة نفقتها نتيجة نقلها من ناحية اخرى .

(٢) مسح السوق المصدرة إليه ودراسة وتحليل المنتجات المنافسة أو المثيلة أو البديلة لتقرير أنسب الأسعار مع مراعاة عناصر التكاليف المرتبطة بإنتاجها وتسويقها .

(٣) الاهتمام بجودة المنتجات المصدرة حيث تمثل رسول الدول إلى غيرها من الدول وبالتالي يمكن بيعها بالسعر المناسب .

(٤) مراعاة العدالة والتوازن لسد احتياجات السوق الخارجي كل بالسعر الذي يناسبها ، فإنه من الجائز بيع السلعة في أكثر من سوق وبأكثر من سعر لاختلاف القدرات والامكانات من ناحية واختلاف درجة الحاجة والضرورة من ناحية اخرى .

٥) للسلطات في الدول المصدرة ان تحدد متوسطاً معيناً لسعر بيع منتجات معينة يجب الالتزام به حفاظا على وضع منتجاتها في الأسواق الدولية ، كذلك يمكن للسلطات في الدول المستوردة الا تقبل المنتجات إلا بأسعار معينة حفاظا على الوضع الاقتصادي بداخل الدولة .

(٦) يجب ان تكون شروط واجراءات التسليم والدفع واضحة جدا وتتميز بالمرونة حتى لا تكون عبئا على إتمام عمليات التبادل الخارجي .

د ـ توزيع المنتجات :

وقد يسر الله عملية التبادل والنقل لهذه النعم من مكان لآخر فجاءت الآيات صريحة في التعبير عن مشروعية نقل الأشياء من مكان إلى آخر ما دام في نطاق الحلال فالله تبارك وتعالى يقول :

ـ « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا ان تكون تجارة عن تراض منكم** » النساء/ ٢٩ .

فقد حرم الله اكل المال بالباطل وسمح بممارسة التجارة بعد قبول الطرفين لما يتم من اجراءات ولم تحدد هذه المعاملات بنطاق أو زمن محدد بل تركت لظروف كل حالة وحاجة كل قوم ومتطلبات كل دولة وطريقة انتقال كل سلعة بما يتلاءم مع طبيعتها مع مراعاة خصائصها والمتوفر من الوسائل التي يمكن ان تقوم بنقلها وتوزيعها .

عند سياسة توزيع المنتجات يجب الأخذ في الاعتبار :

- ان تكون شروط واجراءات التوزيع المادي (النقل والشحن والتخزين) واضحة ومرنة بحيث يتمكن الأفراد من التعرف والالمام بطرق التسليم والشحن لكافة المنتجات التي يمكن تصديرها أو استيرادها .
- أن يدرس المصدر منافذ التوزيع وسياساته بالدول التي ينوي التصدير اليها وتحديد المنافذ التي يمكن التعامل معها والاعتماد عليها بمراعاة مكانتها وسمعتها في تلك الدول .
- مرعاة البساطة والاختصار في قناة التوزيع ما أمكن ذلك حتى لا يؤدي التعدد فيها إلى ارتفاع سعر البيع للمستهلك النهائي نتيجة هوامش الربح التي يحصل عليها كل وسيط .
- اكتساب ثقة أعضاء القناة وودهم حتى يمثلون عنصرا من عناصر الترويج للمنتجات .

إلى ولدي

للأستاذ/ محمد عبدالله القولي

حين اقول : الى ولدي فانما انطق بلسان حال كل الاباء ، واخاطب كل الابناء المخلصين لهذه الارض الطيبة من مواطن ووافد وضيف ..

★★★

اسرج حصانك للعلياء يا ولدي
واستنبت العزم من اصرار مجتهد
عود فؤادك صبرا في تعلمه
واستلهم العون من معبودك الاحد
وباعد النوم عن عين مؤرقة
ايقظ لها كل ما اعددت من جلد
واستعذب الصبر في انبات مكرمة
فالمجد هيهات ان يسعى لمقتعد
واصدق مع الله تلق الله مبتدرا
يعطي ويصفح ما اخلصت يا ولدي
وانهل من العلم ما تسطيع مجتهدا
فهو الثراء وغير العلم لم يفد
فالعلم درعك لا تخشى به محنا
والعلم كنزك لا تأسى لمفتقد

والعلم ما نفدت يوما خزائنه
قد بارك الله فاستغنى اخو الرشد
فاحرص على العلم تصبح منه في شرف
تهنأ بعز مع الايام متقد
واقنع برزقك بعد السعي مجتهدا
وكل حلالا ولا تجزع لرزق غد
فالله حاشاه ان ينسى خليقته
وهو الكفيل برزق الخلق للابد
ولا تبع ابدا دنيا باخرة
وسلم الامر للرحمن واجتهد
واليأس لا تركنن يوما لسطوته
فهو البلاء وكم قد فت في العضد
لا تيأسن فعند الله متسع
يفرج الكرب يجلو كل منعقد
جذور يأسك بالايمان تقلعها
فيزهر السعد يأتي الله بالمدد
فاترك همومك للمعبود تمسحها
يد الرحيم اذا ما كنت في نكد
اعز نفسك لا ترخص لها ثمنا
لا تلقها في مهين الفعل ياولدي
فقيمة المرء في فعل ومكرمة
وذروة العز في دين ومعتقد
وفي انتساب لعرب طاف مجدهمو
في واسع الارض رغم انف منتقد
راياتهم سطعت في كل مملكة
وصوت عدلهمو ما غاب عن خلد
ورحمة الفتح في التاريخ قد شهدت
بها العداة برغم الحقد والحسد
لم تعرف الارض فتحا مثل فتحهمو
او عدلهم في صلاح الناس والبلد
وصحبة المرء عنوان لمسلكه
فاختر لنفسك او عش عيش منفرد

واصحب من الناس من تلقاه اقربهم
لشرعة الدين واطرح عنك كل ردي
من زاد قربك للرحمن فهو فتى
يريد خيرك في الدارين للابد
فانهض الى الخير نافس في مراشفه
لا تعجزن على القيوم فاعتمد
واغرس من الخير ما تستطيع فعلته
واسأل الهك ان تهدى لخير غد
لا تعجلن الى جني الثمار فما
قد اينعت دررا الا بمتئد
ونظم الوقت لا تعبث به ابدا
فالوقت ان ضاع في الاهمال لم يعد
والوقت اغلى على الانسان من ذهب
والله يسأل عما ضاع في بدد
كن صالحا طيبا واصل ذوي رحم
وخالق الناس في حسن وفي رشد
وادفع عن الحق عدوانا وكن بطلا
وانصر اخاك وايده بكل يد
وامنح بلادك حبا صادقا ابدا
حارب عداها بسيف الفكر والعدد
وامنع حمى وطن من ان يعكره
غدر ومكر ولا تأبه لمحتشد
وجاهد الكفر بالايمان تهزمه
مادمت معتصما بالخالق الصمد
فالله ينصر من والاه في سلم
وكيف يهزم من في خير مستند ؟
وافخر بدينك بالاسلام تلبسه
تاجا يزينك لا تهوى الى اود
هذي حشاشة قلبي صغتها دررا
عطفا وحبا وكم اهواك يا ولدي

○ ○

مائدة القارئ

الانسان ... والمحن

قال سبحانه : « وإذا مسكم الضر في البحر ضل من تدعون إلا إياه فلما نجاكم إلى البر أعرضتم وكان الانسان كفورا . أفأمنتم أن يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا. أم أمنتم أن يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا » . الآيات ٦٧ ـ ٦٩ من سورة الاسراء .

ماسر زهدك ؟

سئل الحسن البصري ـ رحمه الله ـ عن سر زهده في الدنيا .
فقال : أربعة أشياء

○ علمت أن رزقي لا يأخذه غيري فاطمأن قلبي .
○ وعلمت ان عملي لا يقوم به غيري ، فانشغلت به وحدي .
○ وعلمت ان الله مطلع علي ، فاستحييت أن يراني على معصية.
○ وعلمت أن الموت ينتظرني ، فأعددت الزاد للقاء ربي .



من رجال الاسلام الأوائل . يقول عنه علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه : ـ
« رحم الله خبابا . أسلم راغبا ، وهاجر طائعا ، وعاش مجاهدا ، وابتلي في جسمه آخرا ، ألا وإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا » .



عند الكرب

هل منا من فكر في أن يدعو الله بدعاء الكرب حتى يكشف الله عنا وعن اخواننا في السودان ما نزل بهم من جراء الفيضانات المدمرة ؟
لقد روى ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قوله عند الكرب : « لا إله إلا الله العظيم الحليم . لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات . ورب الارض .. ورب العرش الكريم » .
اخرجه البخاري .

كتمان السر

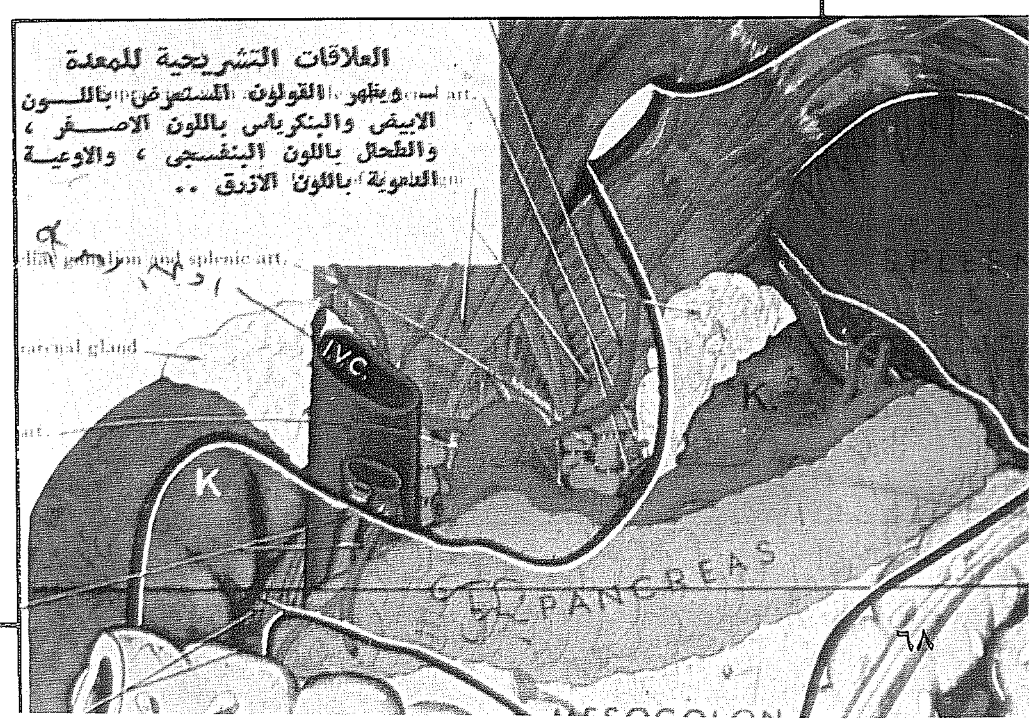
وأكتم السر حتى عن إعادته
إلى المسر به من غير نسيان

وذاك أن لساني ليس يعلمه
سمعي بسر الذي قد كان ناجاني

أرنا رحمتك

هبت الريح . فاضطربت السفن ، وكادت تغرق ، فبكى الناس ، وكان في القوم ابراهيم بن أدهم . فقالوا لو سألناه ان يدعو الله . فدنا منه رجل وقال : يا أبا اسحاق ما ترى ما فيه الناس ؟
فرفع رأسه وقال : اللهم قد أريتنا قدرتك . فأرنا رحمتك .
فهدأت الريح . واستقرت السفن .





العلاقات التشريحية للمعدة
ويظهر القولون المستعرض باللون الابيض والبنكرياس باللون الاصفر ، والطحال باللون البنفسجي ، والاوعية الدموية باللون الازرق ..

هرمونا السكرتين يمثلان قوة الطوارئ التي تحفظ معاهدة حسن الجوار بين معمل المعدة ومعمل الأمعاء



للدكتور/
غريب جمعة

تعتبر قضية الايمان بالله أهم القضايا وأخطرها في حياة البشرية بأسرها ، إذ عليها يترتب الفلاح في الدنيا والفوز في الآخرة أو الخسران والبوار في كليهما معا . ولهذا عالجها القرآن الكريم بأنجع الوسائل حيث ساق العقل البشرى سوقا رفيقا وجذب العاطفة جذبا رقيقا إلى النظر والتفكر في آيات الله وفي مخلوقاته ، من الذرة إلى المجرة ، ومن بينها الأنفس البشرية أيضا حتى ينتهى الانسان إلى الايمان بالله ، والاقرارله بالوحدانية والاعتراف له بالربوبية وأداء حقه سبحانه من العبودية ولنقرأ معا قوله تعالى :

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » (الأعراف /١٧٢) .

والمعنى على ما ذهب إليه جمع من المفسرين :

أنه تعالى نصب للناس فى كل شىء من مخلوقاته ومنها أنفسهم ، دلائل توحيده وربوبيته وركز فيهم عقولا وبصائر يتمكنون بها تمكنا تاما من معرفتها والاستدلال بها على التوحيد والربوبية ، حتى صاروا بمنزلة من إذا دعى إلى الاعتراف بها سارع إليه دون شك أو تردد . فالكلام على سبيل المجاز التمثيلى لكونهم في مبدأ الفطرة مستعدين جميعا للنظر المؤدى الى التوحيد . ولا إخراج للذرية ولا قول ولا إشهاد بالفعل . وذهب جمع من السلف إلى أن الله تعالى أخرج من ظهر آدم ذريته كالذر وأحياهم وجعل لهم العقل والنطق ، وألهمهم ذلك الاقرار لحديث رواه عمر رضي الله عنه . وقد أفاض العلامة الألوسي في هذا المقام فارجع إليه إن شئت .

وهيا بنا نعيش مع آيات الله في عضو من أعضاء الجسم البشرى لنرى دلائل التوحيد والربوبية ..

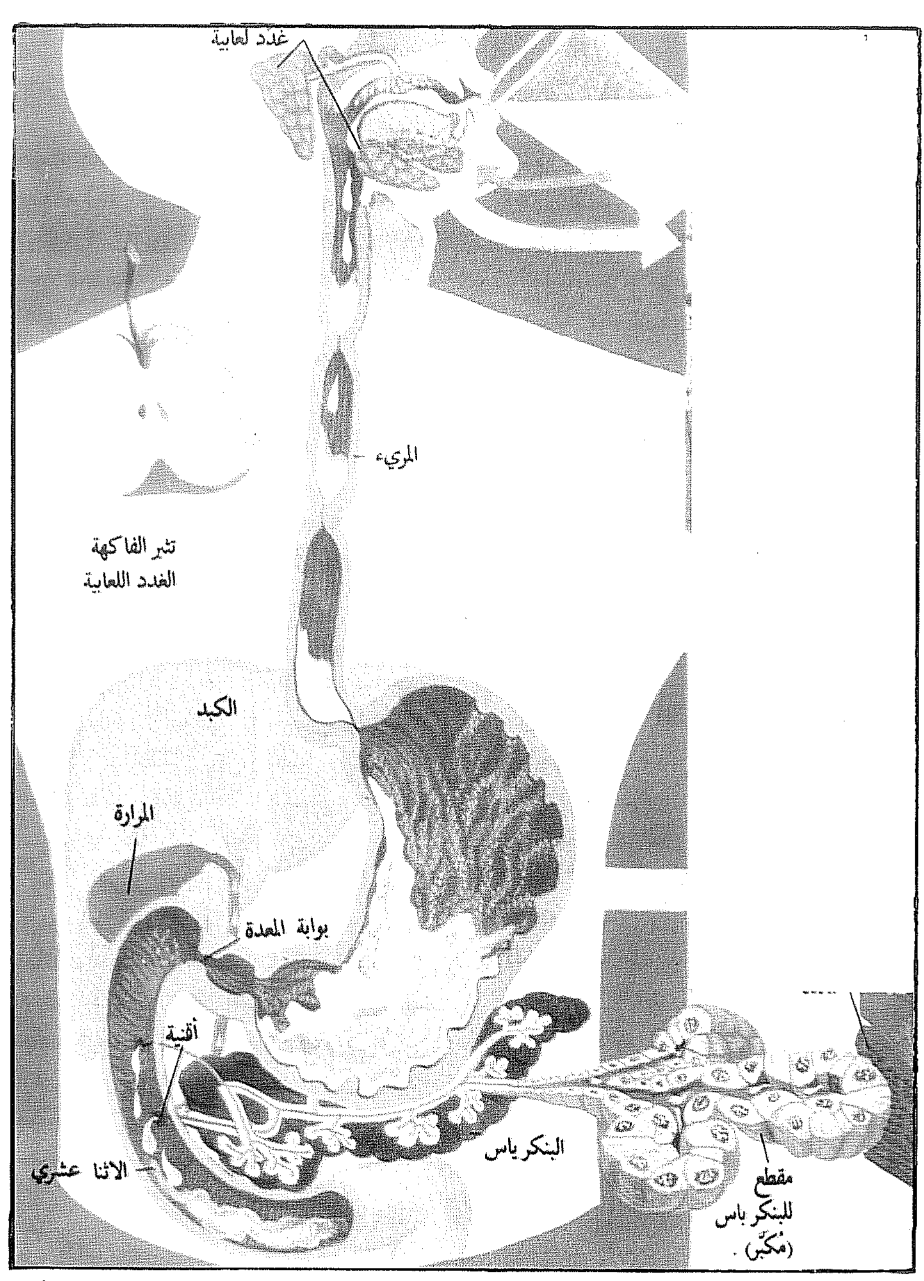
وفي كل شىء له آية
تدل على أنه الواحد

هيا بنا نعيش مع البنكرياس (المعثكلة) (الخبز الحلو) .

كلمة تشريحية عامة :

هو عبارة عن غدة صغيرة مصفرة اللون يبلغ طولها حوالي ١٥ سم (سنتيمتر) ونظرا لأهميته فقد وضعه الخالق في مكان أمين حيث جعله في أعلى البطن خلف المعدة والأمعاء - اى في اعمق جزء من البطن - وحصنه من الخلف بالعمود الفقرى والعضلات القوية ، ومن الأمام بالمعدة والغشاء البريتوني وعضلات البطن . وهو يمتد - بعرض البطن - من الجزء الثاني من الاثني عشر في الجهة اليمنى الى الطحال في الجهة اليسرى . وهو رخو ولدن جدا لان فصيصاته تتماسك فيما بينها بأقل ما يمكن من النسيج الخلوى ، ويدل اسمه على طبيعته اللحمية . (لحم = Creas - كله = Pan) . ونظرا لرخاوته فهو يختلف في الشكل تبعا لحالة الأعضاء الجوفاء القريبة منه ، ولكن عندما يتم تيبسه في مكانه يتخيله البعض كحيوان رابض داخل البطن ، يتكون من أربعة أجزاء : رأس يقع في تقعر الاثني عشر وعنق دقيق وجسم مستعرض ينام فوق الفقرات الظهرية وينتهى بذيل طويل يستقر في تجويف خاص بجوار الطحال .

ومن إبداع الخالق في هذا العضو ان جعل أنسجته وخلاياه بكمية كبيرة بحيث إذا تعرض جزء منها للتلف فإن الجزء المتبقى يؤدى وظيفته خير أداء . ويتم تغذية البنكرياس بالدم



بوساطة شرايين صغيرة من الشريانين : الطحالي والبنكرياسي العفجي . وترافق الأعصاب الشرايين وهى مشتقة من الضفيرتين : الجوفية والمساريقية العليا ومن العصبين الحائرين ، وتنتهى الأوعية الليمفاوية في عقد عديدة تقع على طول حرفه العلوى (العقد البنكرياسية الطحالية) وفي علاقة تامة مع رأسه على طول الأوعية البنكرياسية العفجية . (العفج = الاثني عشر اول أجزاء الأمعاء الدقيقة) .

وظائف البنكرياس :

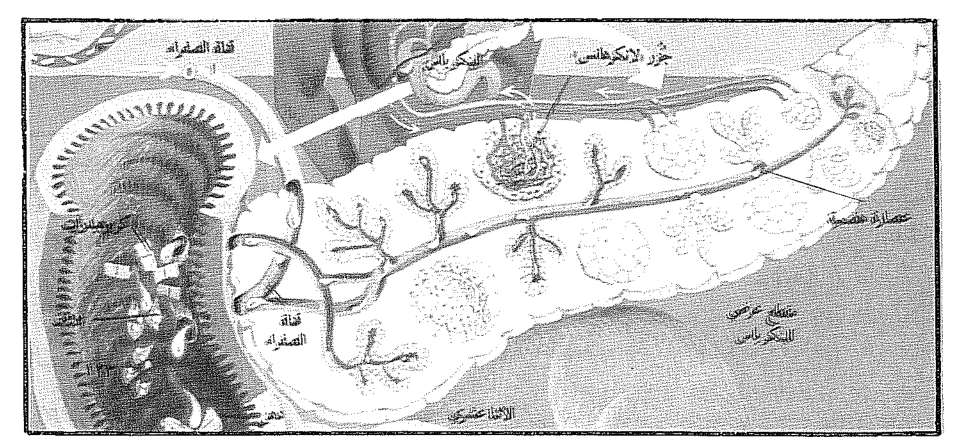
يتجلى إبداع الخالق في هذا العضو

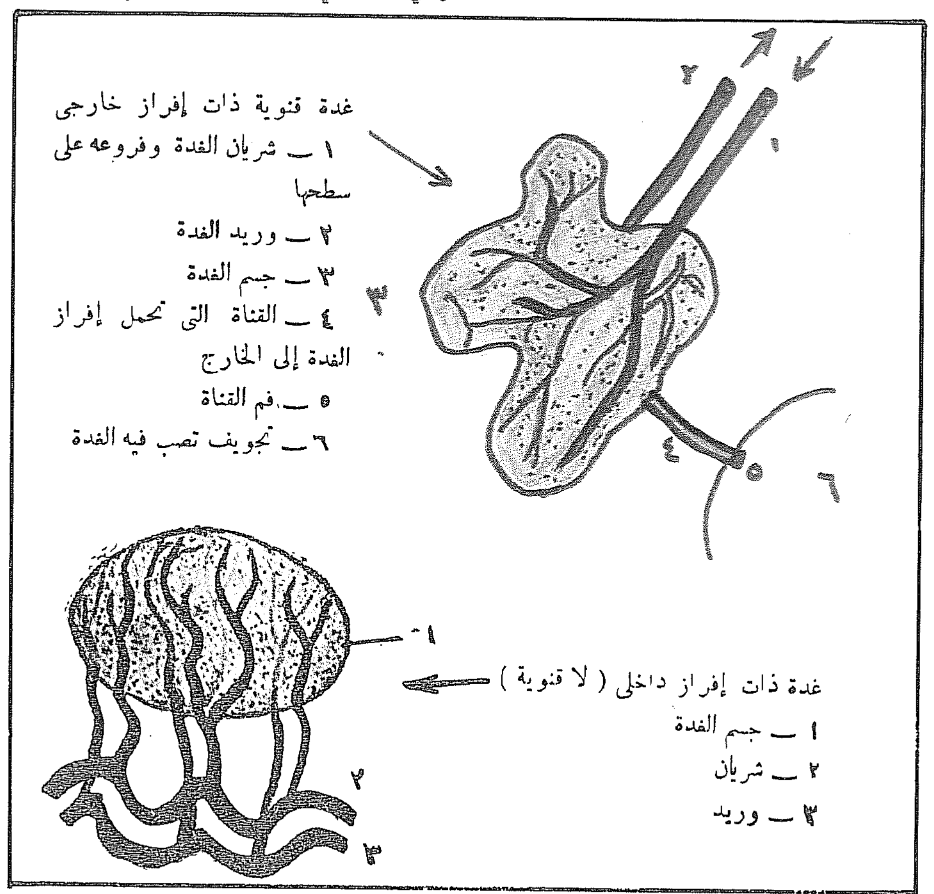
حيث جعل جزءا منه يؤدى وظيفة غدة صماء لها افراز داخلي ينتقل الى الدم مباشرة والجزء الآخر يؤدى وظيفة غدة غير صماء لها افراز خارجي ينقل بعيدا بواسطة قنوات بنكرياسية، ويوجد منها اثنتان احداهما رئيسية والأخرى إضافية، تقطعان طريقهما داخل جسم البنكرياس وتفتحان في الاثني عشر.

والافراز الداخلي له أهمية عظمي في ضبط مستوى السكر في الدم ومن ثم في علاج مرض السكر (البول السكري) وقد أطلق عليه اسم «الانسولين» وتنتجه خلايا معينة من البنكرياس تسمى «جزيرات لا نجرهانز» التي لا تتصل بقنوات وإنما تصب افرازها في الدم مباشرة كما ذكر آنفا.

أما الافراز الخارجي الذي ينقل إلى الأمعاء فإنه يسمى بالعصارة البنكرياسية الهاضمة لاحتوائها على كمية كبيرة من انزيمات الهضم تجعلها ذات وظيفة ساحرة !!. وهي عبارة عن مادة صافية اللون قليلة الكثافة قلوية التفاعل وتقدر كميتها بحوالى ٥٠٠ إلى ٨٠٠ سم^{3} يوميا. وهي تتكون اساسا من الماء والبيكربونات والصوديوم والبوتاسيوم واملاح اخرى بنسب ضئيلة، وتحتوى على الانزيمات الهاضمة التي يكونها البنكرياس في خلاياه، ثم تتسرب خلال جدران تلك الخلايا الى القنوات الصغيرة فالقناة الرئيسية حتى تصل الى الاثني عشر لتزاول عملها هناك، حيث تقوم بتحويل البروتينات إلى أحماض أمينية والنشويات إلى سكريات أولية والدهنيات إلى احماض دهنية وجليسرول. وجميع هذه المواد تعتبر من المواد الأولية التى يسهل امتصاصها لتدخل إلى تيار الدم الذي يوزعها بدوره على خلايا الجسم لتمدها بالطاقة والحياة، ولا تعمل هذه الانزيمات الا في وسط قلوى وعند توافر هذا الوسط يتم هضم المواد الضرورية للجسم. وإليك بيان عمل هذه الانزيمات:

١ - مواد بروتينية + انزيم تريبسين = أحماض امينية (آخر خطوة في هضم البروتينات).



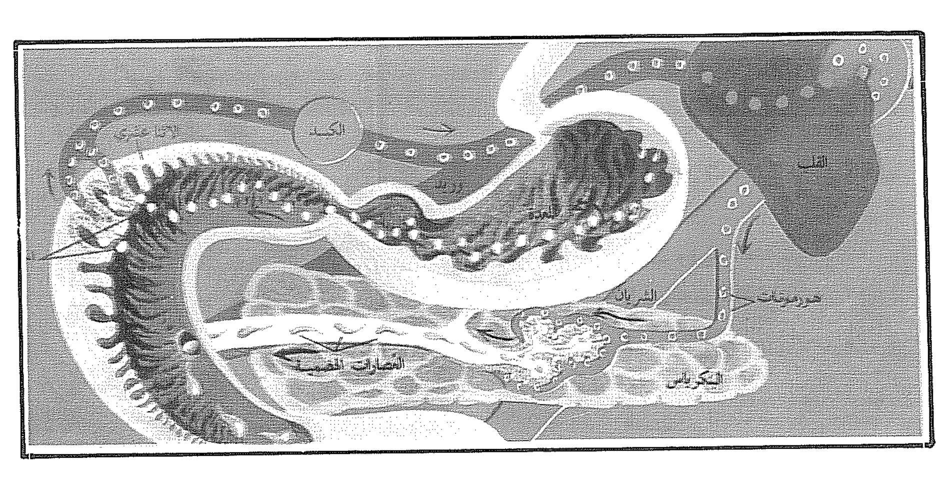


٢ ـ مواد كربوهيدراتية (سكرية) + انزيم أميليز = سكر (جلوكوز) (آخر خطوة في الهضم) .

٣ ـ مواد دهنية + انزيم ليبيز = أحماض دهنية + جلسرين (آخر خطوة في الهضم) .

وقد لوحظ أن تلك العصارة تفرز بصفة مستمرة ويزيد افرازها اثناء الهضم إلى ضعف حجمها أو ثلاثة أضعافه ، ويتأثر افرازها بالأعصاب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، كما وجد أن بعض الهرمونات لها دور فعال في تنشيطها مثل : هرمون (السكرتين) الذي ينشط عصارة غنية بالماء والبيكربونات، وهرمون « البنكريوزيمين » الذي ينشط عصارة غنية بالانزيمات وبنشاطهما معا يتم افراز عصارة كثيرة غنية بالانزيمات الفعالة .

ومن عجائب هرمون السكرتين أنه لا ينشط عصارة البنكرياس فحسب بل إنه يهيىء لها أحسن الظروف لمزاولة نشاطها حيث يذود عنها الحامض المتسلل اليها من المعدة والذي يبطل عملها لأنها لا تعمل إلا في



وسط قلوى كما ذكرنا . وتأمل صنع ربك في هذا الهرمون : بمجرد أن تصل قطرات من حامض المعدة الى الاثني عشر فإنه يثير على الفور الخلايا أو الغدد التي تفرز هرمون السكرتين فتندفع كميات كبيرة منه في تيار الدم وتصل إلى المعدة لتعطل خلاياها التي تفرز هرمون « الجسترين » وبالتالي يقف افراز حامض المعدة !!. وهكذا يؤدى هذا الهرمون دور قوة الطوارىء الربانية التى تحفظ معاهدة حسن الجوار بين جارين لدودين هما : معمل المعدة ومعمل الأمعاء « فتبارك الله أحسن الخالقين » . يا سبحان الله . كل ذلك يتم ونحن عنه غافلون !. ولكننا على أعلى درجة من اليقظة لقذف هضاب من اللحوم وتلال من الخبز والارز وبحار من السوائل في بطوننا !.

أمراض البنكرياس :

تكلمنا عن وظائف البنكرياس ولا يفوتنا أن نلقى ضوءا - ولويسيرا - على بعض الامراض التي تصيبه استكمالا للموضوع وإيضاحا للصورة .

(١) التهاب البنكرياس الحاد :

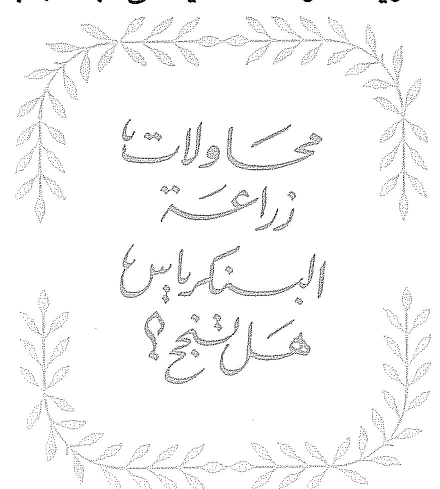
تظهر له أعراض كثيرة أهمها : ألم حاد في الجزء العلوي من البطن (فوق السرة) يمتد الى الظهر وقد يمتد إلى منطقة الكتفين أو إلى أسفل البطن مع إحساس بالهبوط المصحوب بعرق بارد

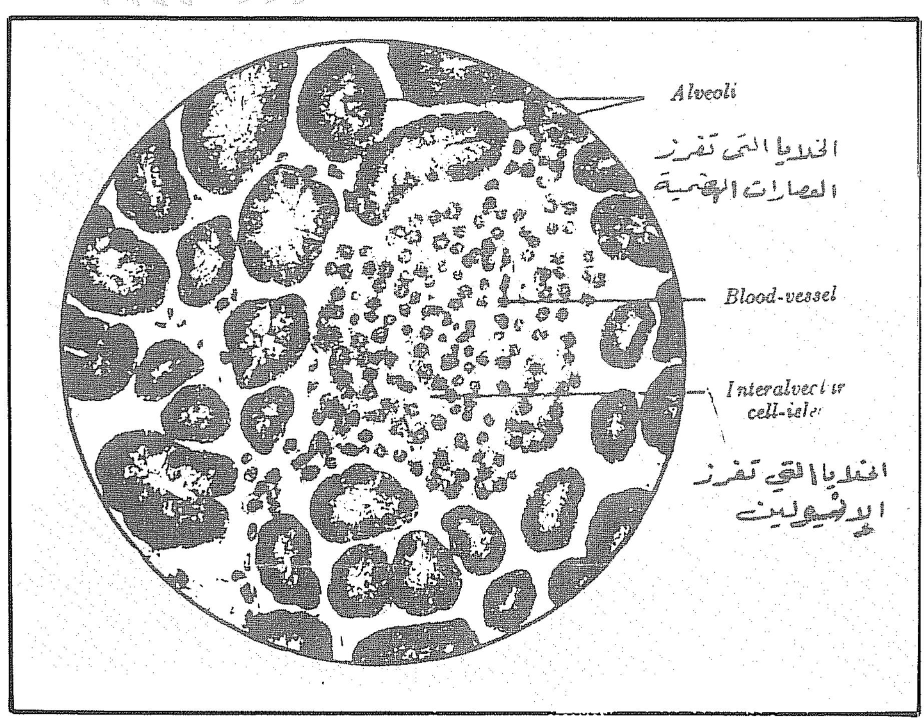
بالجبهة وبالجسم وزيادة في سرعة ضربات القلب مع ضعفها وانخفاض في ضغط الدم وقد تخف حدة الألم عند الانحناء إلى الأمام . والذي نحب أن نؤكده أن أى ألم حاد في البطن لا يعنى التهابا حادا بالبنكرياس . ولزيادة التأكد من التشخيص يتم فحص انزيم يسمى ؛ الاميليز بالدم فإن كانت نسبته مرتفعة أصبح التشخيص مؤكدا (طبعا في عدم وجود أى امراض اخرى تؤدى إلى ارتفاعه) . كما أن فحص الكالسيوم

بالدم يساعد على التشخيص حيث تنخفض نسبته في هذه الحالة . كما يلاحظ وجود سكر بالبول والدم ، ويرجع ذلك إلى أن خلايا البنكرياس الملتهبة قد تصاب بجروح تؤدى إلى خروج عصارتها في غير مسارها مؤثرة على ما حولها .

وتتعدد اسباب هذا المرض بحيث لا يمكن استقصاؤها هنا ، ولكن الذي يجب أن نلفت الأنظار إليه هو ان نسبة الاصابة بالتهاب البنكرياس الحاد ترتفع فيمن يتعرضون للاصابة بالتهاب الغدة النكفية كما يتعرض الذكور لالتهاب الخصية نتيجة التهاب هذه الغدة ، وعلى ذلك فإن من يصاب بالتهاب الغدة النكفية عليه أن يلزم الراحة **وهي أهم خطوة في العلاج** ، وعليه ان يتنبه إلى حدوث ألم بالخصية أو البطن فإن ذلك يساعد على تشخيص الحالة مبكرا .

وربما يكون الألم بسيطا كالشعور بعدم الارتياح في البطن وقد يزول سريعا ، وهذا ما يسمى بالتهاب





البنكرياس تحت الحاد وقد يحدث ذلك بكثرة عند الاصابة بالتهاب الغدة النكفية او بالتهاب الكبد الوبائى أو حتى بالانفلونزا .

ويتلخص علاج التهاب البنكرياس الحاد في اعطاء مسكنات للألم ثم يعطى المريض بعض المحاليل وأدوية رفع الضغط بالاضافة الى بعض الادوية التي توقف عمل البنكرياس عن طريق التأثير على العصب الحائر . وهذه مهمة الطبيب المعالج ولا شك والذي نحب ان ننبه إليه هو عدم الانزعاج حيث إن العلاج ميسر والشفاء يتبعه بإذن الله .

(٢) التهاب البنكرياس المزمن :

قد يتكرر التهاب البنكرياس الحاد أو تحت الحاد وقد توجد حصاة أو زائدة لحمية حميدة تعوق خروج عصارة البنكرياس وهذا بدوره يؤدى إلى الاصابة بالتهاب البنكرياس المزمن الذي ينشأ عنه تليف البنكرياس وانسداد قنواته وضمور خلاياه . وفي هذه الحالة يشكو المريض من ألم بأعلى البطن تخف حدته عند الانحناء إلى الأمام ولهذا قد يضع المريض أمامه مجموعة من الوسائد ينحنى عليها ، كما يشكو أيضا من إسهال مزمن يتميز بوجود كمية زائدة من البراز له رائحة كريهة ويحتوى على كمية كبيرة من الدهون التي لم تهضم ، وقد تسبب هذه الدهون طفو البراز على سطح الماء .

ويتلخص علاج التهاب البنكرياس المزمن في الالتزام بتناول طعام خال من الدهون مع إضافة الانزيمات الضرورية لعملية الهضم وكذلك بعض الفيتامينات .

تشخيص أمراض البنكرياس :

نظرا لصغر حجم البنكرياس ووجوده في أعمق جزء في البطن وخلف الأحشاء فإن ذلك يؤدى إلى صعوبة تشخيص أمراضه فهو ليس عضوا ظاهرا كالكبد مثلا ، ولذلك لابد من الفحوص المتأنية حتى نصل الى التشخيص السليم . وتتعدد طرق التشخيص فمنها غير المباشر مثل زيادة نسبة الدهون في البراز بشرط

أن لا يكون هناك سبب آخر يؤدى إلى زيادتها مثل سرعة حركة الأمعاء على الرغم من سلامة البنكرياس ، كما أن ارتفاع نسبة الأميليز بالدم يدل على وجود التهاب بخلايا البنكرياس بشرط سلامة الكلية لأن أى خلل في وظائف الكلية يؤدى إلى ارتفاع نسبتها في الدم لأن اخراجها يتم عن طريق الكلية .

أما بالنسبة للأشعة فإننا نستطيع التشخيص بها بطريقة مباشرة وأخرى غير مباشرة ، فغير المباشرة تكون بإعطاء المريض مادة الباريوم عن طريق الفم لتملأ الاثني عشر ثم نلاحظ آثار ضغط البنكرياس عليها . أما الطريقة المباشرة فبوساطة عمل أشعة عادية للبطن وقد تظهر بها

تكلسات بالبنكرياس وهذه يندر وجودها في الأحوال المرضية .

وقد تطورت طرق تشخيص أمراض البنكرياس باستعمال مناظير الألياف الضوئية المخصصة لقنوات البنكرياس والمرارة ، وبوساطتها يمكن إدخال صبغة خاصة في قنوات البنكرياس حيث يتم تصويرها بالأشعة ودراستها ، وبالتالي يمكن معرفة وجود التهابات مزمنة أو أورام سرطانية بالبنكرياس . كما يمكن بوساطة هذا المنظار تجميع العصارة البنكرياسية وتحليلها ومعرفة ما بها خاصة في حالة التهاب الكبد المزمن ويمكن فحصها بحثا عن خلايا سرطانية ، وتعتبر هذه وسيلة فعالة للتشخيص المبكر لسرطان البنكرياس .

بين استئصال البنكرياس وزراعته :

تم استئصال البنكرياس جراحيا في بعض الحالات المرضية ونتج عن ذلك ارتفاع مستوى السكر في الدم واضطراب شديد في الهضم ، وقد أمكن التغلب على ذلك باستعمال هرمون الانسولين والانزيمات الهاضمة والفيتامينات ، وتنظيم الغذاء والاقلال من المواد الدهنية ، وبذلك يستطيع المريض أن يعيش دون متاعب إن شاء الله .

أما عن زراعة البنكرياس فقد تمت أول محاولة في هذا المجال عام ١٩٢٧ م على حيوانات التجارب قام بها العالمان : Guillaumie M و Gayet R . كما استطاع أيضا Houssay اجراء نفس العملية ، وتواصلت الجهود منذ ذلك الوقت في سبيل التغلب على العقبات التي تقف في طريق عملية زرع الأعضاء .

وتتم عملية الزرع للبنكرياس كاملا أو لجزء منه مع مساحة من الاثني عشر أو لأجزاء صغيرة من بنكرياس كامل ، أو خلايا مفصولة من جزر لانجرهانز من اشخاص بالغين أو باللجوء إلى مصادر جنينية لهذه الأجزاء المفصولة من البنكرياس ، ويمكن ربط البنكرياس المنقول إلى الحالب أو الاثني عشر أو الجزء الأوسط من الأمعاء الدقيقة . وتتركز جهود العلماء حاليا على نقل خلايا جزر لانجرهانز اكثر من البنكرياس كاملا نظرا لضرورتها القصوى في علاج مريض السكر . والأطباء والمرضى بانتظار نتائج جهود العلماء وبالله التوفيق .

وبعـــد ...

فإن آخر دعوانا في هذا المقام اللهم اجعلنا من عبادك الذين قلت فيهم : « والذين اذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صما وعميانا » (الفرقان/ ٧٣) .



للاستاذ / بهيج بهجت سكيك

شيخ مهندسي العمارة في الدولة العثمانية تصادف هذه السنة الذكرى الاربعمائة لوفاة شيخ المعماريين العبقري « سنان » أحد أبرز أعلام الدولة العثمانية .

وبخلاف جامعة اسطنبول ، والتلفزيون التركي لم نسمع عن اي جهة اسلامية احيت ذكرى هذا المهندس الفذ او قامت بالتعريف به ..
فقد اعتبرت جامعة اسطنبول عام ١٩٨٨ « سنة المعماري سنان الدولية » وعقدت لذلك ندوات وحلقات دراسية ناقشت جوانب حياة المعماري سنان واعماله وشخصيته كما اعد قسم الوثائق في التلفزيون التركي في انقرة اربع حلقات عن المعماري سنان تناولت اهم آثاره الخالدة وهو جامع السليمانية في اسطنبول ، وعبقريته في فن المعمار وربطتها بالاحوال السياسية السائدة في الامبراطورية العثمانية في ذلك الحين .

ترك شيخ المهندسين العبقري « المعماري سنان » وراءه اكثر من ٤٧٠ منشأة تشكل كل واحدة منها تحفة فنية فريدة اكسبته شهرة وذكرى حية كأحد اعظم العباقرة الذين عرفهم العالم في البناء والعمارة .

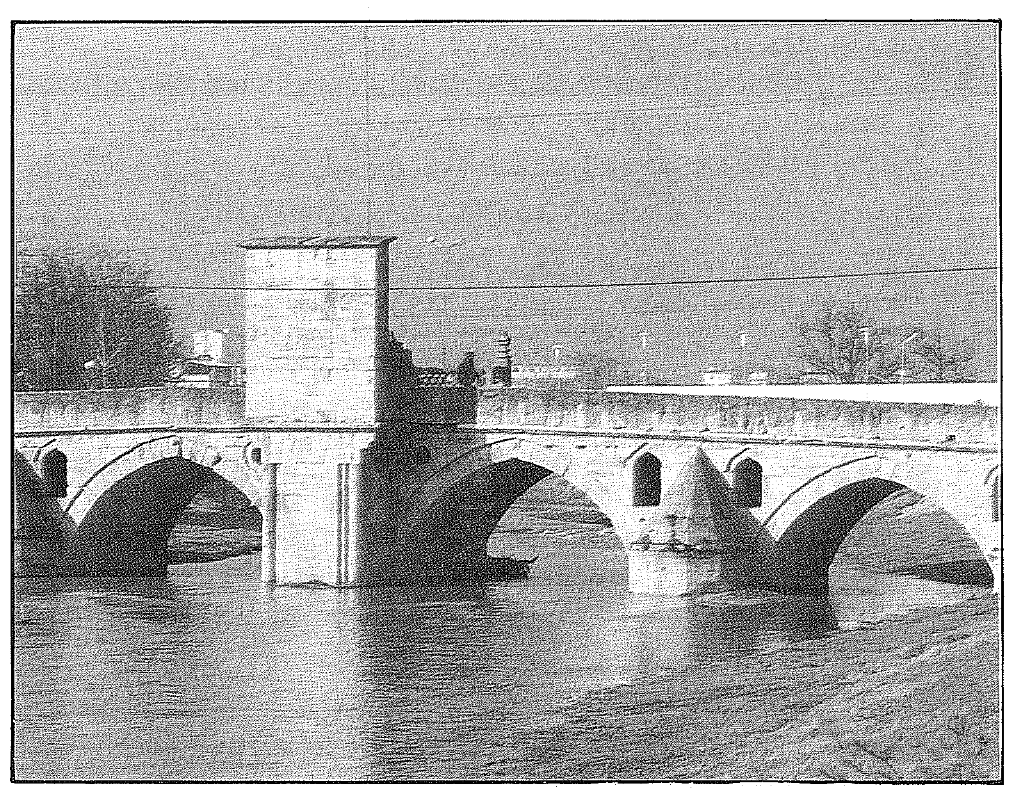
ان اعلام النهضة الاوروبية وهم ايطاليون في الاصل ـ ميخائيل انجلو او ليوناردو دافنشي او جاليليو لم تتجاوز اعمال الواحد منهم الأصابع العشرة ومع ذلك خرجت شهرتهم من ايطاليا لتشمل اوروبا كلها ويصبحوا رموز هذه النهضة ، ونحن في عالمنا الاسلامي بالكاد نسمع عن هذا العبقري وديننا الاسلامي لا يعرف الحدود السياسية ولا تعيقه الفواصل والأغرب من هذا ان آثار المعماري « سنان » تدرس في جامعات لندن وباريس وبرلين وغيرها من المعاهد العلمية الاوروبية ،

مولد سنان ونشأته

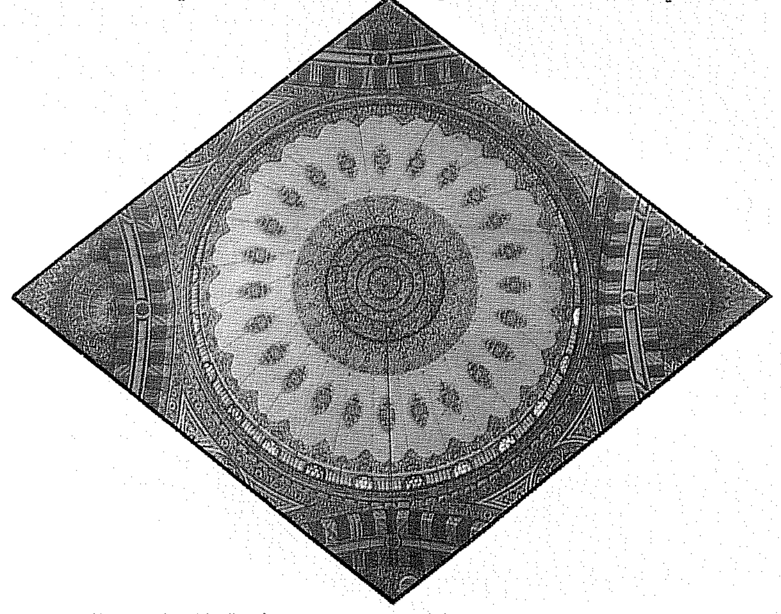
ولد « سنان » في ١٥ ابريل ١٤٨٩م من ابويين مسيحيين ثم أسلما ولقب ابوه بعبد المنان في قرية اغيرتاس بولاية قيصري في الاناضول ... ولا زال اسمه الأول محل جدل حتى الان ، عاش طفولته ومراهقته في هذه المنطقة وتعرف على فن العمارة السلجوقية والثقافة البيزنطية ثم استدعى الى اسطنبول كأحد جنود « الانكشارية » عندما بلغ سن الخدمة الاجبارية في عهد السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) وارسل الى عدة مناطق ضمن القوات العسكرية الى بلغراد سنة ١٥٢١ ، ورودس ١٥٢٢ والى هنغاريا وايران ومولدافيا ، وتعلم هناك الاعمال المعمارية والأثرية .

إحدى مآذن جامع السليمانية بنقوشها البديعة .

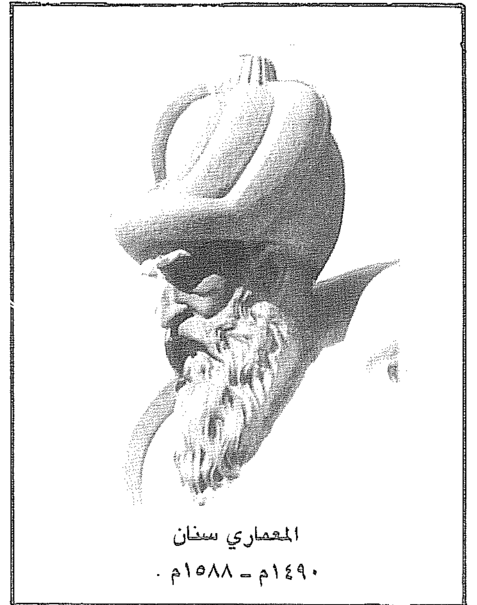
وكانت بداية نبوغه حين كلفه كبير الوزراء ـ الصدر الاعظم ـ عزام لطفي باشا بإنشاء جسر خشبي على نهر (بروت) في ايران لعبور مشاة



ـ لا تزال الجسور التي شيدها سنان شاهدة على عظمة هذا المعماري .



ـ نقوش على القبة في مسجد شاه زادة محمد من أعمال المعماري سنان .



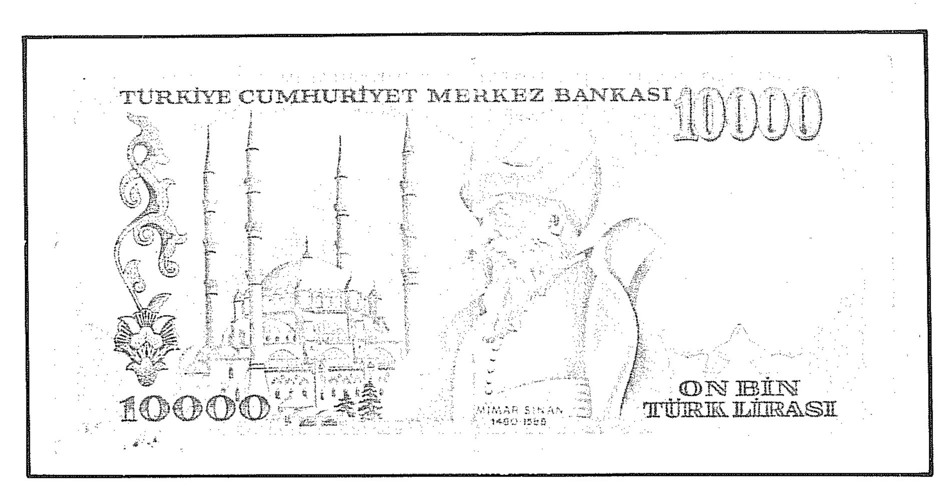
المعماري سنان
١٤٩٠م ـ ١٥٨٨م .



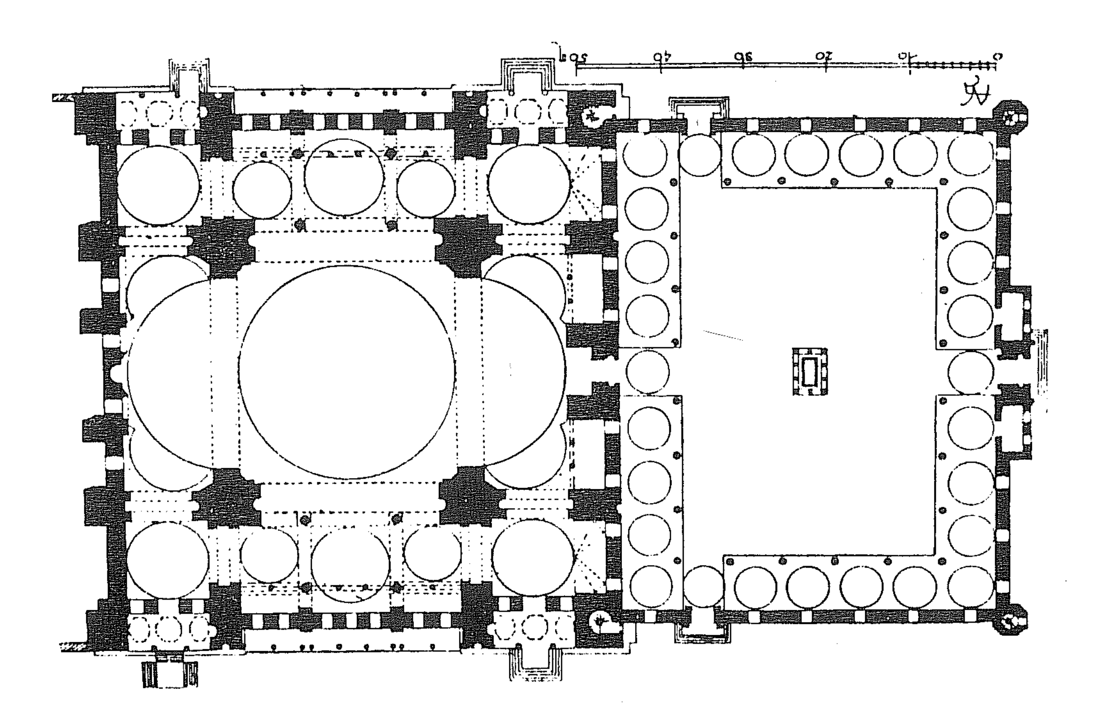
الجنود فقام بإنجازه في مدة قياسية لم تتجاوز الثلاثة عشر يوما في سنة ١٥٣٤م كما ابتكر زوارق لعبور بحيرة « وان » ثبتت صلاحيتها . لم يكن عزام لطفي باشا يدري انه اكتشف احد عباقرة فن العمارة في ذلك القرن . بدأ نجم سنان في الظهور وصعد سلم الترقيات بكفاءة ومقدرة ... اصبح زنبركجي باشي (كبير العمال الذين يطلقون الالعاب النارية) ، ثم صوباشي (مأمور قضائي) وبذلك صار من حاشية السلطان سليم الأول ،
وفي سنة ١٥٣٩ عينه السلطان سليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) كبيرا للمهندسين في الامبراطورية العثمانية ليترك لنا هذا الإرث الحضاري الضخم .

منجزات « المعماري سنان »

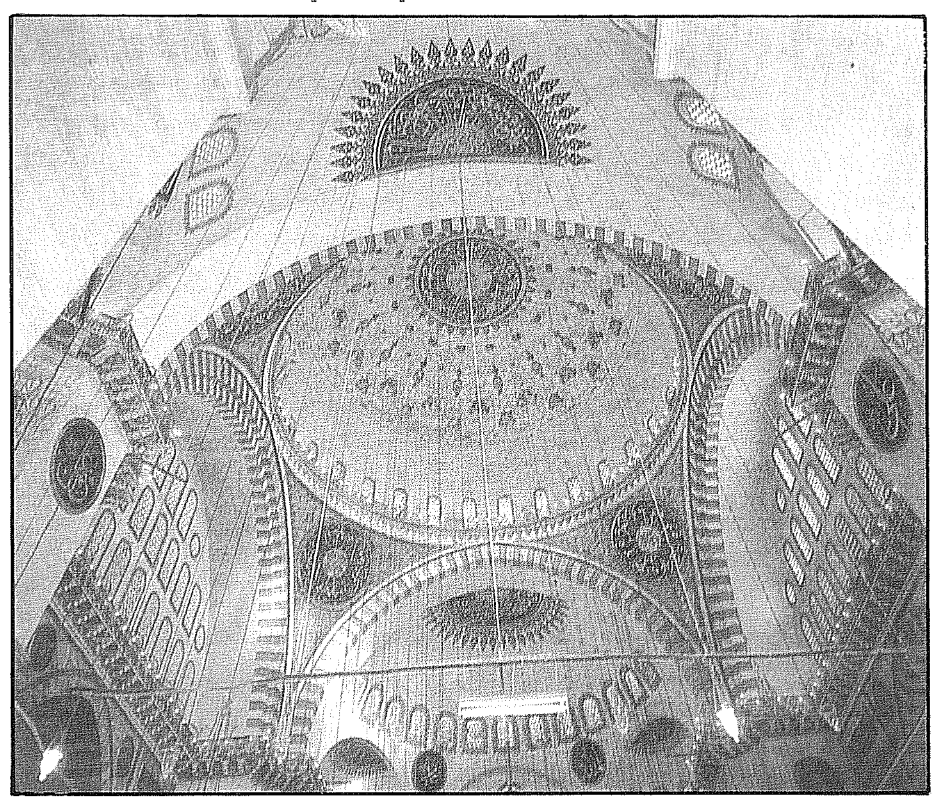
منذ توليه رئاسة المهندسين وخلال ٤٩ عاما حتى وفاته قام المعماري سنان بإنجاز أخلد الأثار واجمل الروائع واتمها على احسن صورة منها : ٨١ جامعا مع ملحقاتها (٥٠) مسجدا (١٤) مطعما لتقديم الحساء للفقراء (٥٥) مدرسة ابتدائية (٧) معاهد دينية (١٩) ضريحا لكبار رجال الدولة والسلاطين (٣) مستشفيات (١٧) خانا (٣٢) حماما (٣٣) قصرا (٦) صهاريج (٥) قنوات لسحب الماء (٨) جسور وعدد كبير من الدكاكين والنافورات .



كرمت الدولة التركية « المعماري سنان » فرسمت صورته مع مسجد السليمانية على أكبر ورقة نقد تصدرها .



ـ مخطط يمثل جامع السليمانية مع الصحن الخارجي .



ـ التناسق البديع في الألوان والأبعاد تظهر في أعمال المعماري سنان

اما المساجد والجوامع التي قام بإنشائها سنان في مدينة اسطنبول ولا تزال قائمة حتى الآن ويمكن زيارتها فهي :

١ ـ تحفته الرائعة جامع السليمانية شيده ما بين سنتي (١٥٥٠م ـ ١٥٥٧م) وسنشرح عنه بعد قليل .

٢ ـ جامع احمد باشا ـ زوج السلطانة فاطمة ابنة السلطان سليم الأول في منطقة طوب كابي .

٣ ـ جامع زال محمود باشا صهر السلطان سليمان القانوني وزوج ابنته شاه سلطان شيد سنة ١٥٥١ ويقع في منطقة ايوب قريباً من مسجد الصحابي الجليل ابو ايوب الانصاري

٤ ـ جامع محرمه سلطان ابنة السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٥٥م .

٥ ـ جامع والدة السلطان مراد الثالث « جامع الوالدة العتيق سنة ١٥٨٣ في منطقة طوب طاش في اسكودار .

٦ ـ جامع صوقلو محمد في ميدان السلطان احمد سنة ١٥٧١

٧ ـ جامع كيليج علي باشا سنة ١٥٨٠ على مضيق البسفور وامير البحر كيلج

باشا مدفون في حديقة هذا الجامع .
٨ ـ جامع شمس باشا في منطقة شمس باشا في اسكودار على البر الاسيوي وفيه اضرحة وقبور .
٩ ـ جامع مسيح محمد باشا كبير وزراء السلطان مراد الثالث شيده المعمار سنان سنة ١٥٨٦م ويقع في منطقة قره كمرك .
١٠ ـ جامع شاه زاده شيده سنان بأمر من السلطان سليمان تخليدا لذكرى ابنة شاه زاده محمد الذي كان واليا على ساروهان ومات في الريف الهنغاري وهو في عنفوان شبابه ولشاه زاده ضريح في الصحن الخارجي للجامع .
١١ ـ جامع ملا جلبي (١٥٧٩م) في منطقة فتدقلي في قباطاش .
١٢ ـ جامع السلمية (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م) في ادرنة الأوروبية بأمر السلطان سليم الثاني ـ وغيرها ..
اسهم المعماري « سنان » في اضافة الجدران المقاومة الى كنيسة ايا صوفيا والتي تحولت الى مسجد في عهد السلطان محمد الفاتح ، كما قام بترميم جامع حجي بيرام في انقره ... اما القصور ، والسرايات التي بناها سنان فهي تزيد عن ٣٣ ، منها ثلاثة قصور لسياوش باشا في اسطنبول واسكودار ، قصر رستم باشا ، وغيرها ..

تركزت اعمال المعماري سنان في منطقة اسطنبول وادرنه واسيا الصغري وبعض المواقع في شرق اوروبا في الفترة الاولى من توليه منصب كبير المهندسين ، والمتتبع لتواريخ بناء المساجد والقصور في اسطنبول يستنتج ان سنان قضى معظم عمره هناك .

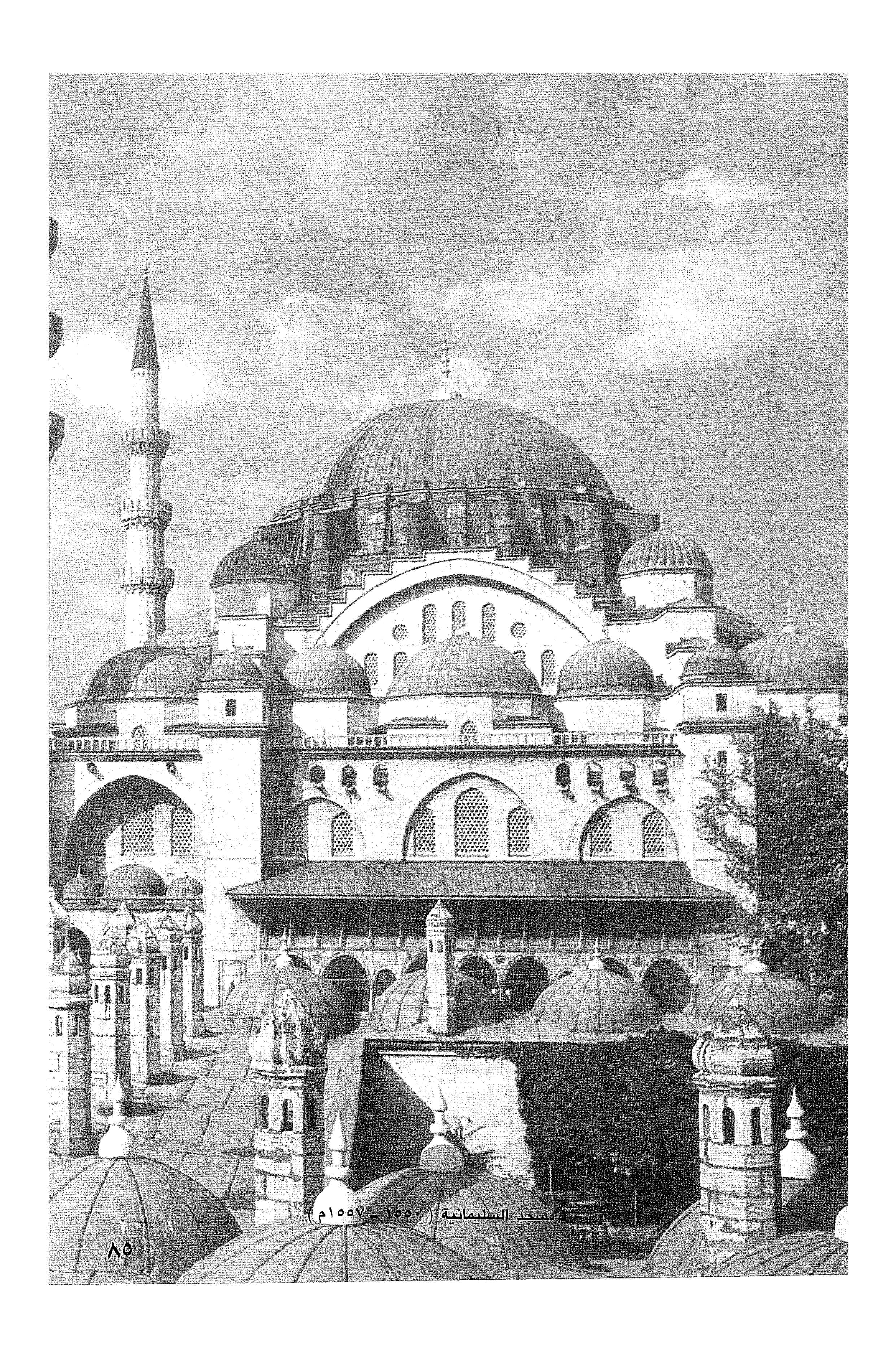
كما انشأ مدرسة السلطان سليمان في مكة ومطعم السلطان سليمان في دمشق .

اما ما ينسب اليه من عمارة جامع دمشق خارج الجابيه والحمام والسوق ، وتعمير حاشية المطاف حول الكعبة فهي اعمال تمت تحت إشراف الوزير ـ الصدر الاعظم ـ سنان باشا الذي كان في حملة على بلاد اليمن وسيأتي ذكره فيما بعد .

جامع السليمانية

كي تشاهد جمال جامع السليمانية عليك ان تنظر اليه من بعيد حيث بالإمكان مشاهدة هذه التحفة الفنية بكل عظمتها من برج (غلطة كوله سي) على خليج غلطه .

بدأ العمل في هذا الصرح العظيم سنة ١٥٥٠م حين كانت الامبراطورية العثمانية في قمة عنفوانها ، وقمتها في عهد السلطان سليمان



مسجد السليمانية (١٥٥٠ - ١٥٥٧م)

للجامع (١١) بوابة وللحرم الداخلي ثلاث بوابات مصنوعة من خشب الأبنوس المطعم بالصدف والبوابة الوسطى منقوش عليها عبارة (لا إله الا الله محمد رسول الله) ومنبر الجامع ومحرابه تحفتان رائعتان من خشب الابنوس ومقصورة السلطان مشيدة على اعمدة من المرمر القرمزي الجميل .
والزجاج الملون ذي النقوش التركية البديعة على حائط المحراب والقسم الداخلي من القبة مزين بزخرفة من النوع السائد في القرن الرابع عشر ، امام المنبر اعدت شرفة خاصة لقراء الموالد بأعمدة من المرمر .

الملفت للنظر التطابق والتناسق الجمالي بين عناصر المكان ودقة البناء وتوازنه وخلوه من النقص مما حمى هذا الصرح من الزلازل الكثيرة التي تعرضت لها اسطنبول على فترات متعددة واثرت على معظم الاثار فيها لتبقى شاهدا على دقة عمل المعماري سنان .

عند بوابتي الصحن الخارجي للجامع ـ الشرقية والغربية ـ وامام المدخل مباشرة توجد بلاطتان كبيرتان من الرخام السماقي اللون .

إن الزائر لجامع السليمانية في هذه الايام يرى رتل الحافلات يؤم المسجد ينزل منها الزوار الاوربيون بعضهم يحمل آلة تصوير وآخر كتابا يقرأ منه ثم يدرس المكان وثالث في يده مخطط يطابق ما به على الواقع وصدق من قال « من لم يزر جامع السليمانية لم يزر اسطنبول » .

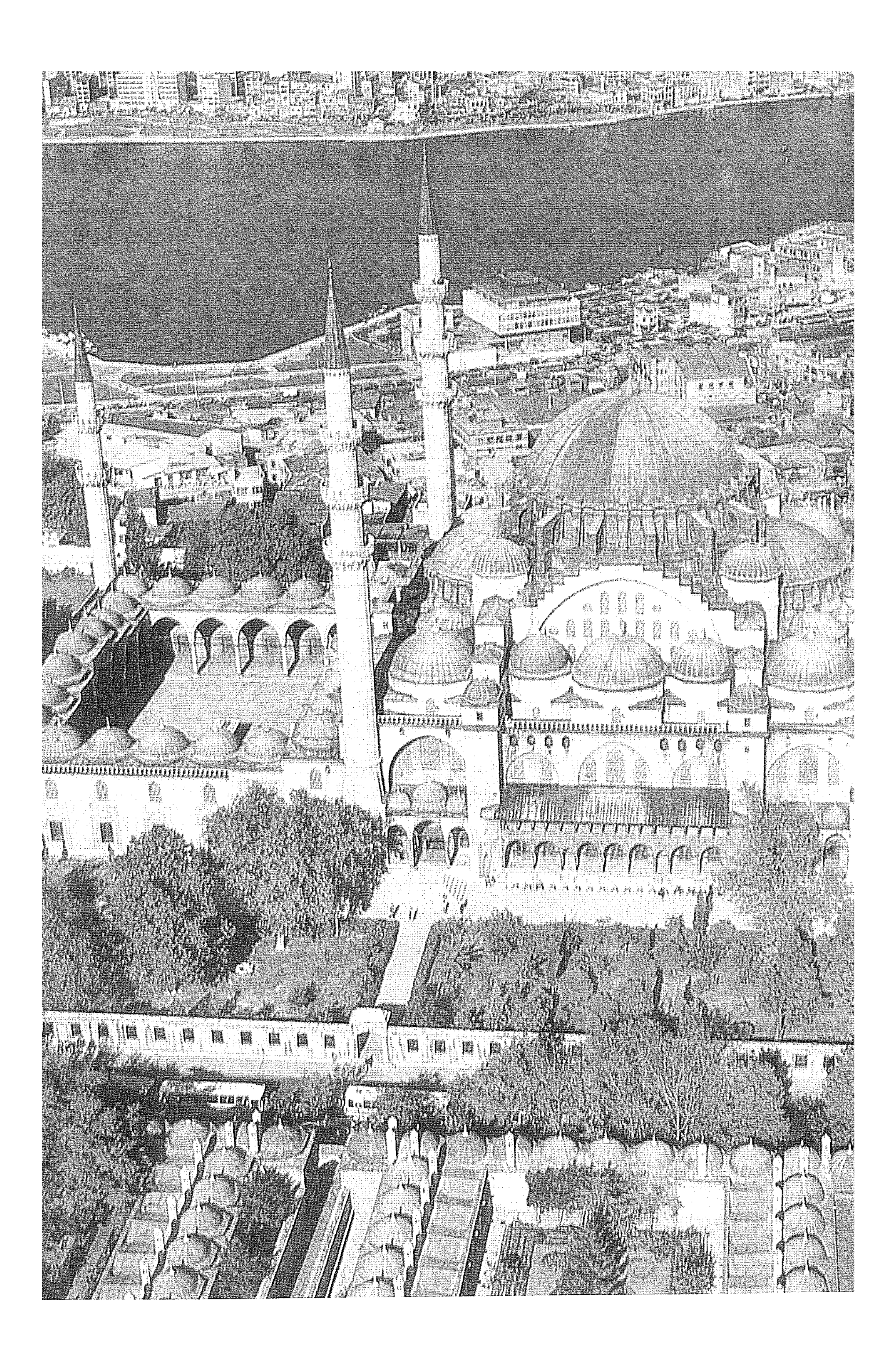
* * *

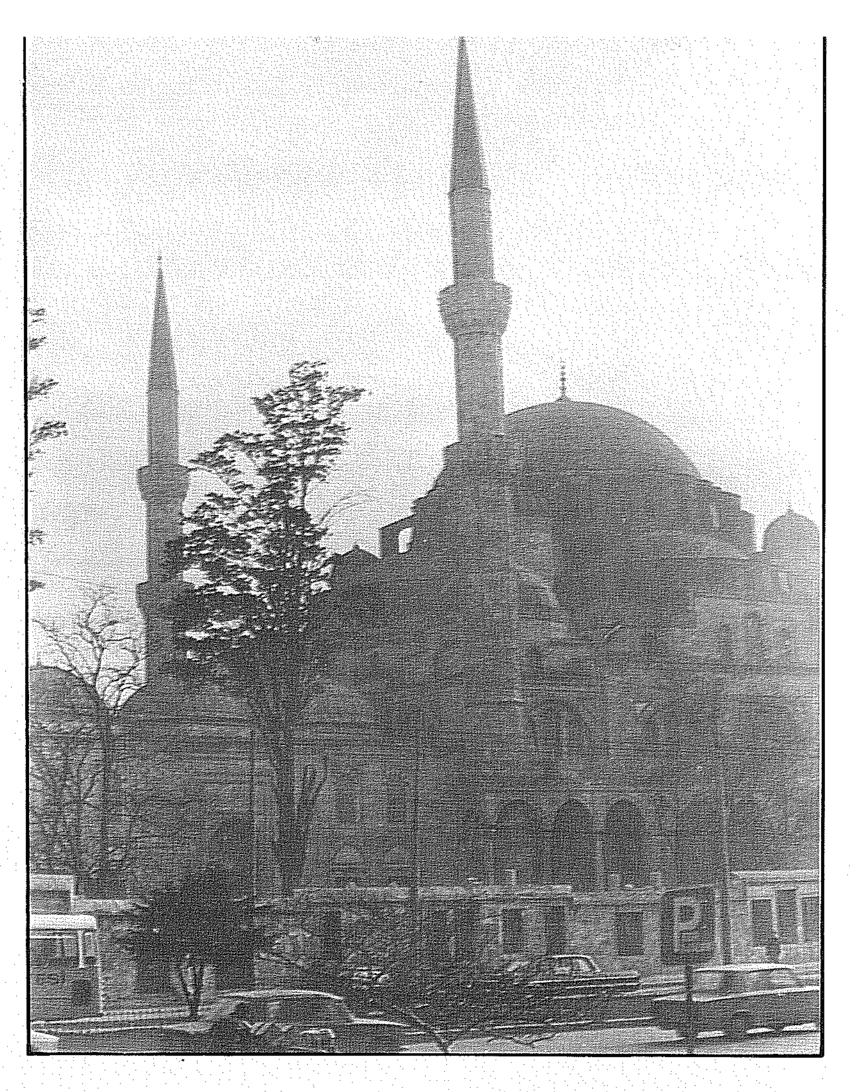
● المعماري سنان ، قوجه سنان ، خادم سنان ، الصدر الاعظم سنان ، هذه الاسماء اطلقت على شخصيات مختلفة كل منها يحمل اسم سنان بعضهم توفى قبل سنان المعماري الذي نتحدث عنه ، وبعضهم عاش في نفس الفترة ومات بعده مما سبب اللبس لدي البعض فلم يميزوا بينهم .

١ ـ فقوجه سنان باشا : ـ وزير محمد الفاتح بروسي الاصل ولد حوالي سنة ١٤٣٨م التحق بحاشية محمد الفاتح واصبح وزيره وعاصر بايزيد الثاني وكان وزيره ايضا توفى سنة ١٤٨٦م اي قبل مولد المعماري سنان بأربع سنوات ، كان عالما جليلا وله تصانيف في الرياضيات وشروح في علم الاخلاق .

٢ ـ خادم سنان باشا : الصدر الاعظم : من اصل مسيحي بدأ يظهر نجمه حين قاد الجيش العثماني في وقعة (جالديران) الشهيرة في ١٥١٤/٨/٢٣م وانتصر فيها ، تولى الصدارة اربع مرات وقاد سنان باشا الجيش في الحملة على الشام ومصر وحارب المماليك ، قتل في مبارزة بينه وبين طومان باي آخر مماليك مصر في موقعة الريدانية ٢٣ يناير ١٥١٧م في عهد السلطان سليم ولم يكن المعماري سنان قد جاوز الثلاثين عاما .

٣ ـ الصدر الاعظم سنان باشا : ـ الباني الاصل من منطقة دلفينو التحق



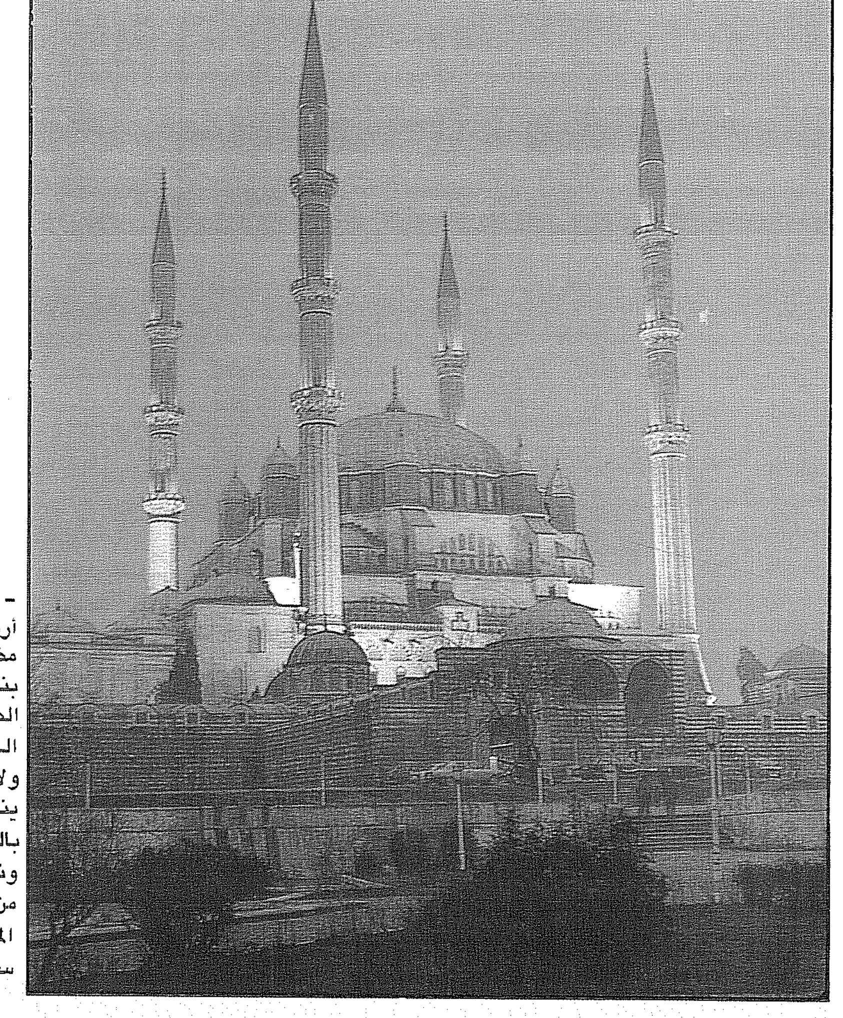


○ جامع شاه زادة محمد

القانوني والذي جاوز الخمسين من العمر (ولد السلطان سنة ١٤٩٥م) وحين أصابه الحزن والزهد بعد وفاة ولده شاه زاده محمد في الريف الهنغاري رغب في ترك هذا الأثر الخالد لمن سيأتون بعده فأمر ان يكون « مجمعا » للعبادة ، وملجأ ومطعما للفقراء ومستشفى لعلاج المرضى ومعهدا للتعليم العالي ومكتبة .

بدأ سنان بفعالية ونشاط في هذا العمل وقد مضى عليه عشر سنوات كبيرا للمهندسين في دولة الخلافة ـ كما لم يمنعه ذلك من المشاركة في اعمال اخرى في نفس الوقت ـ كان سنان موضع ثقة وقبول السلطان فاعدت الخطط والرسوم ليكون جامع السليمانية اكبر وأعظم مجمع ديني اجتماعي ثقافي في العاصمة مع خمس مدارس وكليات اربع لعلوم الدين سميت الكبرى منها « دار الهدى » والخامسة مدرسة طبية .

ارسل السلطان موفديه الى كل ارجاء الامبراطورية العثمانية ليعودوا بأمهر الفنانين والخطاطين والرسامين وعمال البناء والزخرفة والنحاتين ...

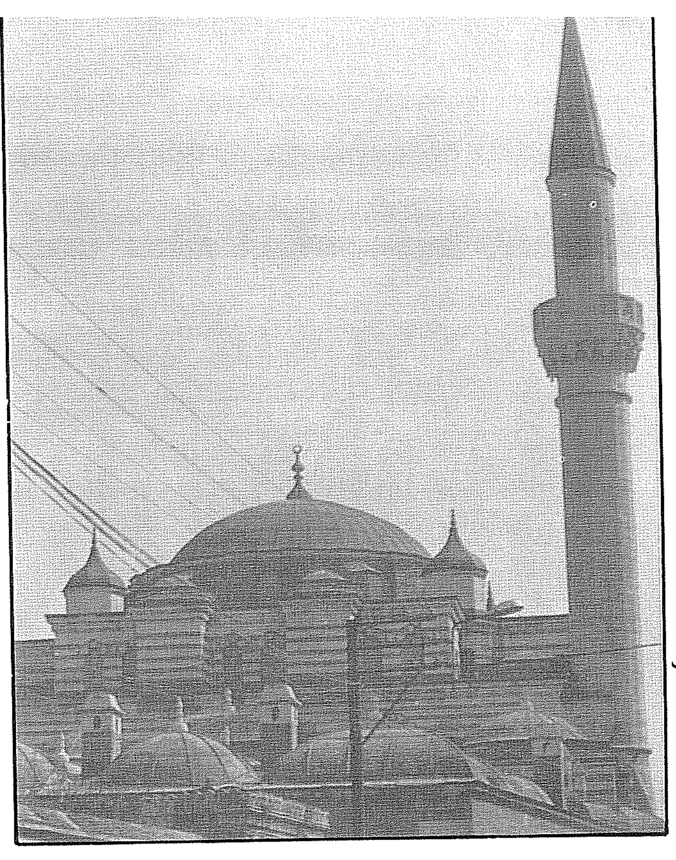


ـ أكثر من أربعة قرون مضت على بناء هذا الصرح الجميل ولا زال ينبض بالحياة ليلا ونهارا من أعمال المعماري سنان .

انتهى العمل في وقته المحدد وكان هذا الصرح الكبير الذي يمكن رؤيته من جميع مناطق اسطنبول قبل ان تمتد يد العمران اليها .. وفي يوم الافتتاح سنة ١٥٥٧ م سلم سنان المفتاح الذهبي الى السلطان سليمان القانوني فأعاده السلطان الى سنان قائلا : «ان شرف افتتاح هذا الاثر العظيم يعود اليك » .

هذا اعظم تكريم يناله فنان معماري منذ قرون . لقد استنفد هذا العمل جزءا كبيرا من ميزانية الدولة العثمانية حيث اراد السلطان سليمان ان يكرس الصفة الاسلامية العثمانية للمدينة ويمحو بها الصفة البيزنطية .

يغطى الصحن الاساسي للجامع قبة مركزية ارتفاعها ٥٣ مترا وقطرها ٢٦,٥ مترا تحملها اربع دعائم ضخمة على هيئة قدم الفيل ، للجامع اربع مآذن لكل مئذنة عشر شرفات يقال انها بنيت كذلك للدلالة على ان السلطان سليمان القانوني هو رابع سلطان عثماني بعد فتح اسطنبول والسلطان العاشر في سلسلة سلاطين بني عثمان .



ـ جامع زال محمود باشا ـ
يقع قريبا من مسجد
الصحابي الجليل أبو ايوب
الانصاري رضي الله عنه
شيده المعماري سنان
سنة ١٥٥١

بالجيش في عهد السلطان سليمان القانوني وترقى بسرعة إلى امير لواء على عدة بلاد منها ملطية ، قسطموني ، غزة ، طرابلس الشام ، ارضروم ، حلب ثم اصبح واليا على مصر في ربيع ١٥٦٨م ومنها قام بحملات على اليمن مرورا بارض الحجاز وهو الذي اثنى عليه قطب الدين محمد بن احمد النهروالي في كتابه « البرق اليماني في الفتح العثماني » ص ٢١٠ وما بعدها ونسبت اليه الفتوحات في اليمن وساحل البحر الاحمر الشرقي ـ عزل عن الصدارة واعيد تنصيبه واليا على مصر ١٥٧٢.

ثم قاد الحملة على تونس مع «تلج باشا» ونجح في ضمها الى أملاك بني عثمان وللاستزادة من ذلك فقد ذكرها بالتفصيل احمد بن ابي مضياف في كتابه « إتحاف اهل الزمان » الجزء الثاني و « المحبي » في كتابه خلاصة الأثر .

كما شارك سنان باشا في فتح بلاد الكرج واصبح بعدها واليا على دمشق . وقاد الحملة على هنغاريا (سنة ١٥٩٣) واستولى على كثير من الحصون والمعاقل ولما كان الصدر الاعظم سنان باشا يخطط للسيطرة على بقية هنغاريا واحتلال مدينة (اولو) دهمه الموت في ٤ شعبان (١٠٠٤هـ) (٣/٤/١٥٩٦م) اي انه توفى بعد المعماري بثماني سنوات تقريبا ، ودفن في ضريح خاص به في حي (صفيلر) باسطنبول ، والصدر الاعظم سنان يخلط الناس بينه وبين المعماري سنان لتزامنهما ، بني المعماري سنان

العديد من القصور لسنان باشا كما عهد اليه بحفر قناة تربط البحر الاسود بخليج نيفوميدية إلا ان هذا المشروع وئد بسبب الحروب التي خاضها سنان باشا .

« تلاميذ المعماري سنان »

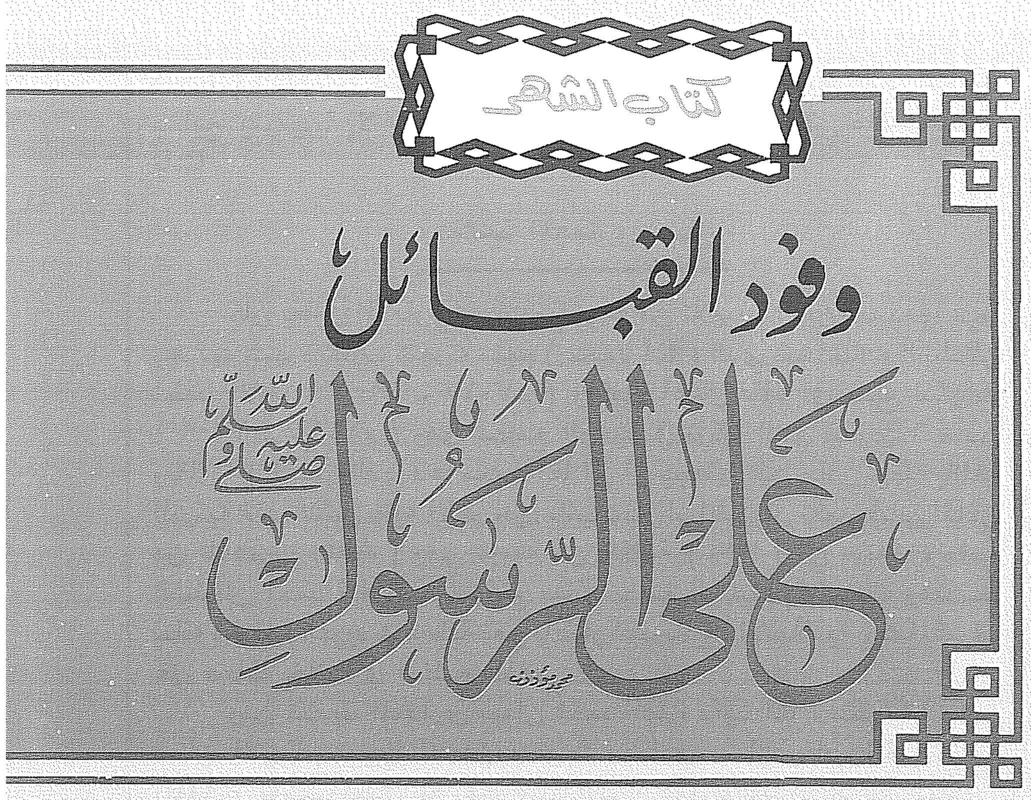
كان يعاون المعماري سنان مجموعة من تلاميذه الذين اصبحوا فيما بعد لهم شهرة تقارب شهرته منهم (محمد آغا) الذي شيد جامع السلطان احمد الأول (١٦٠٣ ـ ١٦١٧م) واكمل اعمال بنائه في سبع سنوات (١٦٠٩ ـ ١٦١٦م) وهو الجامع الوحيد في تركيا الذي يحوي ٦ مآذن ويقال ان السبب الذي دعا محمد آغا الى أن يجعلها ست مآذن جهله باللغة التركية فقد التبس عليه الامر حين طلب منه السلطان ان تكون قباب المآذن من الذهب (Altin) وهي قريبة من الكلمة (Alti) أي ستة . وجامع السلطان احمد المعروف بالجامع يماثل جامع السليمانية لجماله وهندسة بنائه وموقعه الفريد في منطقة تعج بالآثار البيزنطية والاسلامية ، كما يشرف على منطقة خلابة في الخليج الذهبي .

ومن تلاميذ المعماري سنان أحمد آغا ، داود آغا ، يتيم بابا علي ، سنان الاصغر تمييزا له عن « قوجا معماري سنان » اي الكبير ، أما المعماري يوسف فيقال انه الذي شيد قصور لاهور،ودلهي،وأجرا،في الهند .

عاصر المعماري سنان خمسة من سلاطين بني عثمان هم بايزيد الثاني (١٤٨٠م ـ ١٥١٢م) ، وسليم الأول (١٥١٢م ـ ١٥٢٠م) وسليمان القانوني (١٥٢٠ ـ ١٥٦٦م) وسليم الثاني (١٥٦٦ ـ ١٥٧٤م) ثم مراد الثالث (١٥٧٤م ـ ١٥٩٥م) لكن اعظم اعمال المعماري سنان كانت في عصر السلطان سليمان القانوني او كما يعرفه الكتاب الغربيون « سليمان العظيم » الذي حكم ٤٧ عاما بلغت الدولة الاسلامية في عهده اوجها اتساعا وامتدادا وتقدما وثراء فلا عجب ان يرافق ذلك ازدهار عمراني لا تزال آثاره باقية حتى الآن .

« وفاة المعماري سنان »

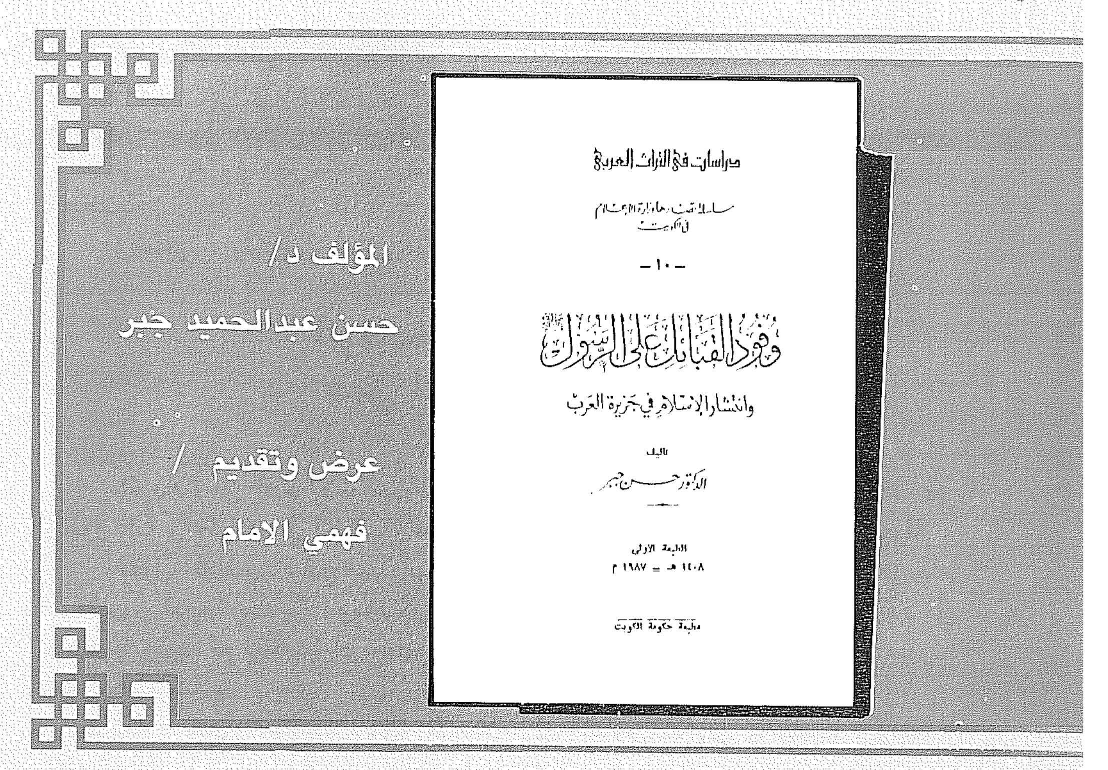
كما اختلف في تاريخ مولده اختلف ايضا في تاريخ وفاته ـ والسبب ان تاريخ وفاته كتب على ضريحه بالحروف التي تحول الى ارقام !! .. الا ان الدولة التركية اعتمدت العام (١٥٨٨م) حيث كرمت المعماري سنان فرسمته بجوار جامع السليمانية على اكبر ورقة نقد تصدرها وهي [عشرة الآف ليرة تركية قبل صدور الورقة الجديدة ذات العشرين الفا] وكتبت تحتها المعماري سنان (١٤٩٠م ـ ١٥٨٨م) .



حديثنا معك - اخي القارىء - عن هذا الكتاب الذي اصدرته وزارة الاعلام الكويتية في سلسلتها « دراسات في التراث العربي » .
والكتاب جاء يحمل الرقم العاشر في السلسلة ، ومؤلفه هو : الدكتور / حسن عبد الحميد جبر المالكي - رئيس المكتب الفني بادارة المناهج - وزارة التربية . الكويت .
والكتاب من الحجم المتوسط ، اشتمل على ٣٣٠ صفحة .

غرض الكتاب

ولكل كتاب هدف يريد ان يصل اليه . ومعلومات يريد ان يزود بها القارىء ، والكاتب يعاني من حالات لا يستريح حتى يصبها في قوالب من الكلام تحمل افكاره ، فما غرض الكتاب . وماذا يريد ان يقول ؟
يجيب المؤلف :
هذا البحث محاولة قد تسهم في الكشف عن طبيعة الحركة التاريخية التي قام بها الجيل الاول . وهو جيل الصحابة رضوان الله عليهم . هذا الجيل الذي حمل رسالة الاسلام الى امم الدنيا ، وشغل العلماء والباحثين قديما وحديثا بقدرته على دعوة الأمم ، وفتح البلدان وادارتها ، واقناع الناس بالدخول في الاسلام سادة وعبيد ، أغنياء وفقراء ، كبارا وصغارا ، من اهل الحضر واهل المدر .



المنهج

ولكل كاتب منهج . ولكل كتاب منهاج ، ومؤلفنا دقيق الملاحظة . لا تخدعه المصطلحات الشائعة ، ولا يلقى القول جزافا . ولذا فانه لا يعول على الأوصاف العامة ، بل عندما يتكلم عن البيئة العربية يقول : ان طبيعة الجزيرة العربية متنوعة ، فيها أماكن الاستقرار ، وفيها الترحال ، فيها الحضر ، والبدو ، فيها الزراعة ، والصحراء ، ولذا جاءت أنشطة السكان متنوعة ايضا ، ومع أن العرب كانوا يعيشون في جماعات متفرقة ، وقبائل متصارعة أحيانا ، الا انهم كانوا امة لها تاريخها .

وفي ظل هذه الطبيعة نشأت معارف الصحابة . وخبراتهم ، وعقائدهم ، وان كانت هذه المعارف على درجة أدنى في بعض مظاهرها ـ كالعمارة ـ فهي على درجة اعلى في مظاهر اخرى كاللغة والأدب والشعر .

ثم اتسعت دائرة ثقافتهم عندما هداهم الله الى الاسلام ، وعاشوا في ظلال القرآن .

نظرة اجمالية

والبحث بصورة اجمالية يتكون من :

١) مقدمة .

٢) مدخل .. يعالج البيئة . والسكان ، والحياة الدينية .
٣) وفي سبيل التعريف بنسب كل قبيلة ، ووضعها السياسي ، وعقيدتها عند ظهور الاسلام ، ثم موقفها منه ، انقسم البحث الى بابين : الأول : يتناول القبائل العدنانية .

والثاني : يتناول القبائل القحطانية .

الوفادة على رسول الله صلى الله عليه وسلم

الوفادة من أهم الاساليب للتعبير عن اسلام القبيلة ، قد يكون الوافد على رسول الله واحدا هو في الغالب زعيم القبيلة ، وممثلها ، وباسلامه تسلم القبيلة .

يقول المؤلف : عالج امر وفود القبائل على رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كثيرون قديما وحديثا ، وبعد ان يشيدبهم وانه أفاد منهم . يقول : واضفت الى ماذكروا وفودا لم يذكرها اي منهم ، وربما اذكر للقبيلة اكثر من وفد لأبين اسلوب دخولها الاسلام .

خاتمة : تبين أساليب دعوة الاسلام في العصر النبوي ووجهتها ، وأنواع الاستجابة .

تفصيل بعد اجمال

وبعد هذا العرض المجمل ، نتصفح معا ، اخي القاريء ـ صفحات هذا الكتاب القيم ، وقبل ان يأخذنا الحديث دعني اقول لك : ان المؤلف دعم كتابه القيم بخرائط ورسوم تبين البعد المكاني ، والوحدة الاجتماعية للسكان . مما يجعل للكتاب أهمية خاصة .

المدخل

في المدخل ترى المؤلف يستعرض موقفين متناقضين للمؤرخين ، فريق يركز على صحراء الجزيرة العربية ومناخها شديد الحرارة . وكأنه يريد ان يقول بقصد او بدون قصد انها بيئة طاردة يلتمس اهلوها من حين لآخر سببا للهجرة والاستقرار خارج جزيرتهم .

والفريق الآخر يركز على زراعة اليمن ، وربوع نجد ، وبساتين اليمامة ، ومقدسات مكة . ومناجم حضر موت ، وتجارة الشرق ، ويقول المؤلف عن هذا الفريق : ان العاطفة الدينية او الوطنية نحو هذه الارض التي كانت مهد الاسلام قد غلبته ، وبعد ان يستعرض المؤلف الطبيعة والمناخ يخلص الى أنه نتيجة لهذا التنوع اتي النشاط البشري متنوعا مما لايجوز معه اطلاق الأوصاف العامة ذات

الصبغة الواحدة ، ويعتبر هذا مؤشرا على تنوع خبرة الصحابة يوم توحدت الجزيرة تحت راية الاسلام .

ويتواصل الحديث فيفيدنا الدكتور / حسن ان هناك اتجاها عند بعض المؤرخين الى زرع الفرقة في الامة العربية ، ومحاولة اظهارها على انها تتكون من شعبين مختلفين متصارعين يفصل بينهما البحر الاحمر ، عرب الشمال ، وعرب الجنوب .

يقول المؤلف : واعتقد ان تكوين المصنفات التاريخية على هذا النحو لايخلو من هوى مصبوغ بالعصبية العمياء ، او الشعوبية البغيضة ، او العداء للاسلام .

ثم يقول : ففكرة الساميين في مقابل الحاميين لم تكن ظاهرة عند المؤرخين الأوائل ، ونلاحظ بوضوح ميلا الى وحدة النسب ، يقول ابن هشام عند الحديث عن نسب الرسول الأعظم : «العرب كلهم من ولد اسماعيل ، وقحطان ، وبعض اهل اليمن يقول : قحطان من ولد اسماعيل » .

وبعد الحديث عن البيئة والمناخ ، والأصل العربي الواحد ، يأتي الحديث عن الحياة السياسية ، وانها قد وصلت الى ادنى مستوياتها قبيل الاسلام ، غير انه كان للعرب مجد قديم تغنى به الشعراء ، فرغم التدهور السياسي ، لم ينهزموا نفسيا ، بل كانت ارواحهم متوثبة لاسترجاع هذا المجد . المتمثل في دولة معين (١٣٠٠ ـ ٦٥٠ ق . م) ، ودولة سبأ (٩٥٠ ـ ١١٥ ق . م) ودولة تدمر ، وغير ذلك .

يقول المؤلف : وهذا التاريخ السياسي كان فخر العرب ، وحين تغلبوا على خلافاتهم وصاروا أمة واحدة تحت راية الاسلام كانوا قادرين على ادارة دفة دولة الاسلام .

وعن العقيدة :

يقول المؤلف ان العرب غلبت عليهم الوثنية ، ويعرض تاريخ دخول الاوثان والأصنام الى الجزيرة العربية ، وهناك من العرب من دان باليهودية او النصرانية او المجوسية . ويذكر المؤلف كيف دخلت هذه الاديان بلاد العرب . وان الاصل في العبادة كان التوحيد ، ثم دخل عليه الشرك ، وغلب ، حتى جاء الاسلام فأعاد الى العقل البشري اتزانه وقال في وضوح ان الأصل في العقيدة هو التوحيد ، اما الشرك وعبادة الاوثان فجاءت عارضة ناتجة عن انحراف في سلوك الانسان وفكره .

فالعرب اذن عرفوا الاديان المعاصرة قبل ان يبشروا بالاسلام .

الباب الاول

القبائل العدنانية

والقبائل العدنانية تنقسم الى قسمين كبيرين هما : مضر ، وربيعة

الفصل الأول

خصصه المؤلف للحديث عن مضر نسبة الى مضر بن نزار بن معد بن عدنان ، وينسب اليه عدد كبير من القبائل .

اولا : كنانة

ويندرج تحت كنانة عدد كبير من القبائل منها :

١ ـ قبيلة قريش : وعميد هذه القبيلة ومؤسسها هو قصي بن كلاب بن مرة الكناني ، وهو الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد استطاع قصي تكوينها من مجموعة من الرجال والبيوت والعشائر الكنانية ، وانتصر بها على اعدائه واستعان بها في خدمة البيت الحرام ، وادارة شئون مكة .

وقد قسم قصي بطون قريش الى مجموعتين : « قريش البطاح » وتعيش داخل مكة ، « وقريش الظواهر » وتعيش خارجها .

فخر قريش :

ظلت قريش خادمة للبيت الحرام ، متولية امر مكة ، حتى اصطفى الله تعالى منها صفوة خلقه محمدا بن عبد الله لحمل رسالته الى الناس كافة . فكان محمد فخر قريش ، بل فخر العرب جميعا .

ثم يستعرض المؤلف تاريخ الدعوة الاسلامية ، وموقف الناس منها . فأصحاب المصالح والسلطان خافوا الدين الجديد فرفضوه وناصبوه العداء .

واخذ الاسلام ينتشر ببطء في مكة ، فكان اول السابقين الى الاسلام خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ، ثم علي بن ابي طالب ، وابو بكر الصديق ، وزيد بن حارثة . وظلت اعداد المسلمين تنمو بطيئا حتى بلغ عددهم ثمانية وثلاثين رجلا خلال ثلاث سنوات ، ثم بلغ العدد خمسين . وبعد ان سرد اسماءهم وقد زادوا على الخمسين قال : أكاد أوقن ان هؤلاء هم كل من أسلم قبل الجهر بالدعوة .

ثم كان الجهر بالدعوة ، وكانت المواجهة بين المسلمين على ضعفهم ، والمشركين على جبروتهم ، وطغيانهم .

وسرد المؤلف سيرة هذا الصراع .. حتى اضطر بعض المسلمين للهجرة الى الحبشة فرارا بدينهم الى الله ، وحصرهم المؤلف في ٨٢ أو ٨٣ مهاجرا ، ومحاولة

قريش استعادتهم ليكونوا تحت سياطهم . ولجعفر بن ابي طالب دور مشهور ، ثم أسلم حمزة ، وعمر بن الخطاب ، فعز الاسلام ، رغم أنف الشرك وأهله .

ولم تهدأ ثائرة المشركين بل قاطعوا المسلمين . وحصروهم في شعب ابي طالب ، وما كادت تنفرج شدة المقاطعة والحصار التي امتدت ثلاث سنوات حتى مات وزير صدق على الاسلام ، كما يقول ابن اسحاق ، والمقصود خديجة رضي الله عنها ، ثم مات أبو طالب . فنالت قريش من محمد ما لم تكن تنال ولا تطمع به ، في حياة ابي طالب ، فخرج الرسول الكريم الى الطائف ، وعاد الى مكة حزينا مهموما ، من سوء رد أهلها عليه ، ثم تفاقمت الأمور ، فيسر الله الهجرة الى المدينة ، بعد بيعة العقبة الأولى ، والثانية ، جاء في سيرة ابن هشام ان رسول الله قال لأصحابه : « ان الله عز وجل قد جعل لكم اخوانا ودارا تأمنون بها » فخرجوا أرسالا ، ثم اذن الله لرسوله بالهجرة ، وتكونت دولة المسلمين لاول مرة في التاريخ في « المدينة المنورة » . ثم كانت المواجهة العسكرية بين دولة الايمان ، وجحافل الشرك ، على الصورة التي تعرفها . غزوة بدر ، وغزوة احد ، ثم فتح مكة ، ثم انتصار الايلام اخيرا . وفي كل موقف يعرض المؤلف لذكر بعض الأشخاص والبطون والقبائل ، الذين كانت لهم مواقف متباينة من الدعوة الاسلامية ، وفي المسلمين من حسن اسلامهم ، ومنهم من بقي مترددا بين الاسلام والكفر رغم نطقه بالشهادتين ، وفي صفوف المسلمين منافقون .

الاسلام ينتشر :

بعد صراع مرير ، تتجمد قريش اول الأمر في مكانها ، وينطلق رسل رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتبه التي يدعو فيها الملوك والاباطرة والناس الى الدخول في دين الله . فمنهم من قبل . ومنهم من رد ردا حسنا ، ومنهم من رد ردا قبيحا .

وخاتمة المطاف في امر قريش ، انهم بعد فتح مكة دخلوا في الاسلام ، وحملوا رايته وخدموا البيت الحرام ، فكان شرفا لهم في الاسلام ، كما كان شرفا لهم في الجاهلية . غير انهم في الاسلام قد تطهروا من الشرك ، وطهروا البيت من الأوثان

٢ ـ فهر .

وينتقل بنا الحديث الى قبيلة فهر ، وهل قبيلة فهر ، هي نفسها قبيلة قريش ؟ قد يفهم هذا من بعض النصوص ولكن المؤلف يقول :

٢ ـ فهر :

إن بعض الرجال ينسب إلى فهر ، وليس بقرشي ، من أمثال عقبة بن نافع الفهري ، ويتحدد من سلسلة النسب ففهر هو الجد العاشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم . أما تسمية قريش فقد جاءت عندما جمع قصي بن كلاب . وهو الجد الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم قبائل حوله في مكة وخارجها ، فسموا « قريش » .

وكان موقف بطون قريش من غير أبناء قصي تجاه الاسلام متوافقا مع موقف أبناء قصي ، ومع هذا فقد شرح الله صدور بعضهم للاسلام فدخلوا فيه . منهم

الخريت بن راشد الناجي ، الذي لقي رسول الله في وفد بني سامة بن لؤي ، فاستمع منهم . وحبيب بن مسلمة الفهري . وكانت له صحبة ورواية ، والمستورد ابن راشد ، وقد امتد بهما لأجل حتى شهدا فتح مصر .
وأشهرهم كرز بن جابر ، الذي هداه الله للاسلام بعد عداوة شديدة له ، وأصبح سيفا مصلتا على الكافرين .

٣ ـ مرة :

وبنو مرة يلتقون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في لؤي بن غالب ، وكان موقفهم معاديا للاسلام والمسلمين ، وكانوا واقعين تحت تأثير بني غطفان ، وبعد مواجهة بينهم وبين سرية من سرايا المسلمين . خرجوا من تأثير غطفان ، ثم أخذوا يفكرون في الاسلام وصدق دعوته . وكان زعيم بني مرة هو الحارث بن عوف . وبعد مناقشة وتردد ، وإعمال فكر ، قدم على رسول الله معلنا اسلامه .
ثم أخذ الاسلام ينتشر في بني مرة حتى قدم وفدهم في العام التاسع من الهجرة على رسول الله وهو عائد من تبوك ، كانوا ١٣ رجلا ، على رأسهم الحارث .

٤ ـ ضمرة

وبعد أن يعرف الكاتب بنسبها ، ومسكنها ، وعبادتها للأصنام ، يذكر أنه في صفر من السنة الثانية للهجرة ، وادعت ضمرة رسول الله ، وكان على رأس الجمع الموادع مخشي بن عمرو الضمري . وتضمن العهد ألا يكثروا عليه ، ولا يعينوا عليه أحدا ، وظلوا ملتزمين بهذا العهد وبذلك خرجت ضمرة من حلبة الصراع بين المسلمين والمشركين .
هذا . وقد شرح الله صدور بعضهم للاسلام مبكرا، ثم أخذ العدد في التزايد ، حتى أسلمت القبيلة كلها عام الفتح ، وأشهرهم ومن أسبقهم إلى الاسلام ، عمرو ابن أمية الضمري ، وأبو ذر الغفاري . وجعال بن سراقة الغفاري ولكل من الثلاثة دور عظيم في تاريخ الاسلام .

٥ ـ ليث :

والموقف العام لليثين كان متفقا مع موقف كنانة ، حيث عادوا الاسلام حتى فتح مكة .
وشاء الله ان يكون أسبقهم اسلاما أربعة إخوة من بنى البكير ، أسلموا والرسول في دار الأرقم بن أبي الأرقم ، ومن السابقين ايضا جندب بن ضمرة الليثي الذي نزل فيه قوله تعالى « ومن يخرج من بيته مهاجرا إلى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » .

٦ ـ بنو الدئل

وهذه القبيلة من كنانة قد احتلت مكان الصدارة يوما ما ، ففي عام الفيل

كان سيد كنانة من بني الدئل وهو يعمر بن نفاثة بن عدي الدئل . وكان في صحبة عبدالمطلب عند مفاوضة أبرهة الحبشي ليسترد إبله . ويرده عن البيت الحرام . وينسب إلى القبيلة عبدالله بن أريقظ الذي كان الدليل في هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وأبي بكر الصديق إلى المدينة .

ولإسلام بني الدئل قصة مفادها : انهم كانوا على علاقة طيبة بقريش ، وكانوا في نفس الوقت يحبون رسول الله صلى الله عليه وسلم . وبعد إسلامهم لم يريدوا الاشتراك في قتال قريش ، وآثروا موقف الحياد بين المسلمين والكفار ، فقبل رسول الله منهم ، فأعلنوا اسلامهم .

وهذا كان ـ كما يقول الدكتور حسن ـ بعد صلح الحديبية ، وقبل فتح مكة .

٧ ـ بنو مدلج :

ما زال المؤلف يستعرض معنا قبائل كنانة .. وبنو مدلج واحدة منها ، وهذه القبيلة كانت تسكن موقعا مهما ، فوادعها رسول الله ، فلم تقع تحت تأثير العداوة المعلنة بين قريش والمسلمين ، فأخذ الاسلام ينتشر بينهم تدريجيا حتى فشا فيهم قبل فتح مكة . وإلى هذه القبيلة ينسب سراقة بن مالك صاحب القصة المشهورة في الهجرة .

٨ ـ بنو جذيمة :

ونحن الآن مع قبيلة ... نصاب بالارتجاف والرعب ونحن نكتب عنها ، كانت تقيم خارج مكة ، وتميل الى القتال والعدوان جاء في كتابنا الذي نستعرضه : انهم ربما كانوا أكثر من في المنطقة شرا ، فقد وصفوا بأنهم شرُّحيّ في الجاهلية . وكانوا يسمون لعقة الدم . ولخالد موقف معهم حين ارسله رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ إليهم على رأس ٣٥٠ رجلا من المهاجرين والانصار . ورغم ان المؤلف قال : لست بصدد الحكم على موقف خالد ـ إذ أعمل فيهم سيفه ـ وكذلك بعض من كان معه . إلا أنه أخذ يسوق الدلائل والبراهين على سلامة موقف « سيف الله » رضي الله عنه .

وقد تحمل رسول الله دية قتلاهم ، فغادروا الكفر ، وساروا في مواكب الايمان .

ثانيا : هذيل :

وبعد ان فرغ الكاتب من استعراض قبائل كنانة ، هاهو يأخذنا الى قبيلة هذيل ، فيعرفنا بها ، كانوا أهل غدر وخيانة ، غدروا بأصحاب رسول الله في بئر معونة ، وغدروا بأصحاب مرثد بن أبي مرثد في الرجيع ، وكان يمثل هذه القبيلة في الجاهلية « بنو لحيان » . دعا عليهم رسول الله في قنوته . وقال عنهم حسان بن ثابت .

ان سرك الغدر صرفا لا مزاج له   فأت الرجيع فسل عن دار لحيان
قوم تواصوا بأكل الجار بينهم   فالكلب والقرد والانسان مثلان

لو ينطق التيس يوما قام يخطبهم وكان ذا شرف فيهم وذا شان

ويبدو أن بطون هذيل قد استسلمت حين سلمت مكة

ثالثا : مزينة :

وهم بنو عمرو بن أد بن طابخة بن إلياس ، نسبوا الى أمهم مزينة . ولم يذكر المؤلف العلة في نسبتهم الى الأم ! ومن هذه القبيلة زهير بن أبي سلمى الشاعر ، وهو من أصحاب المعلقات .
وهذه القبيلة كان وفدها أول وفد مضري قدم على رسول الله بإسلام قومهم .

رابعا : أسد

وهذه القبيلة كانت تعبد الاصنام ، وموقفها من الاسلام موقف عدائي ، وهموا بغزو المدينة ، فوجه رسول الله إليهم سرية من ١٥٠ رجلا ، ففروا . ورغم عدائهم ، عرف الاسلام طريقه إلى قلوب بعضهم ، وأخذت بقعة الضوء في الاتساع حتى عمتهم في العام التاسع الهجري . ونذكر منهم عبدالله بن جحش ، وأخاه ، وكانا من السابقين إلى الاسلام .
غير أنه نزل قرآن كريم في شأن وفد منهم قدم على الرسول معلنا إسلامه . ولم يؤمن قلبه ـ وأخذ يمن بإسلامه فنزل فيهم قوله تعالى : « **يمنون عليك ان أسلموا قل لا تمنوا علي اسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين** » .

خامسا : الهون والقارة

وهم عضل والقارة : أصحاب الغدر بالصحابي الجليل مرثد ومن كان معه ، وعرف المكان الذي وقع فيه الغدر بالرجيع ، وهو ماء لهذيل .

ومع غدرهم وعداوتهم ، يأبى الله إلا أن يتم نوره . فأخذ الاسلام ينتشر بينهم ، ووفد منهم على رسول الله الأسقع بن شريح .

سادسا : تميم

وهذه القبيلة كثيرة العدد . متعددة الفروع ، تفخر بكثرتها وقوتها ، وموقفهم كان معاديا للاسلام . وقبيل فتح مكة أخذ الاسلام يجتذب بعضهم ، وبعض من دخل منهم في الاسلام لم يتمكن الايمان من قلبه . فكانوا مصدر خطر ، ، ومنعوا الزكاة ، ومنعوا غيرهم من أدائها وشهروا سيوفهم . فأرسل اليهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عيينة بن بدر الفزاري في خمسين فارسا

فأغار عليهم ، فجلب منهم ١١ رجلا ، و ١١ امرأة و ٣٠ صبيا إلى المدينة ، فكان هذا سبب قدوم وفدهم الى المدينة . وهم الذين نادوا رسول الله من وراء الحجرات وبعد أخذ ورد ، أذعنوا للحق ، فأسلموا ، فرد عليهم رسول الله الأسرى والسبي . وأمر لهم بالجوائز .

سابعا : ـ قيس عيلان ، وبطونها

وقد بين المؤلف دورهم ، وموقفهم في الجاهلية والاسلام ، ووفدهم . وهذه شجرة نسبهم :

وأهمها أشجع : ـ وهذه هي الوحيدة من قبائل غطفان التي لم تشترك في الهجوم الذي قامت به القبائل البدوية على المدينة في حروب الردة . هذا وقد دخل افراد منهم الاسلام في وقت مبكر . منهم جابر بن حميل الأشجعي ، وخارجة بن حمير الأشجعي ، وأخوه ، غير ان وفدها قدم على رسول الله سنة خمس من الهجرة .

وعبس : قبيلة كان لها وجود داخل المدينة ، ومنها قيس بن زهير ، وعنترة الفوارس ، وقال المؤلف : إن وفدهم قدم على رسول الله قبل الحديبية .

وذبيان :

كانت معادية للاسلام ، وأرسل الرسول اليهم سريتين : الأولى بقيادة زيد بن حارثة ، والثانية بقيادة كرز بن جابر الفهري . وظل عيينة بن حصن ـ زعيم فزارة ـ مترددا بين الخوف من المسلمين ، والرغبة في الايمان ـ ثم هداه الله قبل فتح مكة .

وجاء وفدهم يشهر إسلام القبيلة في العام التاسع الهجري .

ثم مضى المؤلف يذكر ، ثعلبة ووفدها ، وباهلة ووفدها .

وبعد ان انتهى المؤلف من ذكر قبائل غطفان ، اخذ في ذكر قبائل خصفة بن قيس عيلان ، وقال : هم قبائل عدة . كان لكل منها دور متميز في تاريخ دعوة الاسلام ، ثم انقادت في النهاية للاسلام وائتمرت بأمر رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وعد منها : محارب ، وسليم ، وهوازن ، ومن هوازن قبيلة ثقيف . وهي التي توجه إليها رسول الله فاستقبلوه أسوأ استقبال . ثم أخذ المؤلف في سرد وفود هوازن وبطونها ، إنك ـ أخي القارىء ـ لواجد هنا مواقف عظيمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم . تعجب كيف اتسع حلمه فشمل من آذوه وعادوه . وكيف كان يكافىء على الاساءة إحسانا ـ صلى الله عليه وسلم . مواقف نحيلك الى الكتاب لتقرأها . فتعرف عظمة الاسلام ، وسمو دعوته .

الفصل الثاني

ربيعة

وقبائل ربيعة تمثل القسم الثاني للقبائل العدنانية ، ونسبهم الى ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان . وكان في هذه القبائل ـ قبل الاسلام ـ مجوس ويهود ونصارى . ومنهم من ترك كل هذه الأديان قبيل ظهور الاسلام ووحد الله .

وكانت قبائل ربيعة غير موحدة فقامت بينهم الحروب . من ذلك حرب البسوس التي قامت بين بكر وتغلب .

يقول المؤلف : ويمكن ان تعتبر الفوضى التي سادت في بلاد ربيعة وقيام الحرب بين بطونها . وبين بعض هذه البطون وجيرانهم من الفرس والقبائل العربية الاخرى وبخاصة تميم ، ترجع فيما ترجع إليه إلى التنافس القبلي ، وانهيار النظام السياسي لامارة الحيرة ، وخضوع المنطقة مباشرة لمرزبان الفرس .

ثم يقول : ـ

وقبائل ربيعة شأنها شأن القبائل العربية لم تعتنق الاسلام دفعة واحدة ، ولم تخضع لسلطة المدينة في وقت واحد ، بل إن كل بطن من بطونها عرف الاسلام بطريقة خاصة ، وكان لكل منها موقفه من هذه الدعوة واستعرض المؤلف موقف كل قبيلة .

فبدأ أولا بقبيلة عبدالقيس : حيث عرّف بنسبها ، ومضاربها ، وهجرتها القديمة من تهامة الى البحرين وقال : إن البحرين في ذلك الزمان منطقة بين نجد والخليج العربي . وقديما اعتنق بنو عبد قيس الوثنية . كما عرفوا الديانات السماوية . ثم كان موقفهم من الاسلام موقفا متميزا حيث استجابوا مبكرا لدعوته طائعين . وكان لهم اكثر من وفد جاء يعلن إسلامه . هذا ما رجحه المؤلف ، وبداية الدعوة فيهم ترتبط بأشج عبدالقيس ، وهو المنذر بن عائذ العبدي . ومن الوفود وفد الجارود ، وكتب رسول الله إلى المنذر بن ساوى وكان حاكماللبحرين يدعوه إلى الاسلام وحمل الرسالة العلاء بن عبدالله بن عماد الحضرمي ، فشرح الله صدره للاسلام بعد تردد .

وانتقل الحديث الى **بكر بن وائل** : فعرفنا انهم شعب كبير . مكون من عدة قبائل . وأشهر ما قاموا به في الجاهلية انتصارهم على الفرس في يوم ذي قار . وأبرز قبائل ذلك اليوم بنو عجل ، وبنو شيبان ، ومن شعرائهم الحارث بن حلزة . وظلوا يرقبون الموقف بين المسلمين وكفار مكة ، ثم مالوا إلى الاسلام ، وأقبلت وفودهم معلنة إسلامها أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وكان في الوفد بشير بن الخصاصية ، وهو القائل : « أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أبايعه ، فقال : أتشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ،

وتصوم رمضان ، وتحج البيت ، وتؤدي الزكاة ، وتجاهد في سبيل الله ، قال : قلت : يا رسول الله أما إتيان الزكاة فما لى إلا عشر ذود ـ قطيع من الابل ـ هن رسل أهلي وحمولتهن ، وأما الجهاد فيزعمون أنه من ولى فقد باء بغضب من الله عز وجل ، فأخاف إن حضرني قتال جبنت نفسي ، وكرهت الموت . فقبض رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يده ، ثم حركها ، وقال : « لا صدقة ، ولا جهاد ، فبم تدخل الجنة » فبايعهن عليهن كلهن . وهذا الوفد جاء الى رسول الله بعد صلح الحديبية .

ثم عدد المؤلف بطون بكر بن وائل ، ووفدهم ، وموقف بعضهم وردتهم عن الاسلام . وأسباب الردة ، وأحداثها بصورة علمية ومنطقية .

الباب الثاني
القبائل القحطانية

وكما فعل المؤلف مع القبائل العدنانية ، اخذ في تناول القبائل القحطانية ، فأوضح نسبها ، وديانتها قبل الاسلام ، والمكان الذي شغلته في جزيرة العرب ، وموقفها من الدعوة الاسلامية ، وذكر من وفد منها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم معلنا دخوله في الدين الاسلامي .

وبدأ حديثه بقبائل كهلان الذين تفرع عنهم الانصار الذين آووا الرسول والمهاجرين ونصروا الله .

وبعد أن يفرغ المؤلف من الحديث عن الانصار (الأوس والخزرج) وهو حديث يسر النفس ويشرح الفؤاد ، يذكر خزاعة وبطونها ،

وكانت المحطة الثالثة عند « أزد شنوءة » فتكلم عمن سبق منهم إلى الاسلام ، وعن وفودهم نكتفي هنا بذكر وفد واحد منهم جاء في صفحة ٢٢٨ من كتابنا الذي نعرضه : ـ

وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم سويد بن الحارث الازدي قال : « وفدت على رسول الله صلى الله عليه وسلم سابع سبعة من قومي ، فأعجبه ما رأى من سمتنا وزينا فقال : ما أنتم ؟ قلنا :مؤمنون . فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : إن لكل قوم حقيقة فما حقيقة إيمانكم ؟ قال سويد : قلنا : خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا رسلك أن نعمل بها ، وخمس منها تخلقنا بها في الجاهلية فنحن عليها إلا أن تكره منها شيئا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما الخمس التي أمرتكم رسلي أن تؤمنوا بها ؟ قلنا : ان نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ورسله ، والبعث بعد الموت .

قال : وما الخمس التي امرتكم رسلى أن تعملوا بها ؟ قلنا : نقول ، لا إله الا الله محمد رسول الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتي الزكاة ، ونحج البيت ونصوم

رمضان .

قال : وما الخمس التي تخلقتم بها في الجاهلية ؟ قلنا : الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء، والصبر في مواطن اللقاء ، والرضا بمر القضاء ، والصبر عند شماتة الأعداء .

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : حلماء ، علماء ، كادوا من صدقهم ان يكونوا أنبياء .

ورابع درس كان عن « دوس » التي منها جندب بن عمرو الدوسي الذي قال في الجاهلية إن للخلق خالقا لا أدري من هو .

يقول المؤلف : ودخل الاسلام قبيلة دوس قبل الهجرة الى المدينة ، وارتبط انتشار الاسلام فيها بشخص الطفيل بن عمرو الدوسي ، ولكن وفدهم لم يأت المدينة إلا في العام السابع الهجري .

والى هذه القبيلة ينسب أبو هريرة راوى حديث الرسول صلى الله عليه وسلم .

أزد عمان

ويستمر بنا المؤلف في سياحته في الجزيرة العربية حتى يصل بنا إلى أزدعمان . فيقول عن ثمالة، والحدان ، والجلندي : إنها ، من بطون الأزد التي سكنت عمان . وعمان كورة من الكور الأربع التي تتألف منها جزيرة العرب ، والأزد كانوا يمثلون الاغلبية في عمان . كما كانوا حكامها ، فحين خاطب رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد الحديبية ملوك الارض كتب إلى جيفر بن جلندي وأخيه عبد ، الأزديين صاحبي عمان ، يدعوهما وقومها إلى الاسلام ، فأسلما ، ودعوا العرب هناك إلى الاسلام ، فأجابوا إليه ورغبوا فيه .

ويتواصل الحديث فنمر بهمدان من اهل اليمن نسبا ، وموطنا ، وبجيلة ـ تجمع قبلي ـ وختعم

ويأخذنا الحديث إلى قوم أبي موسى الأشعري ، ودوره في انتشار الاسلام فيهم ، وبعد إسلامهم قاموا بدورهم في الدعوة إلى الله . ونظل نعايش الأحداث في بلاد اليمن ، ونتنقل من قبيلة إلى قبيلة ، ونتعرف على وفودها ، ودور بعض الشخصيات الهامة

الفصل الثاني

أما الفصل الثاني من الباب الثاني فقد خصصه المؤلف للحديث عن حمير ابن سبأ بن يشجب بن قحطان ، وإليه تنتسب قبائل القسم الاخير من القبائل القحطانية .

وهذه القبائل تنقسم الى مجموعتين : الأولى تنسب الى الهميسع ، والثانية : تنسب الى مالك .

ونعايش أحداث تاريخ هذه القبائل ، يقول المؤلف : سياق الحوادث يدل على التفكك السياسي في اليمن ، والصراع الديني ، واستغلاله كأداة للاستعمار

والسيطرة ، ودعوتهم الى الدخول في الاسلام ، وان يحتفظ كل ذي فضل بمكانته في قومه اذا ما دخل الاسلام . ويزداد شرفه بإسلامه .

ويخلص المؤلف إلى أن كل ذلك أدى إلى انتشار الاسلام تدريجيا بين القبائل اليمنية ، وقدوم وفودها لاشهاره ثم جاءت رسل رسول الله إلى اليمن فأكملوا مهمة نشر الاسلام . وتعليم من آمن أصول الدين وشرائعه وأخلاقه .

خاتمة

بعد العرض الممتع لمسيرة الاسلام ودعوته وسط القبائل العربية يقول المؤلف في خاتمة بحثه : ان بلاد العرب كانت بيئة مناسبة لتكوين جيل قادر على حمل رسالة الاسلام الى الناس كافة ، وذلك بما تيسر له من معرفة حقيقة الدين ، ومعرفة بحقيقة المدعوين ، وعقائدهم .

- فهم قد دانوا قبل الاسلام بعقائد سماوية وغير سماوية.
- لم تكن هناك حدود او فواصل طبيعية بين هذه الأديان . فالقبيلة الواحدة كان يتعايش فيها أكثر من دين ،
- والبيئة العربية متنوعة ومتعددة طبيعة ومناخا ونظام حياة .

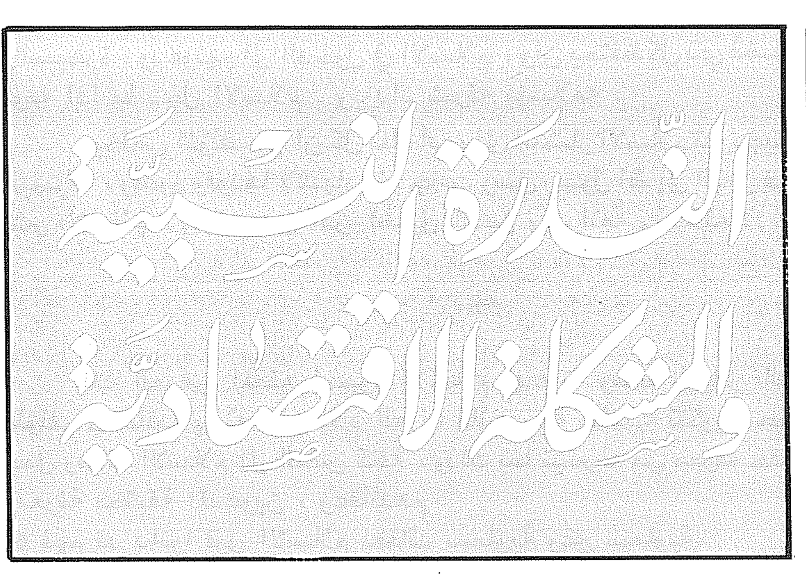
كل هذا كان له دوره في ثقافة الصحابة وفهمهم للدين الاسلامي ، وإخلاصهم لدعوته ، ونشرهم لرسالته .

وقد سلك رسولنا صلى الله عليه وسلم كل الطرق في سبيل نشر دين الله ، يقول المؤلف : أخذت الدعوة طريقين :
طريق التعميم : فهي دعوة للعامة والخاصة .

وطريق التعميق والتعليم فقد دعا الرسول الكريم بنفسه ، وأرسل رسله إلى القبائل ، وقاتل المشركين وكتب الكتب ووعد ، وتوعد ، وكان يختار من فقهاء الصحابة من يراه أهلا لتعليم الناس شئون دينهم ويرسلهم الى القبائل ،

وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ رسالته الى الناس ، وتمت المهمة ، وكان هذا ايذانا بالانتقال الى الرفيق الأعلى . . يقول سبحانه :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ
أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)



للدكتور ابراهيم محمد عبدالرحيم

إن المشكلة الاقتصادية في المجتمع الاسلامي تنشأ - في اعتقادي - من الانحراف عن شريعة الله ومنهجه ، ثم التخبط في البحث عن حلول لها بين انظمة الاقتصاد الوضعي . وسوف اكتفي - هنا - بالاشارة إلى أمرين أساسيين لحدوث هذه المشكلة ، وهما :

أ - القصور في استغلال الموارد المتاحة .

ب - سوء توزيع الدخل بين الافراد .

أما ما يقال من أسباب أخرى لتلك المشكلة (الاقتصادية) - كالبطالة وكثرة النسل ، وقلة التمويل ، والانحرافات الخلقية والمالية ونحوها - فالذي أراه أنها إما أن تدخل تحت أحد الأمرين المذكورين ، أو تكون نتيجة له أو لكليهما معا ..

- على أن من أخطر المسائل التي أثيرت حول المشكلة الاقتصادية بوجه عام ، وقضية التنمية بوجه خاص - ما يقال عن ندرة الموارد (النسبية) بمعنى أن الموارد الطبيعية لا تفي بحاجات البشر ورغباتهم التى لا نهاية لها ، ومن ثم يتخذ بعض الناس من ذلك ذريعة - في كثير من الحالات - للكسب غير المشروع .

- هذا في الوقت الذي اتخذ فيه المنهج الاسلامي موقفا واضحا من مسألة الندرة والحاجات حتى الضروريات منها .. وبيان ذلك فيما يلي :

أولا : الموارد في الارض مقدر كفايتها للبشر جميعا مهما تكاثروا وتضاعفت أعدادهم ، وهذه مسألة من صميم الايمان وجوهر التوحيد .. يقول الله تعالى : (**وخلق كل شيء فقدره تقديرا**) آخر الآية الثانية من

سورة الفرقان . وأيضا : (**إنا كل شيء خلقناه بقدر**) الآية ٤٩ القمر . ويقول الحق سبحانه : (**وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها**) من الآية ١٠ فصلت .. ودلالة هذه الآيات ـ وما في معناها ـ أن الحكيم الخبير سبحانه وتعالى قد خلق كل شيء بقدر ، وأنه بارك في الأرض وقدر فيها ـ بحكمته البالغة ـ أقوات المخلوقات جميعا .. ثم يتأكد هذا بما ورد في القرآن الكريم ، من مثل قوله تعالى : (**وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين**) الآية ٦/ هود . وقوله كذلك : (**و آتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار**) الآية/ ٣٤ إبراهيم .

ومن المسلمات الايمانية ـ والواقعية أيضا ـ أن الأفراد والجماعات تتفاوت في حظوظها من الموارد والدخول ؛ فالمولى عز وجل قد فاوت بين خلقه فيما أعطاهم من الأموال والارزاق والعقول والأفهام ..وغير ذلك من القوى الظاهرة والباطنة . وقد تأكد هذا المعنى في مواضع عدة من القرآن الكريم ، نذكر منها قوله جل شأنه : (**وهو الذي جعلكم خلائف الأرض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم**) الآية الأخيرة من سورة الأنعام . وقوله : (**والله فضّل بعضكم على بعض في الرزق**) من الآية ٧١ النحل . وقوله : (**نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون**) الآية ٣٢ الزخرف ..

ـ والذي افهمه من هذه الآيات ـ ولله الحكمة البالغة ـ أن ذاك التفاوت يأتي في كثير من الأحيان نتيجة اختلاف الجهد المبذول في العمل والانتاج (**من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون**)الآية/ ٩٧ النحل . كما يأتي نتيجة للفروق الفردية في المواهب والملكات التي يتمتع بها كل شخص .. هذا فضلاً عن ان ذلك (التفاوت) من مقتضيات الحياة ووظيفة الانسان فيها ، حتى تتكامل الأدوار الانسانية والخدمات ، فلا تتعطل بعض الأنشطة أو الخدمات (كما تقرر آية الزخرف السابقة) . وأخيرا لعله يكون تعبيرا عن الثواب والعقاب أو بقصد الاختبار والابتلاء عطاء ومنعا ..

ففي القرآن الكريم : (**ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين**) الآية/ ١٥٥ البقرة . وقوله تعالى : (**ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذّكرون**) الآية/ ١٣٠ الأعراف . وقوله : (**وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون**) الآية/ ١١٢ النحل .. ثم

قوله سبحانه : (**ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى**) إلى **قوله** : (**ولعذاب الآخرة اشد وأبقى**) **الآيات ١٢٤ ـ ١٢٧ طه** .

ـ **ومهما** يكن من أمر فإننا ـ نحن المسلمين ـ نؤمن بأن هنالك عدالة تحكم هذه الأقدار والمتغيرات التي تصيب الناس أفرادًا و جماعات ؛ ولذا فالمقارنة بينهم لا يجب أن تتوقف عند نوع معين من العطاءات ـ كالأرزاق مثلا ـ وإنما ينبغي أن تشمل أيضا كل الجوانب التعويضية في نعم الله على كل فرد بما في ذلك عطاؤه في الآخرة .. وحسب المرء أن يقنع بما رزقه الله ، فهذه القناعة تحصنه من الجشع والحسد . كما يجب أن يكون نشاطه وطموحه في حدود ما قدر له ، وأن يثق بأن السعادة ليست في وفرة أعراض الحياة ولكنها في داخل النفس ..

ـ هذا ومع إيماننا بدقة صنع الخالق جلّت حكمته ، وأن عنده خزائن كل شيء ، وأنه قدر في الأرض أرزاقها بدقة وقدر معلوم ـ فإن هذا القدر المعلوم لم تترك حساباته لتقدير الانسان وأهوائه ، وإنما تحدد وفقا لمشيئة الله في خلقه ، وقد اقتضت هذه المشيئة ـ وهو أعلم بمراده ـ أن يأتي التقدير العام للموارد أقل قليلا مما يقتضيه هوى النفس البشرية (**ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزّل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير**) الآية / ٢٧

الشورى ، فيظل الانسان ـ على هذا ـ في فقر دائم إلى الله مستشعرا ربوبيته وقدرته ، متوجها إليه بالامتثال والدعاء ، فإن استجاب شكر ، وإن أمهله صبر .. وهذا كله خير ومحقق للهدف الذي خلق من أجله الانسان .. ويأتي هذا التصور متفقا ـ بحسب فهمي ـ مع ما بينته النصوص في القرآن والسنة الصحيحة .

ثانيا : أما فيما يتعلق بالرغبات أو الحاجات فيكفى أن أقرر الآتى :

١ ـ أن الاسلام ـ وهو دين الفطرة ـ يعترف بتعدد حاجات الانسان وبتطورها الدائم ، ونموها المستمر معه ، من وقت كونه جنينا الى أن يوارى في قبره .. والرسول صلى الله عليه وسلم يشير إلى احتمال الشطط في هذا الصدد بقوله ـ فيما رواه الشيخان :ـ (لوكان لابن آدم واديان من مال ـ وفي رواية : من ذهب ـ لابتغي واديا ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب) متفق عليه .. بيد أنه إذا كان الاسلام يقر ـ بصفة عامة ـ معظم الحاجات ، ويرى ضرورة العمل على إشباعها ، ويعتبر بعض ذلك امرا حيويا لقيام الانسان برسالته التى وجد من أجلها ـ فإنه في نفس الوقت لا يقر ما يراه البعض من الحاجات في حين أنها تضر بالانسان نفسه أو بالآخرين ؛ فالخمر والزنا والميسر والكسب من حرام (كالربا والسرقة والغصب والرشوة واكل اموال اليتامي والضعفاء) والانفاق الدال على الترف والاستعلاء .. وغيرذلك من

المحظورات الشرعية لا تدخل اساسا ضمن الحاجات في نظر الاسلام .

٢ ـ أن التشريع الاسلامي يوجب الاعتدال والتوسط في إشباع الحاجات المباحة شرعا حتى لو كانت ضرورية .. فنقرأ في القرآن المجيد قوله تعالى : (**وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين**) من الآية/ ٣١ الأعراف .. حتى لقد قال بعض السلف : (جمع الله الطب كله في نصف آية) يقصد الآية المذكورة .

ونقرأ في القرآن أيضا : (**ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا**) الآية/ ٢٩ الإسراء . وفي وصف عباد الرحمن : (**والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما**) الآية/ ٦٧ الفرقان .

وحين نبحث في السنّة المطهرة عن هذا المعنى سنجد ـ مثلا ـ قوله صلى الله عليه وسلم : (كلوا واشربوا ، والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة) صحيح البخاري ، ثم تأمل هديه صلى الله عليه وسلم في النهي عن الاسراف في الماء ولو على نهر جار : ذلك أن الاسراف يتحقق باستعمال الماء لغير فائدة شرعية ، رغم أن النهر ـ أو البحر ـ ليس قليل المياه ، ولن ينقص مهما أسرف المغتسل او المتوضىء .. بل إن الاستهلاك الكثير ـ في عرف الاسلام .. من خصائص الكفار ، ففي الحديث : (المؤمن يأكل في معى واحد ، والكافر يأكل في سبعة امعاء) صحيح البخاري : كتاب الأطعمة .

ـ وهكذا فإن المسلم مكلف بعدم الاذعان لرغباته أو الخضوع لها بالكلية ؛ إذ يلزمه إتيان سلوك معتدل في الاستهلاك ـ مهما كانت قدراته تسمح بذلك ـ فلا سرف ولا تقتير في المنهج الاسلامي . ثم هو يصنف الحاجات المعتبرة شرعا حسب او وفق أولوياتها أو أهميتها (ضرورية ، وحاجية ، وتكميلية أو تحسينية) ويضع الضوابط اللازمة للمحافظة على إشباعها .. هذا فضلا عن أنه لا يقر ـ كما ذكرنا ـ بعض الحاجات التي تضر بالفرد أو المجتمع ، ويستبعدها إنتاجا واستهلاكا ، ولذلك فإن المحرمات أو المحظورات الشرعية لا تدخل أصلا في حاجات المسلم ؛ لأنها منذ البداية مرفوضة من قائمة الطيبات باعتبارها خبائث ..

٣ ـ أضف إلى ذلك أن الاسلام قد رفع من شأن العمل (المشروع) ـ بمجالاته وأنماطه المختلفة ـ وجعله في مرتبة العبادات ، إن لم يفضل بعضها أحيانا ؛ فقد روى مسلم بسنده عن أبي هريرة (رضى الله عنه) عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ـ وأحسبه قال : (وكالقائم لا يفتر ، وكالصائم لا يفطر) ولفظه في البخاري (... كالمجاهد في سبيل الله أو القائم الليل ، الصائم النهار) وعن أبى هريرة ـ أيضا ـ قال : (قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(دينار انفقته في سبيل الله ، ودينار انفقته في رقبة ، ودينار تصدقت به على مسكين ، ودينار أنفقته على أهلك .. أعظمها أجرا الذي انفقته على أهلك) البخاري وما في هذا المعنى كثير . كما أن الاسلام نهى بشدة عن تعطيل موارد الانتاج عن الاستثمار والاستغلال الأمثل لها ؛ فكان له موقف واضح ومميز من كنز الأموال وتحجير الأرض مع العجز عن ممارستها أو إحيائها . ونهى ـ كذلك ـ عن كل صور أكل أموال الناس بالباطل كالربا والاحتكار والغرر الفاحش والميسر والتجارة في المواد المحرمة والضارة ... إلخ .

وأباح ـ في ذات الوقت ـ كل نظام استثمارى فيه فائدة حقيقية (شرعا) للفرد والمجتمع ، ثم وضع العديد من المبادىء الاقتصادية التي تساعد على ايجاد توازن عادل بين الاغنياء القادرين والفقراء غير القادرين على مواجهة أعباء الحياة الأساسية **(كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم)**: من الآية/ ٧

الحشر .. ولهذا نجد الاسلام يفرض الزكاة والميراث ، ويحث على الصدقات والوصايا .. ولا ننسى موقفه من الهدايا والهبات ، والنذور والكفارات والعقيقة وحقوق الجوار ..

ونحو هذا من عوامل توزيع الثروات . ـ فكأن الاسلام ينطلق لحل المشكلة الاقتصادية ـ بأبعادها المختلفة ـ في أكثر من اتجاه : العمل ، ووجوب استثمار الأموال بالطرق المشروعة ، وتحقيق التكافل والأخوة الايمانية ..

.. وفي ضوء ما تقدم فإنه لا يصح أن تتصف الموارد الطبيعية بالندرة ،

أو أن تشخص المشاكل الاقتصادية ـ وأبرزها وأعتاها مشكلة الفقر بما يلازمها من مرض وجهل وخوف وبطالة ـ بإلقاء اللوم على الطبيعة التي احكم الله صنعها .. فضلا عن توافر عناصر الانتاج الاخري ـ بحمد الله ـ

مثل رأس المال النقدى والمادي (العيني) ، والثروة البشرية في العالم الاسلامي .. وإنما مرد المشكلة (الاقتصادية) في الواقع ـ وعلى قدر فهمي ـ إلى الانسان نفسه ، وفساد سلوكه ونظامه الاقتصادي والاجتماعي : فالموارد المتاحة غير مستغلة استغلالا كاملا . والانسان لايبذل الجهد الكافي في تنميتها ؛ إما لأن قدرته محدودة . وإما لكراهيته للعمل في كثير من الأحوال .. وتؤكد دراسة الاقتصاد السياسي : أن كل إنسان يريد أن يقدم أدنى قدر من التضحية على أن يحصل في المقابل على أكبر قدر من الرفاهية ، يستوي في ذلك أن يكون عاملا أو صاحب رأس المال !

هذا ولا يفوتنا التنبيه على أن من مسئولية الانسان عن المشكلة الاقتصادية ـ أيضا ـ ذلك الافراط في استهلاك الموارد ومنتجاتها ، ثم وسائل الدمار الطبيعية والبشرية ، فإن الناس ـ أو كثيرا منهم ـ يتلفون بسوء تدبيرهم أو بجهالتهم وعن طريق

الحروب قدرا كبيرا من الموارد ومعطياتها فيما لا يعود على البشرية إلا بالثبور والخراب .. وما يبقى بعد هذا من الموارد ـ وثمارها كذلك ـ يتظالم الناس في توزيعه بينهم .. ومن هنا نفهم مغزى قول الحق سبحانه وتعالى : (**وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الانسان لظلوم كفار**) من الآية/ ٣٤ إبراهيم . وقوله : (**والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت أيمانهم فهم فيه سواء أفبنعمة الله يجحدون**) الآية/ ٧١ النحل .. كما نفهم ـ مثلا ـ قول الإمام علي كرم الله وجهه : (ما جاع فقير إلا بما متع غني) وقوله أيضا : (إن الله عز وجل فرض على الأغنياء في أموالهم ما يكفي الفقراء فإن جاعوا أو جهدوا فبمنع الاغنياء ، وحق على الله تبارك وتعالى أن يحاسبهم ويعذبهم) .

والخلاصة : أن النعم لا تحصى ـ كما أخبر من بيده الملك وهو على كل شيء قدير ـ وأن المشكلة الاقتصادية بما في ذلك الفقر وغيره تعود الى ظلم الانسان وأنانيته في توزيع الموارد وثمارها من ناحية ، وإلى كفران النعمة بعدم استخدامها الاستخدام الأمثل ـ استهلاكا وإنماء ـ من ناحية أخرى .. فكأن المشكلة الاقتصادية مع المجتمع الاسلامي وفي غيره من المجتمعات ـ تنشأ من الانسان وحلها في يد الانسان . وبمجرد تفسير المشكلة على أساس إنساني يصبح بالامكان التغلب عليها .. وإنني على يقين من اننا لو طبقنا المنهج الاسلامي ـ حقيقة ـ لما كنا بإزاء مشكلة اقتصادية لا سببا ولا نتيجة ، ولكن (**ليقضي الله أمرا كان مفعولا**) الأنفال/ ٤٢ . أما أن ننحرف عن شريعة الله ومنهجة الذي رسمه لعباده ـ وخصوصا في مجال العمل والتوزيع ـ ثم نتخبط في البحث عن حلول لتلك المشكلة في انظمة الاقتصاد الوضعي ـ وهي لا تتفق مع بيئتنا وتراثنا ـ فهيهات !.. والله من وراء القصد ، وهو الهادي الى سواء السبيل ..



تابعته زوجته وهو يسرع نحو حجرته بخطوات مضطربة .. أحست انه جاء لأمر هام .. أخبرها وهو يخفي وجهه عنها بأنه سيسافر لانهاء بعض الأمور التجارية ، سألته وجلة وهي تتفحص وجهه

ـ هل ستأخذ معك سميرا أو أحداً من العاملين بالمتجر ؟

أجابها وهو مطاطيء الرأس

ـ لا . إنه أمر بسيط ، وسأتصل هاتفياً لو استدعى الأمر أن أتأخر بضعة أيام .. فتحت الصوان لتعد له بعض الملابس . أومأ إليها قائلا .

ـ لا ضرورة لذلك .. لست محتاجاً لشيء . ما أريده سآخذه من المتجر

استوقفته وهو يشرع في الخروج من المنزل

ـ لكنك لم تقل إلى أين ؟

ربت على كتفها وهو يقول باسما :

ـ لا تقلقي يا حاجة . إنه سفر مثل كل سفر .. خير إن شاء الله .. دعواتك لي .

قالت بعد أن تمتمت بالدعاء :

ـ أرجو أن تتصل فور وصولك لنطمئن عليك .

انفرد بنفسه في مكتب داخلي بمتجره الكبير .. أعاد قراءة البرقية وهو قلق حزين .. كانت أخبار شقيقه قد انقطعت عنه منذ سنوات عديدة ..

لم يكن هو مقصراً في حقه .. يتذكر الآن انه راسله منذ أكثر من عشر سنوات على عنوانه الذي عرفه من الآخرين بعد أن غادر قريتهم إلى المدينة الكبيرة وانقطع عنه وعن عائلته سنوات عديدة ، .. لكنه لم يتلق ردا ثم ذهب إليه مرة فتهرب من لقائه ومرة ثانية قابله فيها مضطراً وبفتور شديد لم يستغرق اللقاء سوى دقائق قليلة . كانت في مسكنه الرحب الأنيق ذات مساء بارد مطير . لم يرحب به وتركه يذهب دون أن يدعوه للمبيت .. ذكر ذلك لزوجته فعاتبته قائلة :

ـ أبعد كل ما فعله تذهب إليه ؟ إنه اختار المقاطعة بعد أن غلبه شيطانه وفعل ما فعل ، ما كان لك أن تزوره يا خليل .. ربما ظن أنك بحاجة إلى عون منه أو أنك ذهبت إليه لتطالبه بتصحيح أخطائه و إعادة الحقوق لأصحابها بعد أن أصبح من الأثرياء .

أجابها والحزن يكسو وجهه ..

ـ لا . لم يكن هذا هدفي . لم أفكر في هذا الأمر على الاطلاق . الحمد لله نعم الله علينا كثيرة . فقط دفعني إليه الحنين وصلة الرحم . قلت : إنه غريب في مدينة كبيرة بلا ولد ولا سند ، أردت أن أطمئن عليه . وأيضا قلت يجب أن نخبره بموضوع اختنا ونأخذ رأيه

ـ أنت تعرفه أكثر مني .. لا شيء يعنيه سوى المال . فليهنأ بماله .. نهض وهو يتأمل مرة أخرى عنوان شقيقه في البرقية . إنه نفس العنوان . عنوان سكنه الذي لم يمكث فيه غير دقائق قليلة حين زاره .. وضع البرقية جانباً . وسرحت عيناه . ترى ما حقيقة الأمر ؟ أيكون قد ... ؟ لا حول ولا قوة إلا بالله .. اتجه نحو الخزانة ، أخرج منها « رزمة » من الأوراق المالية وضعها في حقيبته وغادر المتجر بعد أن أعطى بعض التعليمات للعاملين به .

○ ○ ○

أحس متولي برغم الدوار والارهاق بأقدام زوجته تقترب من حجرته . فتحت الباب بهدوء ورفق وأطلت عليه بابتسامة لا تخفي ما يعتريها من أسى وقلق .. قالت بعد أن وضعت راحتها فوق جبينه :

ـ الحمد لله أنت أحسن اليوم .

رمقها بعينين تندّتا بالعبرات :

ـ الحمد لله . ربنا موجود .

استرسلت وهي تجلس بجانبه على الفراش وقد اتسعت ابتسامتها الشاحبة ..

ـ لقد أخبرت شقيقك بمرضك .. أرسلت إليه برقية .
تململ وبدت على وجهه الشاحب علامات الضيق والاعتراض . همس ..
ـ لكن .. ما الذي دفعك إلى ذلك ؟ ما كنت أرغب أن تفعلي هذا واختنق صوته وهو يكمل ..
ـ ألم يكف ما كان مني ..؟ الحاج خليل .. كان الله في عونه .. مثقل بالأعباء ومشغول . ثم إنك بهذا تشعرينني بأن نهايتي تقترب . وماذا لو لم يعبأ ؟ لالوم عليه حينئذ . لا لوم،ارتفعت نبرتها المضطربة وهي تقول .
ـ لا تقل هذا .. أطال الله في عمرك .. فقط رأيت أننا غريبان هنا وليس لنا فيها من يعنيه أمرنا . إنه أخوك ، وهو رجل صالح ، لن يتوانى ، أشعر أنك ستتحسن كثيراً عندما تراه وتسترد صحتك وتعود إلى عملك بإذن الله .
قال بصوت واهن ..
ـ عملي ! هه .. وهل هناك عمل ؟ إن المتجر أفلس منذ عام ونعيش على مالك الخاص ومدخراتك التي أوشكت على النفاد . بعد أن سرقني من كنت أفترض فيهم الأمانة . العمال الذين أتوا إلي فقراء معدمين يلتمسون العمل بقروش قليلة ؛ سرقوني وأصبحوا تجاراً كباراً ، وتركوني محطماً ، مفلسا ، مريضا
اقتربت منه أكثر وامسكت بيده في رجاء
ـ كفى يا متولي أرجوك ، أبعد هذه الأفكار عن رأسك . لن تجني منها سوى الهموم والتعب . فكر في الله . واطلب منه اللطف والعفو والعوض ـ ثم قالت وهي تنهض ـ سآتي إليك ببعض الطعام . أنت لم تأكل منذ الصباح سوى كسرات وكوب من اللبن .

وساعدته على النهوض قليلا والاتكاء على وسادة وهو مايزال بمضجعه .. ... رجعت به الذاكرة ، وتجسمت أمامه سنوات الكسب والصراع من أجل المادة . سنوات الجشع والجحود والجور . أين كان عقله طوال هذه السنين ؟.. كيف غفا ضميره وراح في سبات عميق ؟ . كيف نسى الله ؟ كيف أطاح بالقيم والمثل والأخلاق التي زرعها فيه والده وفي أشقائه منذ صغرهم ؟ تمسكوا هم بها وضرب هو بها عرض الحائط .. أكان هناك من يحرضه ويدفعه لما فعل ؟ ليس سوى شيطانه اللعين . زين له حب المال والطمع في الدنيا،يتذكر جيدا ان زوجته الاصيلة كانت تعارضه في كل ما فعل . إلى حد أن طلبت منه الطلاق ذات يوم حينما لم يفلح فيه نصحها وزجرها له . قالت له : إن مالك يشوبه الحرام وكان يسخر منها ومن عقليتها الساذجة أيدرك الآن أن الطمع أعماه وشيطان المادة لعب به ؟ . صعد به إلى أعلى فانتشى وتلذذ بالصعود ثم هوى به إلى أسفل سافلين .. يالي من ضال جشع ظالم .. جحود . حتى قبرك ياوالدي لم أزره منذ انتقالي إلى هذه المدينة اللعينة .. عفوك يارب .. عفوك ياواسع المغفرة .. الحاج خليل ! الآن وبعد كل ما حدث . وكيف لي أن أجلس

معه وأريه وجهي ؟ هل سيصفح عني ..؟ وهل سيصفح عني الآخرون ؟ هؤلاء الذين اغتصبت حقوقهم وظلمتهم وغدرت بهم ؟ هل أحظى بكلمة سماح منهم قبل أن أموت . لم اسمع نصح زوجتي . كم قالت لي : يجب أن تعيد الى أهلك حقوقهم . كنت أتهمها بالخبل ، أصرخ فيها . آية حقوق هذه انهم يعيشون على مالي ومجهودي .. رحمتك يارب .. لا شك انها عاقبة مغبة ما اقترفته يداي ...
عادت إليه زوجته بالطعام نظر اليها وعيناه سارحتان دامعتان .. ساعدته على تناول الطعام ثم تركته ليستريح أغمض عينيه مستسلما لنوم هادىء وكأن حديثه لنفسه قد خفف عنه بعض ما يعانيه ..

● ● ●

اختلطت دموع الحاج خليل بدموع اخيه الذي هب محاولا النهوض من الفراش ليضمه الى صدره جلس على الفراش بجوار أخيه ويده تمر على رأسه وصدره ثم همس ..

ـ الحمد لله انك بخير كنت قلقا عليك .
واجهه الآخر بالنشيج وبمزيد من العبرات ثم قال بصوت يقطعه البكاء :
ـ ما كنت أظن انك ستأتي وبهذه السرعة . أصيل أنت كوالدنا . طيب القلب نسيت اخطائي . هكذا أنت طوال عمرك يا خليل .
ـ العفو يا اخي انت أخي الكبير وأفضالك على .. حفظك الله لنا .. ليست هناك اخطاء كي أنساها يا أخي .

ـ لقد كنت أتصور أنك لن تسامحني . غضبت حينما أخبرتني زوجتي بأنها أبرقت اليك .
ـ أرجوك يا أخي . لا تقل هذا . كم كنت مشتاقا اليك حسنا فعلت زوجتك والآن حدثني ما الذي تشكو منه ؟ هل عرضت نفسك على طبيب ؟

قال متولي لشقيقه بعد ان فرغا من تناول الطعام وانفردا ببعضهما :
ـ أشعر الآن يا أخي بأن صحتي قد عادت الي . كم كنت اتوق يا خليل الى نظرة سماح من عينيك كم أشعر بالذنب تجاهك وتجاه الجميع ترى هل سيسامحونني ؟
بحنان غامر أجابه ..
ـ أرجوك يا أخي لا تقل هذا . ان الجميع يحبونك ويتذكرونك بالخير اننا اهلك .

لا تتوهم أمورا غير حقيقية .
ـ لطيف أنت ومسامح . طبعك لم يتغير .. شعوري كبير بالذنب تجاهكم . كم أرجو أن يمنحني الله ما أعوضكم به عن حقوقكم . لكنه رجاء بعد فوات الأوان ، فات العمر . وضاعت الصحة ونفد المال .
ـ استغفر الله يا أخي . لا تقل هذا ان نعم الله وفيرة . مالي هو مالك . انه من خيرأبينا وخيرك . نحن لا ننسى كفاحك وجهادك مع والدنا رحمه الله .. تأكد ان الجميع يحبونك وسيسعدون برؤيتك والاطمئنان عليك .
اخذ نفسا عميقا ثم قال :
ـ وكيف حالهم .؟ كيف حال ابن اخينا وزوجتك واولادك ؟ هل اخبرت احدا بالبرقية،قال بعد تفكير وروية :
ـ الحقيقة اني فكرت يا أخي . ثم رأيت ألا أقلقهم.آثرت أن احضر اليك بنفسي اولا كي أطمئن عليك .
ـ وفقهم الله جميعا وليغفر الله لي وكافأك المولى على معروفك يا خليل ومواقفك النبيلة وكيف حال ابن اخينا ؟ ترى ماذا يعمل الآن ؟ وهل أكمل تعليمه ؟
ـ انه معي في متجر والدنا .. يعمل محاسبا تخرج من كلية التجارة وآثر ان يعمل معي بالمتجر انه مهذب وصالح وتقي يقوم بأعباء كثيرة في المتجر .
ـ ما شاء الله ما شاء الله كم اجرمت في حقه لقد تكفلت به وحدك يا خليل بعد وفاة والديه . وفعلت انا ما فعلت .
ـ لا تتعبني يا أخي بمثل هذا القول انك تحمل الامور اكثر مما تحتمل .
ـ لا إن شعوري بالذنب اكبر من قدرتي على التحمل .

ثم استرسل مغيرا جلسته وعيناه مغبشتان بالدموع وكأنه يحدث نفسه .. اغواني الشيطان . لم ارتض بالربح الحلال الذي كان يدره المتجر والذي كان والدنا رحمه الله يحمد الله عليه وينفق منه علينا جميعا ويساعد منه المحتاجين آثرت رفع الأسعار واخفاء السلع ثم اعادة طرحها للبيع وقت الندرة والازمات وبسعر خيالي . عارضتني أنت قلت لك إنك لا تفهم في التجارة وقلت إني بجهدي وعقلي وكفاءتي وحرصي بنيت هذا المتجر مع أبي . نجاحنا في التجارة واسم أبي الكبير كان بفضلي .. اختلفت أنت معي .. طالبتك بالقسمة وبأن أعمل بمفردي . رفضت أنت ان تترك المتجر .. عرضت عليك أن أتركه أنا وآخذ حقي . حاولت أن تثنيني عن عزمي . عاندتك . لم أرتض بالقسمة العادلة التي شرعها الله ساومتك . اعماني الجشع . طالبت بنصف المتجر تعجبت انت قلت لي :
وحق ابن اخينا واختنا الفتاة نهرتك وصرخت في وجهك انا الذي بدأت مع ابي منذ صغري أنا كبيركم والمال مالي . بذلت جهدا كبيرا يا خليل كي تبعد عني إغواء الشيطان . عرضت علي ان احصل على نصف ارباح المتجر وتتحمل أنت نفقات اختك وابن اخيك على ان اترك الامور كما كانت في عهد

ابينا لا رفع للاسعار ولا احتكار لسلعة رميتك بالغباء والغفلة والجهل بالتجارة وصممت على الابتعاد عنكم .. ادري انك اقترضت كي تعطيني ماطلبته من مال يعادل نصف المتجر بعد ان هددتك بأن شريكا غريبا سيحل محلي ان لم تجيبوني الى ما اطلب لم أبال بدموع أختي ونصائحك واقتراضك المال الذي اخذته لم افكر في مصير صبي يتيم تركه أخونا بلا عائل له سوانا تركتكم . مضيت في طريق الغي . انهالت علي الأرباح . كبرت تجارتي في هذه المدينة الكبيرة افتتحت متجرا كبيرا . اعماني المال الحرام شربت من اجاجه دون ارتواء .. اخطرتني بعد سنوات من طيشي وضلالي بان شخصا تقدم يريد الزواج من اختنا . ظننت انك تطالبني بالمساهمة في تكاليف زواجها تجاهلت . علمت انك جئت تبحث عني تهربت منك . ثم قابلتك مضطرا بعد ذلك . وجدتك فجأة امامي بلا موعد او توقع قلت لي ان اختك تزوجت . وانك سبق ان اخبرتني قلت مبروك وكأن الامر لا يعنيني وتركتك تمضي حزينا بعد دقائق قليلة .

هل هناك جرم وضلال اكثر من هذا يا أخي ... وها هي العاقبة انني اجني الآن ما زرعت الا تريدني بعد كل هذا اشعر بالذنب الكبير ..

ملأت الدموع وجهه من جديد وارتمى على صدر اخيه الذي كان يحاول ان يقطع استرساله في الكلام كل برهة واخرى بدون جدوى ضمه اخوه الى صدره وشاركه في البكاء .

قطع نشيجهما صوت جرس الباب .. دقات سريعة متواصلة نهض الحاج خليل من مجلسه بجوار شقيقه الذي نهض بدوره بعد ان مسح عينيه ووجهه بمنديل اشار اليه الحاج خليل بان يبقى في مكانه مستريحا وتحرك هو ناحية الباب . كانت الزوجة في حجرة اخرى سمعا اصواتا وضجة وما لبثا ان فوجئا بجمع يدخل في لهفة وهلع بوغت الحاج خليل . انعكست المفاجأة على وجهه اشراقا وبشاشة نهض شقيقه تمعن في الوجوه صاح كطفل فرح .. معقول ؟ سلم على شقيقته وامتزجت دموعهما ، تقدم اليه ابن اخيه صائحا .. عمي .. عمي .. الحمد لله انك بخير يا عمي .

أومأ اليه تمعن فيه ومضت عيناه بالبهجة رغم الدموع . ضمه اليه وهو يضغط على ظهره وكتفيه .. قال الحاج خليل وهو يبكي . سمير ابن اخينا منذ سنين وهو يرجو ان يراك ..

جلسوا جميعا وكلمات الترحيب وتعبيرات الشوق لا تنقطع .. احس متولي بطاقة فجائية وعافية تسرى بجسده .

● ● ●

في اليوم التالي انفرد الحاج خليل بشقيقه قائلا :

ـ ما رأيك الآن يا أخي ؟ يجب ان تعود معنا الى متجر والدنا وقريتنا وتعيش

معنا في منزلنا القديم . مسكنك لم يزل موجودا والمتجر متجرك وفي حاجة اليك ولتنس ما مضى . تأكد أننا جميعا نسينا .

أجابه شقيقه وعيناه تومضان بالبشر والعافية ..

- وكيف ...؟ وانا ...! .. بأي حق ..!

- أرجوك لا تفكر هكذا . إنه مال والدنا والمتجر لم يزل باسم والدنا والمنزل منزل والدنا وانت شقيقنا الكبير انك في مقام والدنا يا متولي يا أخي . لا تتعبني معك ..

- لكن يجب أن ..

- سنجعل متجرك هنا فرعا للمتجر الكبير .. لا تقلق . المديونات . ستسدد والآن بعون الله .

مال والدك موجود . وسنملأ المتجر بالبضائع .

ابتسم شقيقه وهو يقول :

- هذا كثير كثير .. عفوك يا رب .

● ● ●

بعد ايام استقل الجميع سيارة الحاج خليل عائدين الى قريتهم والغبطة تكسو وجوههم اشراقا في الطريق همس متولي لاخيه ..

- ارجو ان توافقني ياأخي على تغيير ادارة المحل الذي في المدينة ليصبح باسم سمير . انه شاب وقادر على السفر والانتقالات وليختر ما شاء من عمال لمعاونته .. والشقة هناك ايضا لن نتركها . تكون لراحته .

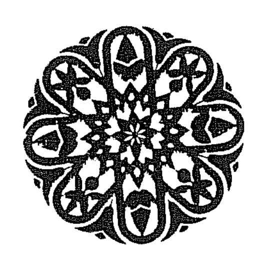
ابتسم خليل وهو يضم يد شقيقه هامسا .

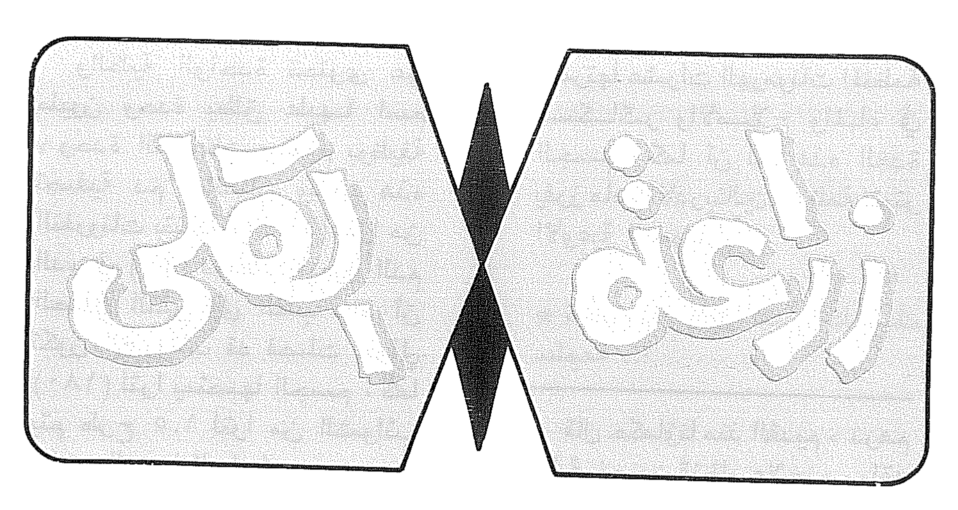
- ستسير الأمور على ما يرام باذن الله

استطلع متولي الطريق حوله من خلال زجاج السيارة . لمح بنايات قديمة متناثرة على الجانبين .. تأملها انه يعرفها جيدا لقد وصلوا الى مدخل البلدة وهاهو مسجد الشيخ المتولي الذي سماه ابوه على اسمه بمئذنته السامقة تنفس براحة وابتهاج .

ونظر الى اخيه . فبادره مبتسما :

- حمدا لله على السلامة





تلقى بريد الوعي الاسلامي رسالة من المستشفى الاسلامي بالاردن أعدتها اللجنة العلمية هناك عن « الجديد في أمراض وعمليات زراعة الكلى » والوعي الاسلامي إذ تنشر هذه الرسالة تتمنى للجميع العافية ، وأن يجنبنا الله المرض ، ويرزقنا الصحة ويشفي كل مريض .

وفي الرسالة بيان لقدرة الله سبحانه ، ودعوة إلى الوقاية من الأمراض ، تقول الرسالة : –

- الكلية الواحدة تحتوي على مليون وحدة تقوم بتصفية دم الانسان .
- يستطيع الانسان ان يعيش حياة سليمة بنصف كلية .
- الكلية تفرز هرمونات تساعد في بناء خلايا الدم .

ثم تقول : –

لا يخلو جسم الانسان رجلا كان أم امرأة من كلية واحدة على الأقل ، أو من كليتين اثنتين وهذا هو الأمر الطبيعي والمألوف ، أو من ثلاث كلى ، وهو أمر نادر الوقوع ، هذه الكلية على صغر حجمها تعتبر واحدة من أبرز الآيات الدالة على عظمة الخالق عزّ وجلّ وبديع صنعه .

* ماذا تعرف عن كليتك ؟

يبلغ الجزء الفعال من مجموعة النسيج الكلوي في الرجل حوالي (٣٠٠) غرام ، وفي المرأة حوالي (٢٧٠) غرام ، بمعنى أن كلية الرجل تزن حوالي (١٥٠) غراما ، وكلية المرأة تزن حوالي (١٣٥) غراما ، ويتجلى بديع كرم الله وحدبه على عبده الانسان ، في أن الانسان يستطيع أن يعيش حياة سليمة بكلية واحدة وأحيانا بنصف كلية سليمة طالما بقي (٧٥) غراما من نسيجها الكلوى سليما ، فلنشكر الله عز وجل على رعايته وعظيم عنايته .

والكلية الواحدة تحتوى على مليون وحدة يطلق عليها اسم « وحدة النفرونات » تقوم بوظيفة تصفية دم الانسان وتقوم هذه النفرونات بتنقية (١٨٠٠) لترا من الدم في (٢٤) ساعة ؛ فيعود الدم الصافي النقي إلى القلب بعد أن تكون النفرونات قد فصلت حوالي (١٨٠) لترا يمتصها الجسم ، كما يتم طرح ١,٥ لترا من الشوائب خارج الدم (البول) .

ولو صففنا وحدات النفرونات التي تكون على شكل أنابيب في غاية الدقة ، في خط مستقيم فإنها تشكل خطا يبلغ طوله (٥٠) كيلومترا تقريبا ، فسبحان الذي أحسن خلق الانسان في أبدع وأحسن تقويم .

ولمزيد من التوضيح فإن عملية التنقية التي تتم في الكلية تستهدف تخليص جسم الانسان من الفضلات والسموم التي تنتج من عمليات الاستقلاب الحيوية التي تحدث أثناء عملية احتراق المواد الغذائية لتوليد الطاقة التي يحتاجها الجسم .

ولا تقتصر وظيفة الكلية على تنقية الدم ، وإنما تؤدي وظائف أخرى هامة ، فهي تفرز هرمونات تساعد في بناء خلايا الدم ، كما أنها تحتوى على جهاز منظم للتوتر الشرياني بالتعاون مع الكبد وهو يعرف طبيا باسم آلية الرنين «انجيوتنسن» كما توجد فوق الكلية غدة تزن حوالي سبعة غرامات (الكظر) ، وتفرز هذه الغدة من قشرتها عشرات الهرمونات المنظمة للسكاكر والأملاح والماء في الجسم ، كما أن لب هذه الغدة يفرز مادة الأدرينالين المنظمة لتوتر الأوعية الدموية .

* كيف تحافظ على كليتك سليمة ..؟

قال حكماؤنا منذ القديم « درهم وقاية خير من قنطار علاج » ، ولقد صدقوا في قولهم هذا ، إذ إن الوقاية المسبقة لها أثر كبير في إبعاد شبح المرض ، لذا فإننا ننصح باتباع هذه النصائح بجدية وعناية لكي تحمي كليتك بإذن الله عز وجل من الاصابة .

١ - يجب الاهتمام بمعالجة التهاب اللوزتين عند الأطفال .

٢ - ننصح بالاكثار من شرب السوائل النقية التي أحلها الله عز وجل .

٣ - عدم تعريض الجسم للجفاف الشديد .

٤ - عدم حبس البول في المثانة عند الاحساس بالرغبة في التبول .

٥ - عدم إهمال اعراض انسداد المسالك البولية ، بل يجب الاسراع إلى معالجتها في بداية ظهورها ، لأن التأخير سيفضي في نهاية الأمر إلى انحباس البول بشكل كامل كما في بعض حالات الحصى وتضخم البروتستاتة وضيق مجرى البول .

٦ - ينبغي الابتعاد عن كل ما حرمه الله عز وجل في العلاقات الجنسية

لأن احتمال الاصابة بأمراض الكلى يزيد عند الذين يعصون أوامر الله التي تنظم العلاقات الجنسية بالشكل الحلال .

* أمراض الكلى ..

يمكن تقسيم امراض الكلى إلى :

١ ـ امراض خلقية وراثية وغير وراثية .
ـ أمراض مكتسبة (في وقت لاحق من العمر) ، وتقسم هذه الى امراض حادة وامراض مزمنة .

أما الأمراض المزمنة فمنها مايؤدي إلى ضعف كلوي محتمل ، ومنها ما يؤدي إلى عجز كلوي كلي ، وفي هذه الحالة يحتاج المريض إلى تنقية دمه بواسطة غسول الغشاء البريتوني ؛ أو غسل الدم بواسطة الكلية الاصطناعية أو بواسطة إجراء عملية لزراعة الكلية .

أما الأمراض الحادة فمنها مايمكن شفاؤه بإذن الله عز وجل بالمعالجة الطبية أو الجراحية ، فتعود الكلية إلى وضعها السليم المعافى بإذن الله ، وهناك بعض الأمراض الحادة التي يمكن معالجتها ولكن العلاج لا يعيدها إلى وضعها السليم المعافى الطبيعي ، وإنما تعود إلى ممارسة وظيفتها بفعالية أقل وقد تستمر على ضعفها هذا لمدة طويلة حتى ينقلب المرض الحاد إلى مرض مزمن .

* أهم أسباب أمراض الكلى حسب شيوعها :

١ ـ حصى المسالك البولية .
٢ ـ انسداد المسالك البولية الجزئي والكلي بالتضيقات والحصى والبروستات وغيرها .
٣ ـ أمراض المناعة الذاتية (التهاب الكليتين المناعي) .
٤ ـ الأمراض الانتانية الجرثومية .
٥ ـ الأمراض المتسببة عن تشوهات خلقية .
٦ ـ أورام الكلى والمسالك البولية ، الحميد منها والخبيث .
٧ ـ التهاب المسالك البولية المزمن كالذي يحصل عادة عند النساء أثناء الحمل وقد يصاب بها الانسان نتيجة وجود حصى في الكلى .
٨ ـ بعض الأمراض المزمنة كالسكري تزيد إمكانية الاصابة بأمراض الكلى .
٩ ـ فرط التوتر الشرياني (ضغط الدم) إذا أهمل علاجه .

* ما القصور الكلوي .. ؟

تصاب الكلية بالقصور في أداء وظائفها الطبيعية اذا تعرضت الكلية لأي مرض من الأمراض التي ذكرناها وبالتالي فإن السموم والفضلات تتجمع وتتراكم في الدم ، مما ينعكس بشكل سلبي على صحة الانسان المصاب بالقصور الكلوى .

* ما أعراض القصور الكلوي :

المريض عادة لا يشعر بأي شكوى تشير إلى وجود مرض في الكليتين إلى أن يصل القصور الكلوي إلى المراحل الأخيرة ، وعندها يشعر بضعف عام وهزال ، وتقل شهيته للطعام ثم يبدأ بالتقيؤ ، ثم تخف درجة الوعي إلى حد الأغماء ، ثم الموت إذا لم يعالج المريض في الوقت المناسب ويشفى بإذن الله .

* علاج القصور الكلوي المزمن :

أ – منع حدوثه وذلك بمعالجة اسبابه .

ب – هنالك وسيلتان لعلاجه بعد حصوله :

الأولى : غسيل أو تنقية الدم وذلك باستعمال أجهزة التنقية عن طريق الدم أو السوائل عن طريق البطن ، وعادة يحتاج المريض من جلسة إلى ثلاث جلسات اسبوعيا عن طريق الدم ، وكل جلسة تستغرق اربع ساعات . اما عن طريق البطن فجلسة واحدة كل ٥ – ٧ أيام وتستمر من ٢٤ – ٣٦ ساعة ويستعمل ٤٨ – ٩٠ لتر من السائل الخاص أو ٤ مرات يوميا باستعمال لترين كل مرة .

الثانية : زرع كلية للمريض وأحسن فرصة لنجاح مثل هذه العملية أن يكون مصدر الكلية من أخ أو أخت مع تطابق فصائل الدم والأنسجة وكذلك يمكن أخذ الكلية من الابن أو الأب أو العم أو العمة أو الخال أو الخالة إذا كان هنالك تطابق في الأنسجة والدم .

ويمكن أن تزرع ايضا الكلى المأخوذة من إنسان متوفى حديثا ولا يكون من أقارب المريض ولكن فرص نجاحها تكون أقل .

إن زراعة الكلى فتحت أمام مرضى الكلى أفاقا رحبة من الأمل والرجاء ، ووضعت حدا بإذن الله عز وجل للعديد من المآسي التي كانت تسببها أمراض الكلي ، ولاينسى الأطباء العشرات من الذين ماتوا وهم في ريعان صباهم ونضارة شبابهم بسبب إصابتهم بأمراض الكلى .

لقد كان اكتشاف إمكانية زرع الكلية نعمة كبيرة من نعم الله التي سخرها الله عز وجل لمساعدة مرضى الكلى على التخلص من المعاناة والآلام ، ولتبعد عنهم شبح الهلاك وتعيد البسمة إلى وجوههم ووجوه أحبائهم .

ولعل أهم مشكلة تعترض عمليات زراعة الكلى هي رفض الجسم للكلية التي ستتم زراعتها فيه ولكن هذه المشكلة يتم تلافيها بوسائل طبية وشعاعية مختلفة

حيث يتم إضعاف مناعة الجسم إلى درجة يتقبل معها وجود الكلية المزروعة ، كما أن العلماء طوروا بإذن الله عز وجل ورعايته ، أنواعا من العلاجات التي تقلل من فعالية الخلايا التي ترفض الكلية المزروعة ، دون أن تشكل هذه العلاجات خطرا جسيما على جسم الانسان أو وظائفه الحيوية .

ومن أهم المشكلات التي تعترض عمليات زراعة الكلية تعرض الجسم للانتانات الجرثومية التي تنشط مستغلة ضعف المناعة في الجسم الذي زرعت فيه كلية جديدة ، إذ إن الجسم عندما تضعف مناعته يصبح شبيها بالدولة التي نزع منها سلاحها فتصبح عرضة لمطامع الطامعين والانتهازيين ، ولذا فإن المريض الذي تزرع في جسمه كلية جديدة يوضع في جو معقم لمدة كافية بعد إجراء العملية للحيلولة دون إصابته بأية أنتانات جرثومية ، كما ينصح له بأن يولى عناية خاصة وجادة بنظافة مأكله ومشربه وملبسه ، والابتعاد عن الأجواء الملوثة الهواء .

* الأدوية التي يأخذها المريض بالقصور الكلوي ..

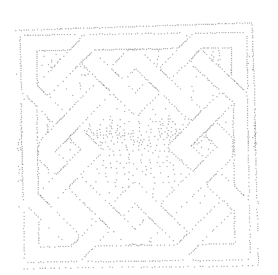
هنالك أدوية عديدة يأخذها المريض كالمقويات وأدوية لمعالجة فرط التوتر الشرياني (ضغط الدم) والأعراض الأخرى المصاحبة للقصور الكلوي .

* الأدوية التي يتعاطاها مريض الزراعة ..

أدوية مثبطة للمناعة ومدى الحياة.

* كيفية الوقاية من مرض الكلى :

من الممكن وليس دائما منع حدوث المرض وذلك بتلقي العلاج المناسب للأمراض المسببة لهذه الظاهرة وذلك بمراجعة الطبيب عند ظهور أية أعراض مرضية كحرقة البول وآلام في الخاصرة ، ومعالجة فرط التوتر الشرياني (ضغط الدم) واستعمال الأدوية وبخاصة المضادات الحيوية من نوعيات غير مؤذية للكليتين وبالجرعات المناسبة .



الفتاوى

حكم من مات وعليه زكاة

☆ في رسالة وردت الى باب الفتاوي بالمجلة يسأل ورثة عن مدى التزامهم بدفع زكاة لم يخرجها المورث في حياته ، وطلبوا نشر الاجابة على صفحات المجلة ليقرأها غيرهم كما طلبوا عدم ذكر الاسماء ..

والمجلة هدفها بيان الحكم الشرعي ولا مصلحة لها في ذكر الاسماء وتجيب السائلين بالآتي :

● يرى كثير من الفقهاء ان من مات وعليه الزكاة فانها تجب في ماله ، وتقدم على سداد ديون الناس اذا وجدت ، كما تقدم على حق الورثة لقول الله تعالى في آية المواريث . « **من بعد وصية يوصي بها او دين** » والزكاة دين قائم لله تعالى . يرى هذا الرأي الشافعية واحمد واسحاق وابو ثور .

وان كان الاحناف لا يرون وجوبها لان المال انتقل الى الورثة ولا يجب عليهم اداء ما كان المورث يأباه ولا يلتزم به في حياته . لكن يجوز للورثة ان يتبرعوا بالاداء عنه إبراء لذمته .

والراجح في ذلك وجوب إخراج الزكاة من مال الميت قبل التصرف فيه ، مثله مثل الديون التي يطالب بها العباد ؛ بل دين الله يقدم على دين العباد .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما ان رجلا جاء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إن أمي ماتت وعليها صوم شهر أفأقضيه عنها ؟ فقال : لو كان على أمك دين أكنت قاضيه عنها ؟ قال نعم . قال « فدين الله أحق أن يقضى » وعلى هذا ينبغي ان يبادر الورثة بإخراج الزكاة من التركة قبل توزيعها إبراء لذمة المورث .

هل يجوز تأخير الزكاة ؟

☆ احد القراء هنا في الكويت يسأل عن حكم تأخير صرف الزكاة بعد وجوبها ولو كان تأخيرها لظروف يعتبر إثما أم لا ؟

● لا يجوز تأخير الزكاة متى وجبت بل تجب المبادرة بإخراجها عند وجوبها وتوفر شروط صرفها ، ويحرم تأخير صرفها للمستحقين بعد ان حال عليها الحول ، وذلك مراعاة للمستحقين لها لما رواه احمد والبخاري عن عقبة بن الحارث قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، العصر ، فلما سلم قام سريعا فدخل على بعض نسائه ثم خرج ورأى ما في وجوه القوم من تعاجبهم لسرعته قال : « ذكرت وانا في الصلاة تبرا عندنا فكرهت ان يمسى أو يبيت عندنا فأمرت بقسمته » والتبر ـ ذهب وقيل فضة ـ قال احد العلماء في ذلك : ان الخير ينبغي ان يبادر به ، فان الآفات تعرض والموانع تمنع والموت لايؤمن ، والتسويف غير محمود .

وروى الشافعي والبخاري في التاريخ عن عائشة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « ماخالطت الصدقة مالاً إلا أهلكته » وبهذا لايجوز تأخير الزكاة ، وتجب المبادرة بها متى وجبت إلا إذا لم يتمكن المزكي من أدائها ، أو كان التأخير لمصلحة كالبحث عن الأحوج ، أو كان التأخير لتنظيم الاستفادة منها في سد حاجة المستحقين بصورة منظمة وصرفها لهم كرواتب مثلا ، على أن تصرف زكاة كل عام في عامها الذي وجبت فيه ، ولا يتأجل صرفها الى عام اخر .

○ حول التعامل مع المصحف ○

☆ اكثر من سؤال ورد من بعض القراء ، ومع اختلاف صيغة الاسئلة فانها تؤدي الى وحدة المضمون ، والاستفسارات تدور حول جواز وضع المصحف على الارض او وضعه تحت الرأس عند النوم او الدخول به اماكن الطهارة وقضاء الحاجة الى غير ذلك من امور لا يعلم حكمها كثير من الناس .

● من المقرر شرعا وجوب حرص المسلم على كل ما فيه توقير المصحف واحترامه ، اذ من كمال التقوى حب كتاب الله والمحافظة عليه بما يوفر له التقديس والاجلال ، ومن تكريم المصحف عدم وضعه على الارض بل يوضع على حامل مثلا وان لم يتيسر ذلك يضعه القارىء في حجره أو على ركبتيه أو يرفعه بيديه ، وبعد القراءة لا يترك المصحف مفتوحا حتى لا يقع عليه غبار أو شيء يؤذيه ، ومن تكريمه الا يوضع فوقه شيء ولو كان ما فوقه كتب علم فهو يعلو ولا يعلى عليه ، كما لا يوضع المصحف كالوسادة تحت الرأس ، ولا يتكأ عليه ولا يمد المسلم رجليه في اتجاه المصحف ، ومن تكريمه كذلك الا يدخل به المسلم والمسلمة الاماكن النجسة كالمراحيض والحمامات الا اذا خيف عليه من الضياع أوالسرقة ، ولا يوضع المصحف مع الميت وان أوصى بذلك ، صيانة له مما يسيل من الميت ، فالانتفاع بالمصحف لا يكون بأوراقه وانما بالعمل بما فيه ، كما لا يترك المصحف للاطفال يعبثون به وانما تكتب لهم الآيات في اوراق خاصة او الواح للحفظ والكتابة .

هذا ولا يوضع المصحف في مكان يؤذيه كوضعه خلف زجاج السيارة وتعريضه للحرارة التي تقوس اوراقه وتغير لونه بدعوى التبرك به ، بركة القرآن وشفاعته لمن يتعبد بتلاوته وهو يحل حلاله ويحرم حرامه ، ان كلام الله تعالى اولى بعناية المسلم والحرص على تقديسه وتكريمه .

من اخبار العالم الاسلامي



القضية الفلسطينية وواجب العالم تجاهها

● ألقى مندوب الكويت الدائم لدى الامم المتحدة كلمة سمو أمير البلاد الشيخ جابر الاحمد بمناسبة الاحتفال بيوم ناميبيا .. ونصها

يسرني باسم الكويت شعبا وحكومة وباسم منظمة المؤتمر الاسلامي التي تتشرف الكويت برئاسة دورتها الحالية ان ابعث بخالص التحية والتقدير الى مجلسكم الموقر والى شعب ناميبيا وحركة تحريره الوطنية الممثلة منظمة سوابو والى كافة الدول والشعوب التي ساندت ولا تزال هذه القضية العادلة.

عندما يتحدث المرء عن مأساة شعب ناميبيا فانه يجد نفسه امام نقطة من اشد النقاط سوادا في التاريخ الحديث. انه يواجه بنظام عنصري بغيض يستعبد فيه الانسان اخاه الانسان ويصادر فيه ارضه وماله وكرامته بل وحتى ادميته.

وللاسف الشديد لقد جاء الانسان الابيض الى هذه الارض الافريقية اصلا لا ليتحمل عبء الرجل الابيض تجاه القارة السوداء وتنميتها وانما جاء للهيمنة والاستعمار والسيطرة على ارض ومقدرات الاغلبية الوطنية السوداء الرازحة تحت اغلال العبودية في الجنوب الافريقي.

وان المرء ليتساءل. الم يحن للانسان الابيض ان يدرك الواقع وان يرضخ لارادة الشعب وحقه غير القابل للتصرف في تقرير المصير والاستقلال الوطني.

ان ما يبعث على التفاؤل والامل ببزوغ فجر جديد من الحرية والاستقلال طالما تطلع اليه شعب ناميبيا منذ عهود خلت مليئة بالكفاح والمعاناة ذلك الاتفاق الذي تم التوصل اليه في جنيف لوقف اطلاق النار تمهيدا لتسوية مشكلة ناميبيا على اساس قرار مجلس الامن رقم ٤٣٥ الصادر في عام ١٩٧٨.

واننا في الوقت الذي نتطلع فيه الى قرب تمتع شعب ناميبيا بالحرية والاستقلال الناجز تحت قيادة ممثله الشرعي والوحيد سوابو ليحدونا الامل والرغبة الشديدة في الا يكون مثل هذا اليوم ببعيد عن شعب اخر عانى وقاسى مثل الشعب الناميبي من الظلم والقهر والاستعباد.

انه الشعب الفلسطيني الذي نهض اطفاله ليلقموا الخطيئة بحجر. واي خطيئة اكبر من تجاهل وانكار حق الشعوب في الحرية والعيش الكريم بل والصمت على استمرار الخطيئة. فلنعمل سويا اذا في سبيل تحقيق الامال التي تعلقها علينا الشعوب المستضعفة في ناميبيا وفلسطين وغيرهما لاستعادة حقوقها المسلوبة.

ونحن اذ نرجو ان تكلل بالنجاح المساعي المشجعة الاخيرة لوضع حد لمأساة ناميبيا تحت اشراف الامم المتحدة لنرجو ان تواصل الاسرة الدولية جهودها لحل مشكلة فلسطين في هذا الوقت الذي يبدو فيه ان هناك انفراجا دوليا يبشر بتسوية مختلف القضايا والصراعات الاقليمية التي تهدد امن وسلام العالم.

مع اطيب تحياتنا تقبلوا اسمى اعتبارنا وتقديرنا.

جابر الاحمد الصباح
امير الكويت

لجنة مسلمي افريقيا ... والسودان

● صرح مدير لجنة مسلمي افريقيا ان عدد الأسر المنكوبة التي أغاثتها اللجنة نتيجة فيضانات هطول الامطار في السودان بلغ حتى الان ٢٧,٨٥٥ اسرة .

وابلغ السيد الشمري وكالة الانباء الكويتيةان لجنة مسلمي افريقيا ـ التي تتخذ الكويت مقرا لها ـ قامت بادارة وتمويل المساعدات المادية والعينية لحوالي ٢٧,٨٥٥ اسرة سودانية منكوبة بالتعاون مع هيئات ومؤسسات خيرية اخرى في السودان .

وقال ان ما قامت به لجنة مسلمي افريقيا من اغاثة لهؤلاء الاسر لا يشكل سوى حوالي ١٤,٣ بالمائة من عدد الاسر المنكوبة المشردة والتي بلغت حوالي ٢٠٠,٠٠٠ اسرة .

واشار السيد الشمري الى ان اللجنة قامت بادارة عمليات توزيع المساعدات ومواد الاغاثة في ١٣ مركزا في المناطق السودانية المنكوبة واستفادت من هذه المساعدات حوالي ٢٤,٠٠٠ اسرة .

واضاف ان اللجنة قامت كذلك بمهمة تمويل عمليات الاغاثة في ١٥ مركزا اخر تديره جمعيات ومؤسسات خيرية سودانية كمنظمة الدعوة الاسلامية والندوة العالمية والاصلاح والمواساة ومسجد الامين عبدالرحمن والرعاية الاجتماعية ورائدات النهضة وشباب البناء .

من أجل إخوة لنا

الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية تنادي المسلمين .. ومازال النداء يتردد صداه .

ناشدت الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية وبيت الزكاة وجمعيات النفع العام المواطنين والمقيمين لتقديم العون العاجل للمتضررين من الفيضانات في السودان ، وقال بيان للهيئة الخيرية الاسلامية العالمية : يتعرض السودان الشقيق وهو لا يزال يعاني من الاثار السابقة للجفاف والمجاعة ، لفيضانات كبيرة تسببت في دمار الاف المنازل وتشرد مئات الالاف من المواطنين .

لهذا تهيب الهيئة الخيرية الاسلامية العالمية وبيت الزكاة وجمعيات النفع العام بكل المواطنين والمقيمين لتقديم العون العاجل بما تجود به نفوسهم الطيبة لمساعدة الاخوة المتضررين والتخفيف من المعاناة والمأساة التي احاطت بهم .

السعودية

فيضانات السودان ... والمملكة العربية السعودية

● عانت السودان من الجفاف ، كما تعاني الآن من الفيضانات ، إنها مشيئة الله ، ابتلاء ، ووقت الشدائد تظهر العاطفة الاسلامية الحقة . ونرى المؤمن في عون اخيه .

الملك فهد . خادم الحرم الشريفين تبرع من ماله الخاص بمبلغ ٣٠ مليون ريال سعودي للسودان لمواجهة الاضرار الفاجعة التي تعرض لها بسبب الفيضانات .

وقال مصدر مسؤول لوكالة الانباء السعودية ان هذه المبادرة من الملك فهد تأتي عنه وعن اسرته كفاتحة لتبرعات يحث عليها جميع المواطنين وخاصة الموسرين انطلاقا من الشعور بالواجب الاسلامي والاخوي والعربي تجاه شعب السودان الشقيق الذي يواجه اليوم اسوأ كارثة في تاريخه الحديث بسبب الامطار المنهمرة والفيضانات الجارفة التي اغرقت عشرات الالوف من المنازل واودت بحياة العديد من المواطنين وشردت ما يزيد على ١,٥ مليون من المواطنين السودانيين . واضاف ان الملك فهد امر ايضا بتشكيل لجنة برئاسة وزير الداخلية السعودي الامير نايف بن عبد العزيز للاشراف على جمع التبرعات وتنظيم وصولها من امراء المناطق في كل انحاء المملكة العربية السعودية ومن ثم ايداعها في صندوق موحد بغية الاستعانة بها في السبل التي تساعد على تضميد جراح المتضررين وايوائهم واعادة بناء بيوت الله في المناطق التي اصابها الضرر .

القرآن الكريم ... والكومبيوتر

● اجرى قسم علم الحاسب الالي والمعلومات بجامعة الملك فهد للبترول والمعادن بحثا لنظام عرض وتخزين واسترجاع القرآن الكريم بالحاسب الآلي .

ويهدف البحث الذي اجراه الاستاذ جميل عزت احمد والاستاذ محمد غزالي خياط الى تطوير نظام العرض وتخزين واسترجاع القرآن الكريم .

ويتميز هذا النظام بعدة خصائص منها امكانية العرض والبحث عن حرف او كلمة او جملة او سورة او حزب او جزء او ربع جزء ومعرفة احكام التجويد بالاضافة الى التطوير والتغيير والسهولة في استعمال النظام وتشغيله وامكانية استخدامه باللغة العربية والمطابقة للرسم العثماني للقرآن الكريم وطباعة النصوص .

دورة للدعاة في بريطانيا

● تنظم جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية دورة عن العلوم الشرعية في مدينة مانشستر بالمملكة المتحدة . وتخصص هذه الدورة التي تستمر

قرابة اسبوعين للائمة والعاملين في حقل الدعوة الاسلامية من خلال برامج مكثفة بغية تزويد الائمة بالعلوم والمواد التي تمكنهم من القيام بشؤون الدعوة الى الله وتبصير المسلمين بما يجب عليهم اتباعه وما ينبغي عليهم اجتنابه .

كما تستهدف الدورة اعداد الدعاة في حقل الدعوة الاسلامية من خلال برامج ومحاضرات مكثفة تساعدهم على الدعوة في سبيل الله بالتي هي احسن ونشر المفهومات الصحيحة عن العقيدة الاسلامية وتجنيب المسلمين مخاطر الدعوات الفاسدة والعقائد المنحرفة

وسيحاضر في هذه الدورة مجموعة من اساتذة الجامعات السعودية المعروفين في حقل الدعوة الاسلامية في بريطانيا واميركا .

مصر

الإنتفاضة الفلسطينية وايقاف الحرب العراقية الايرانية

● ناشد شيخ الازهر فضيلة الشيخ جاد الحق علي جاد الحق العالم الاسلامي مواصلة تأييده للفلسطينيين بكل الطرق حتى يستعيدوا حقوقهم المشروعة ويطهروا القدس من دنس الصهاينة .

وقال شيخ الازهر : يسعد الازهر ان يذكر بالتقدير قرارا ايران بوقف الحرب مع العراق ... داعيا كافة حكومات العالم وخاصة الاسلامية منها الى مساندة وتأييد انهاء الحرب والتعاون مع طرفيها لتذليل كافة الصعوبات لدى المؤسسات الدولية التي تتولى هذا الامر .

مؤتمر طبي اسلامي

يعقد بالقاهرة يوم ٢٠ نوفمبر المقبل المؤتمر الطبي الاسلامي الذي يشارك فيه ٣٠٠ عالم من ٢٠ دولة عربية ، لمناقشة ٧٠ بحثا عن التعليم الطبي ومشاكله ومشاكل الادمان والاعجاز الطبي في القرآن ... ويرأس المؤتمر الدكتور ممدوح جبر نقيب الاطباء المصريين والدكتور عبدالرحمن العوضي رئيس منظمة الطب الاسلامي ووزير التخطيط الكويتي .

فلسطين

الدين الاسلامي ... وشهادة الأعداء

● ذكرت صحيفة دافار الاسرائيلية ان الوازع الديني بدأ يتعزز في اوساط فلسطينيي عام ١٩٤٨ وان الدلائل اخذت تبدو في العديد من المظاهر الحياتية كالفصل بين النساء والرجال في محطات الحافلات والفصل بين الطلبة والطالبات في المدارس والزام الطالبات بارتداء ملابس اسلامية تقليدية وانشاء اتحاد كروي اسلامي، وتدين الكثير ولجوئهم الى حلقات الدرس الديني .

« إلى راغبي الاشتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك ورغبة منا في تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة في البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا . وعلى الراغبين في الاشتراك الاتصال رأسا بمتعهدي التوزيع عندهم وهذا بيان بالمتعهدين :

★ مصر : القاهرة ـ مؤسسة الأهرام ـ شارع الجلاء .

★ السودان : الخرطوم ـ دار التوزيع ـ ص . ب (٣٥٨) .

★ المغرب : الدار البيضاء ـ الشركة الشريفية للتوزيع والصحف تلفون : 245745 .

★ تونس : الشركة التونسية للتوزيع ـ 5 شارع قرطاج ـ ص.ب : 440 .

★ الأردن : عمان ـ وكالة التوزيع الأردنية : ص . ب (٣٧٥) .

★ المملكة العربية السعودية : الرياض/ مؤسسة الجريسي للتوزيع ـ ص .ب : ١٤٠٥ ت : ٤٠٢٢٥٦٤ ـ ٤٠٢١٠٧٦

جدة/ مؤسسة الجريسي ـ ص . ب : ٨٠٧٠ ـ ت : ٦٨٢٦١٠٥

الدمام/ مؤسسة الجريسي ت : ٨٢٧١٨١١

★ سلطنة عمان : مسقط ـ وكالة مجان ـ ص.ب : ٧٩٦ ـ تلفون : ٧٠٠٢٤٦ .

★ دبي : مكتبة دار الحكمة / ص . ب : ٢٠٠٧ تلفون : ٢٢٨٥٥٢ .

★ البحرين : المنامة ـ مؤسسة الهلال لتوزيع الصحف ص . ب : ٢٢٤ ـ تلفون : ٢٦٢٠٢٦ .

★ أبو ظبي : المؤسسة العامة للطباعة والنشر .

★ اليمن الشمالي : دار القلم للنشر والتوزيع والاعلان ـ شارع علي عبدالغني ـ صنعاء ـ ص . ب : ١١٠٧ .

★ قطر : دار العروبة للصحافة والطباعة والنشر والتوزيع ـ الدوحة ـ ص . ب : ٥٢ ـ تلفون : ٤٢٥٧٢٣ .

O الكويت : الشركة المتحدة لتوزيع الصحف والمطبوعات ـ ت : ٤٢١٤٦٨ .

ونوجه النظر الى أنه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة .

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة

محمد موذن ١٤٠٨

ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين

(البقرة ٢٠٨)